

جمهوريـــــــــــــة الســـــــــودان

جامـــعة أم درمـــان الإســـلامية

كلـــــية الدراســــــات العليـــا

كليـــــــــــــــــــة الآداب

قســم التــاريخ والحضــارة الإســلامية

قبيلة بني
شيبان
وأثرها الاجتماعي والسياسي

خلال الفترة(124 ق.هـ - 132هـ / 494 م– 750م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

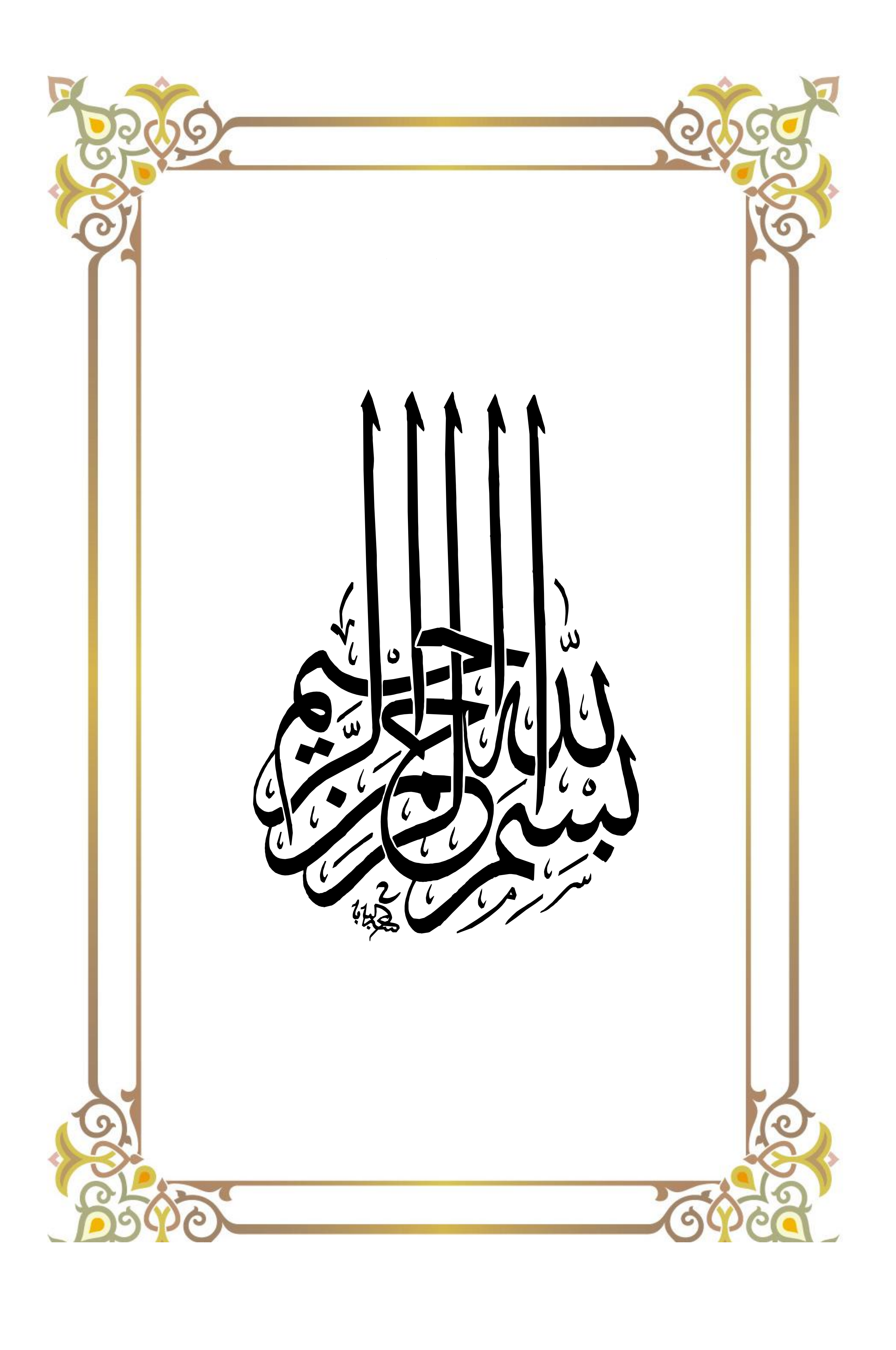
إعداد الطالب:

ناصر بن ماجد الهاجري

إشراف أ. د:

عبد الباقي محمد احمد كبير

{1436هـ–2015م}

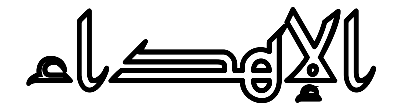

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

سورة الحجرات الآية(١٣)



إلى روح والدي رحمه الله تعالى

إلى روح خادم الحرمين الشريفين

الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

رحمه الله وغفر له

إلى روح سيدي صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل رحمه الله وغفر له

إلى وطني الحبيب وأبنائه البررة من أبناء القبائل والأسر

إلى أسرتي وقبيلتي الكريمة

إلى كل محب لأرض الحرمين الشريفين

أهدي هذه الأطروحة سائلاً الله عز وجل أن يديم علينا نعمة الأمن والأمان وأن يحفظ ديننا وبلادنا أنه سميع مجيب الدعاء

الشكر والعرفان

إن الشكر بعد شكر الله عز وجل لكل من ساعدني وساهم في اخراج هذه الاطروحة.

أتقدم بوافر الشكر والتقدير لجامعة أمدرمان الإسلامية ممثلة في كلية الدراسات العليا وقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب الذي أتاح لي فرصة تقديم هذه الاطروحة لنيل درجة الدكتوراه فجزاهم الله عني خير جزاء.

والشكر الجزيل لأستاذيالفاضل الأستاذ الدكتور: عبد الباقي محمد احمد كبير المشرف على هذه الاطروحة لما بذله معي من جهد وتوجيه وإرشاد مقتطعاً ذلك من وقته الثمين، كما لا يفوتني أن أشكر أسرته الكريمة التي كثيراً ما استضافتني وشكري يمتد لكل من ساعدني على إنجاز هذه الاطروحةوأخص بوافر الشكر أخي الأكبر د. محمد عبد الرحيم مرجان على مساندته لي طيلة فترة البحث فكان نعم الأخ ونعم الموجه، والشكر للأخ الفاضل أ. الفاتح خالد إبراهيم وإلى الأخ. أحمد سعد، والشكر أجزله لأسرتي الكريمة التي تحملت انشغالي وسفري لإنهاء هذه الاطروحة،كما أشكر السادة العلماء الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم المناقشة فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

سائلاً الله عز وجل أن أكون عند حسن ظن الجميع. والحمد لله رب العالمين

□

مستخلص البحث

هدف البحث الموسوم بقبيلة بني شيبان وأثرها الاجتماعي والسياسي خلال الفترة (124 ق.هــ – 132هــ / 494 م– 750م)يكشف عن تاريخ هذه القبيلة ودورها في تاريخ العرب قبل الإسلام وبعد الإسلام أبان الباحث فيه أهمية النسب عند العرب بصفة عامة ونسب قبيلة بني شيبان بصفة خاصة، كما وضح فيه منازل هذه القبيلة قبل الإسلام وبعده كما درس فيه الحياه الاجتماعية والدينية لقبيلة بني شيبان في الجاهلية والإسلاممن حيث النظام القبلي ومجلس القبيلة فصل الحياة الخلقية والاجتماعية والدينية لهذه القبيلة ومكانة المرأة فيها.

ثم تناولت الحياة لقبيلة بني شيبان قبل الإسلام حيث أبان مكانة هذه القبيلة بين القبائل المجاورة لها وعلاقتها بالمناذرةوبالقبائل الأخرى خاصة الفرس.

أيضاً يفصل هذا البحث دور قبيلة بني شيبان ودورها السياسي والديني بعد الإسلام في العصر النبوي والراشدين والأموي منذ إسلامهم ومساهمتهم في الذود عن الإسلام خاصة في الفترة التي شهدت حروب الردة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ ودورهم الهام في عمليات الفتوح الإسلامية الكبرى بالعراق في عهد خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ.

ويتناول هذا البحث دور بني شيبان في عهد الدولة الأموية خاصة دورهم السياسي وحركاتهم المعارضة للأمويين، كما أفردت هذا البحث باباً للحياة العلمية والأدبية لهذه القبيلة في الجاهلية والإسلام مبيناً اسهاماتهم في علوم الحديث والفقه واللغة العربية وآدابها.

Abstract

The title of this research is "BeniSheeban Tribe and its Social and Political Influence during the period of BH 124 - 132 H/ b 494 – 750 AD. This research explores the history and role of this tribe before and after Islam. The research reveals the importance of kinship among Arabs in general and BeniSheeban in particular. The researcher also explains the habitual of this tribe before and after advent of Islam, in addition to their social and religious life as well in, in terms of their tribal discipline, tribal conical, their social and religious life, and the status of women among the tribe.

The research approaches the political life of BeniSheeban before Islam explaining their status among neighboring tribes and their relationship with the Manathera and other tribe, particularly, with the Persia. Also the researcher explains details the role of the tribe in politics and Dawa after the advent of Islam during the Prophetic, caliphate, and Amawi eras and their contribution in defending Islam, particularly during the Apostasy wars during the Caliphate AbuBakr As-Sidiq's reign, in addition to their vital role in Islamic expeditions in Iraq during the reign of Omer Ibunl-khatab.

As well as the research approaches the role of BeniSheeban in the BeniUmiat State, particularly their political role and their opposition to BeniUmiat. Also the research gives room for the scientific and literary life of this tribe before and after Islam, explaining their contribution in the study of prophetic tradition, jurisprudence, and Arabic language and literature.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، العلي العظيم الذي نزل الكتاب على عبده نوراً وهدى للمتقين، وسبحانه وتعالى القائل في محكم التنزيل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1] ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وأمام المرسلين، ورحمة الله للعالمين.

أما بعد: فإن من نعم الله سبحانه وتعالى التي لا تُعد ولا تُحصى أن هداني للبحث في هذا الموضوع.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

أ. الكشف عن تاريخ هذه القبيلة ودورها في تاريخ العرب قبل وبعد الإسلام خاصة دورها القيادي في زعامة القبائل العربية ضد الغزاة الأجانب الطامعين في أراضيهم خاصة الدولة الساسانية.

ب. دورهم العظيم في التاريخ العربي والإسلامي عندما غيروا موازين القوى في شمال الجزيرة العربية لأول مرة قبل ظهور الإسلام بعد أن هزموا الامبراطوية الساسانية في معركة ذي قار، وبذلك مهدوا الطريق للمسلمين فيما بعد للقضاء على الامبراطوية الساسانية ونفوذها في شرق الجزيرة العربية وشمالها.

ج. دور قبيلة بني شيبان في العمل الاجتماعي والعمل على إزالة الفرقة والتناحر بين القبائل العربية قبل الإسلام.

([1]) سورة التوبة الآية 32.

د. خلو المكتبة العربية من دراسة مستقلة عن حياة هذه القبيلة العربية قبل الإسلام وبعده خاصة دورها في عمليات الفتوح بالعراق في عهد الخلافة الراشدة.

ثانياً: أهمية الموضوع:

أ. أرخ كثيرً من المؤرخين العرب لتاريخ المسلمين وبصفة خاصة حركة الفتوحات الإسلامية الكبرى وخصوا بها جند المسلمين عامة دون تحديد دور أي من القبائل العربية في هذه الفتوحات الإسلامية.

ب.توضيح حياة قبيلة بني شيبان السياسة والاجتماعية والدينية مع بيان نظمهم السياسية وما كانت تتمتع به هذه القبيلة من صفات أخلاقية حميدة وقيم اجتماعية كالشجاعة والوفاء والكرم، وما كانت عليه المرأة في قبيلة بني شيبان من مكانة في الأسرة والمجتمع.

ج. بيان موقف بني شيبان من الدعوة الإسلامية قبل إسلامهم ثم مدى استجابتهم للدعوة الإسلامية وموقفهم من الردة وما قدموه من دعم لنصرة الإسلام وجهودهم السلمية لمنع بعض قبائل البحرين من الارتداد عن الإسلام، ثم الكشف عن دور هذه القبيلة في حروب العراق خاصة دور زعيمهم المثني بن حارثة في الجهاد ضد الفرس.

د. دور القبيلة في الجزيرة العربية واضح وهام جداً فقد لعبت القبيلة ولا زالت تلعب الدور الرئيسي ونحن اليوم نرى دور قبائل جنوب الجزيرة خاصة في حرب عاصفة الحزم . كما نشاهد دور القبائل اليمنية في قلب الموازين على ارض المعارك والقوى السياسية .

ثالثاً: حدود الموضوع:

أ. الحدود الزمانية: 124 ق.هـ -132هـ (494م-750م).

ب. الحدود المكانية: جزيرة العرب وبلاد فارس.

رابعاً: مشكلة البحث:

لقد واجهت صعوبات كثيرة لإخراج هذا البحث أهمها عدم وجود دراسة خاصة غطت جوانب هذه القبيلة، وإنما كانت المعلومات مبعثرة في المصادر ومتفرقة في بطون الكتب التاريخية والأدبية والجغرافية مما أقتضى بذل مجهود كبير لإخراج هذه المعلومات وصياغتها بصورة علمية ومنهجية كما هو الآن بصورته المثبتة في البحث.

خامساً: الدراسات السابقة:

جرت دراسات كثيرة إلا أنها لم تتناول حياة بني شيبان الاجتماعية والسياسية إنفراداً وإنما جاءت في معظمها كجزء من دراسة تاريخ الفتوحات الإسلامية متناولة أخبار بعض أفراد القبيلة حسب دورهم السياسي أو الاجتماعي.

سادساً: منهج البحث:

أ. منهج البحث التاريخي: لقد جمعت فيه بين منهج التاريخ الموضوعي والتقويمي والوصفي والتحليلي، وهذا المنهج اقتضى مني أخذ المادة العلمية من عدة مصادر إعتمدت فيها بالدرجة الأولى على المصادر الأولية التي عاصر مؤلفوها الأحداث أو كانوا قريبين من أحداثها، كما توخيت الأمانة العلمية بنسبة كل ما أخذته إلى صاحبه وثوثيقه بالحاشية في كل صفحة من

صفحات البحث سواء كان تضميناً أو اقتباساً، ثم درست هذه المادة وقارنت بينها وحللتها بتجرد تام عن أي هوى أو ميل وأستنبطت منها وقومتها.

أما الكتب والمراجع الحديثة فلم أخذ منها إلا ما يعود للمؤلف نفسه من تفكير وتعليل وفهمه للموضوع والاستنباط منه، وما وجدته موافقاً للحقيقة أخترته، كما عالجت كل فكرة أو موضوع في مكانه الخاص به في البحث دون اللجوء إلى التكرار، في موضع أخر وأكتفيت بالإشارة إلى موضعه في البحث بالحاشية، وعملت قدر طاقتي أن يكون البحث مركزاً خالياً من فضول الكلام.

ب. المنهج الكتابي: يتألف هذا البحث من مقدمة وأربعة أبواب كل باب يشمل عدة فصول وكل فصل يشمل عدة مباحث، ففي الباب الأول تناولت الدراسة الحياة الاجتماعية لبني شيبان في الجاهلية والإسلام من خلال فصلين، ففي الفصل الأول تطرقت الدراسةلقبيلة بني شيبان ومنازلها من خلال أربعة مباحث شملت أهميةالنسبعندالعربونسبقبيلةبنيشيبانومنازلبنيشيبانقبلالإسلام ومنازلبنيشيبانبعدالإسلام وفي الفصل الثاني تناولت الدراسة الحياة الاجتماعية والدينية لقبيلة بني شيبان في الجاهلية والإسلام، حيث درست في المبحث الأول عن مجلس القبيلة وفي المبحث الثانيالحياة الخلقية والاجتماعية وفي المبحث الثالث تحدثت عن الحياة الدينية وفي المبحث الرابع عن مكانة المرأة في قبيلة بني شيبان.

أما الباب الثاني فقد درست فيه الحياة السياسية لقبيلة بني شيبان، وقسمته إلى فصلين، درست في الفصل الأول دور بني شيبان السياسي قبل الإسلام من خلال خمسة مباحث درست في المبحثالأول مكانة قبيلة بني شيبان وفي المبحث الثاني حرب البسوس أسبابها وحوادثها وفي المبحث الثالث الصلح بين شيبان وتغلب وفي المبحث الرابع علاقة بني شيبان بالمناذرة وفي المبحث الخامس علاقة بني شيبان

بالقبائل الأخرى، ودرست في الفصل الثاني علاقة بني شيبان السياسية مع المناذرة والنعمان من خلال ثلاثة مباحث، عالجت في المبحث الأولالعلاقات الساسانية مع القبائل العربية وفي المبحث الثاني العلاقات العربية الساسانية في عهد النعمان الأخير وفي المبحث الثالث علاقة بن شيبان السياسية مع الفرس عامة.

في الباب الثالث تناولت الدراسة الدور السياسي والدعوي لبني شيبان في العصر النبوي والراشدي والأموي، حيث بينت في الفصل الأول دور بني شيبان في العصر النبوي، وفي الفصل الثاني دور بني شيبان في العصر الراشدي وفي الفصل الثالث تحدثت عن دور بني شيبان في العصر الأموي.

أما الباب الرابع فقد تطرقت الدراسة فيه للحياة العلمية والأدبية لقبيلة بني شيبان في الجاهلية والإسلام في فصلين، درست في الفصل الأول إسهاماتهم في علوم الحديث والفقه وفي الفصل الثاني إسهاماتهم في اللغة العربية وآدابها.

ثم بعد ذلك رصد نتائج البحث وأهم التوصيات.

الباب الأول

الحياة الاجتماعية لقبيلة بني شيبانفي الجاهلية والإسلام

الفصل الأول

قبيلة بني شيبان ومنازلها

- المبحث الأول: أهمية النسب عند العرب
- المبحث الثاني: نسب قبيلة بني شيبان
- المبحث الثالث: منازل بني شيبان قبل الإسلام
- المبحث الرابع: منازل بني شيبان بعد الإسلام

المبحث الأول

أهمية النسب عند العرب

أهتم العرب بالنسب اهتماماً كبيراً، واعتبروه سبباً في التعارف والتواصل فيما بينهم[1]، وبلغ اهتمامهم في النسب حيث كان لكل قبيلة نسابة أو أكثر بل لكل بطن نسابة[2]. وعد النسب أساساً في معرفة الناس ومن لم يعرف نسبه لم يعرف الناس، ومن لم يعرف الناس لم يعد من الناس[3]. وهو بمثابة المرآة التي يظهر من خلالها ارتباط الفرد بقبيلته ومدى نقاء دمه، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم[4]. وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تعلموا النسب ولا تكونوا كنبيط السواد إذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا وكذا[5].

وتشير المصادر العربية إلى أن الخليفة الأول أبا بكر الصديقﷺكان رجلاً نسابة، وفي الحوار الذي دار بينه وبين ربيعة وشيبان خلال عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب يدعوها إلى الإسلام ما يدل دلالة واضحة على إلمام الصديق واهتمامه الكبير بالنسب ومعرفته التامة به[6].

---

(1) ابن عبد ربه، أبو عمر عبد الله بن محمد (ت 328هــ) العقد الفريد شرحه وصححه وفهرسه : أحمد أمين، احمد الزين وإبراهيم الابياري، القاهرة، ط3 1384هــ/1965م، ج 3/ص 312

(2) العدوي، إبراهيم أحمد، التاريخ الإسلامي، القاهرة 1976م، ص 40

(3)ابن عبد ربه، المصدر السابق، ص 312

(4)الماوردي، أبو الحسن على بن محمد (ت 450هــ) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، المطبعة المحمودية التجارية، القاهرة، ص 92

(5) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ص 312

(6) ابن عاصم، المفضل بن سلمة (ت 291هــ) الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية 1380هــ/1960م، ص 235-236. وانظر أبو نعيم، دلائل النبوة، حيدر أباد، دائرة المعارف العثمانية، ص 237 والميداني، مجمع الأمثال ج1، ص 12-18، والسهيلي، الروض الأنف، ص 265/264 و القلقشندي، قلائد الجمان، ص 9.

وممن اشتهر بعلم الأنساب من العرب دغفل بن حنظلة ابن يزيد بن عبدة الزهلي الشيباني المتوفى سنة 65هـ[1]. وقال الجاحظ: من رؤساء النسابين دغفل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيببان لم يدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحفظا[2]. وقد وصفه زياد الأعجم بقوله:

بل لو سـألت أخـا ربيعـة دغفـلاً * لوجدت في شيبان نسـبة دغفـل[3]

سال معاوية بن أبي سفيان دغفلاً عن أشياء كثيرة فخبره بها فقال له: بم علمت؟ فأجابه دغفل قائلاً: (بلسان مسئول وقلب عقول على أن للعلم آفةوإضاعة ونكداً واستباعة، فآفته النسيان، وإضاعته أن يحدث به غير أهله،واستباعته أن صاحبه مهموم ولا يشبع، ونكده الكذب فيه).[4] وقد ضرب المثل بدغفل لغزارة علمه وفصاحته فقيل: (أعلم من دغفل)[5].

لم يكن الاهتمام بالنسب قبل الإسلام فقط بل استمر حتى بعد ظهور الإسلام فأصبح أساساً للتنظيم المدني والاجتماعي في الأمصار العربية وعند العرب[6].

---

(1) ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل (ت 852هـ) الاصابة في تمييز الصحابة، مصر، ط1، 1328هـ، ج1، ص 475 وابن الأثير أبو السعادات محمد بن محمد الجزري (ت 606هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة : تحقيق محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور 1357هـ، ج2، ص 161/160 والذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 747هـ) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: تحقيق على محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الاولي 1382هـ/1963م، ج2، ص 27.

(2) الجاحظ (ت 255هـ) البيان والتبيين : تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، ط4، ص 322

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص 329

(4) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 323

(5)الزمخشرى، ابو القاسم محمود بن أحمد (ت 538هـ) المستقصي في أمثال العرب، الدكني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1962م، 253.

(6) العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد 1953م، ج1، ص 129

وأيضاً أوصل عرب الشمال أنسابهم إلى إسماعيل ولكن الحقيقة لا تجاوز معد بن عدنان وذلك لعدم معرفة الناس بها مع الشك فيما قبلها. فقد روى أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم انتسب فلما بلغ إلى عدنان وقف وقال: (كذب النسابون)[1].

ثم قرأ قوله تعالي: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[2]

وعن مالك بن أنس أنه سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، فقيل له: إلى إسماعيل فأنكر ذلك وقال: (من يخبر به)[3].

إلا أن هذا لم ينف الاهتمام بالنسب بعد ظهور الإسلام إذ أصبحت الأنساب بعد فترة عنصراً مهماً من عناصر التنظيم الإداري والاقتصادي بل والعسكري في عهد الخلافة الراشدة، ونلحظ هذا الاهتمام من خلال تأكيد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الأنساب وتنظيمه الديوان على أساس القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسابقة في الإسلام حتى أنه استعان بكبار النسابين في عهده والذين كان لهم الفضل الكبير في ذلك كجبير بن مطعم، ومخرمة بن نوفل الزهري وعقيل ابن أبي طالب[4].

والنسب هو الأساس الذي تم بموجبه توزيع الميراث في الشريعة الإسلامية، في قوله تعالي:

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا * لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[5].

---

(1) المقدسي،أبو زيد أحمد بن سهل (ت 378هـ) البدء والتاريخ، باريس 1899م، ج 107/1

(2) سورة الفرقان، رقم الآية 38.

(3)القلقشندى، أبو العباس أحمد بن على (ت 821هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة 1383هـ 1963/

(4)البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر البلاذري (ت 279هـ) فتوح البلدان، بيروت، نشر أنيس الطباع 1978م، أنظر الفصل الخاص بتوزيع العطاء في كتاب البلاذري.

(5) سورة النساء، رقم الآيات 6-7.

المبحث الثاني

نسب بني شيبان

ينتمي بنو شيبان إلى قبيلة بكر بن وائل العدنانية[1]. وهم بنو شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل[2]. وبكر بن وائل قبيلة عربية كبيرة من قبائل ربيعة[3]، من معد بن عدنان، ويربطها النسابون بمعد كما يلي: بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[4].

ويقسم النسابون قبيلة بكر بن وائل الى فروع عدة أشهرها على ويشكر وبدن وجشم والحارث وثعلبة[5]. ومن بطونها المهمة بنو حنيفة، وبنو عجل، وذهل وقيس، وبنو شيبان[6].

ما يهمنا في دراستنا من هذه البطون (بنو شيبان) والنسبة إليهم (الشيباني)[7]، وقد جاء في لسان العرب : (وشيبان حي من بكر، وهما شيبانان، احدهما شيبان بن

---

(1)ابن حزم، محمد بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هــ) جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1382هــ/1962م، ص 302. وانظر القلقشندري، صبح الأعشى، ج 1، 338، وانظر ابن الوردي، ابو حفص زين الدين عمر بن مظفر (ت 749ــ) تتمة المختصر في أخبار البشر، القاهرة 1285هــ، ج1، ص 92

(2) الحازمي، أبوبكر محمد بن ابي عثمان الهمداني (ت 584هــ) عجالة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كنون، القاهرة 1384هــ/1965م، ص 79.

(3) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هــ) نسب عدنان وقحطان، صمحة عبد العزيز المني، القاهرة 1936م، ص 15-16

(4) ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المقدس، القاهرة 1357هــ، ج2، ص 36-37

(5) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هــ) المعارف، تحقيق: محمد اسماعيل عبد الله، المطبعة الاسلامية، القاهرة، ط1، 1353هــ/1934م، ص 43-44

(6) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 402

(7) ابن القيسراني، ابو الفضل محمد بن طاهر (ت 507هــ) الانساب المتفقة، مطبعة برل، 1865م، ص 94

ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل، والآخر شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة[1]. وإلي شيبان هذا يرجع كل شيباني وإلى ذهل ابو شيبان بن ذهل بن ثعلبة يرجع كل ذهلي[2].

وكما تفرعت قبيلة بكر بن وائل الى عدة فروع تفرعت بنو شيبان الى فروع عدة أيضا، أبرزها بنو محلم، بنو الحارث، وبنو أبي ربيعة وبنو مرة، وانقسم بنو مرة إلى بني الشقيقة وبني أسعد بن همام بن مرة، وبني الحارث بن همام وبني مرة بن همام بن مرة، وبني ثعلبة بن شيبان.[3]

ونظراً لما يلعبه كل بطن من بطون شيبان من دور هام في التاريخ فقد رأيت أن أدرس كل بطن من بطون بني شيبان بصورة مستقلة حتى أوضح أهمية كل بطن من خلال هذه الدراسة مع إبراز الفعاليات والشخصيات المساهمة بها.

بنو محلم:

وينسبون إلى محلم بن ذهل بن شيبان[4]، وتفرعوا إلى عدة فروع، عوف وعمرو وربيعة وأبو ربيعة وثعلبة[5]. وكثير من رجال هذا الفرع اشتهروا بالوفاء والكرم بوادي عوف[6]. ومنهم ثور بن الحارث بن عمر بن محلم[7]. ومنهم أيضا

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد (ت 733هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت 1955م، انظر مادة شيب.

(2) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ) نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب المصرية، القاهرة 1347هـ/1929م، ج2، ص 332-333.

(3) المبرد، نسب عدنان وقحطان، ص 15-16.

(4) الحازمي، أبوبكر محمد بن أبي عثمان الهمداني (ت584هـ) عجالة المبتدي وفضاله المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كنون، القاهرة 1384هـ/1965م، ص 111.

(5) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى (ت 626هـ/ 1281) المقتضب في كتاب جمهرة النسب (مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراق تحت رقم 102- القسم الاول، ورقة رقم 153.

(6) السدوسي، تورج بن عمرو السدوسي (ت 195هـ - 810م) كتاب الامثال، تحقيق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1391هـ1971م، ص 73-74.

(7) ابن الكلبي، جمهرة النسب الكبير، ورقة من مخطوطة المتحف البريطاني رقم ADD 23297.

معد يكرب بن سلامة بن ثعلبة، ويروى عنه انه لم يأته قط أسير إلا فكه[1] لوفائه وأمانته بين قومه.

أما أبرز الشخصيات الشيبانية من بني محلم التي كان لها أثر بارز بعد ظهور الإسلام، سكين الخارجي، من بني ثعلبة بن محلمومنهم البطين الخارجي الذي كان مع شبيب[2]، أما الضحاك بن قيس بن الحصين ابن عبد الله الخارجي، فقد كان من شخصيات بني محلم البارزة في التاريخ إذ قاد حركة كانت من أخطر الحركات التي تعرضت لها الخلافة الأموية قبل قيام الثورة العباسية بزمن قصير[3]. وتشير المصادر التاريخية إلى مبايعة مائة ألف مقاتل له على مذهب الصفرية وتمكن من السيطرة على الكوفة وتمت مبايعته بالخلافة، وسلم عليه بها شخصيات أموية بارزة مثل عبد الله بن الخليفة عمر بن عبد العزيز وسليمان بن الخليفة هشام بن عبد الملك وغيرهما من قريش وفي ذلك يقول شاعر الخوارج[4]:

ألم تر أن الله أظهر دينه * وصلت قريش خلف بكر بن وائل

---

(1)ابن الكلبي، جمهرة النسب، ورقة 9-10

(2)الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت 310هـ/922م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: ابي الفضل ابراهيم، القاهرة، ط2، 1967م، ج6، ص 284

(3)حمادى، محمد حاسم، الجزيرة الفراتية والموصل، بغداد 1977م، ص 473، وأنظر الفصل الثالث من الباب الثالث لهذا البحث.

(4) ابن الكلبي، جمهرة النسب الكبير، ورقة 9-10، وأنظر فلهاوزن، بوليوس، احزاب المعارضة السياسية، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة 1958م، ص 108 وما بعدها

بنو الحارث:

وينسبون الى الحارث بن ذهل بن شيبان، تفرع هذا البطن إلى عدة فروع منهم سيار ومجدوع وعمرو وأبو عمرو وعوف[1]. ومن شخصياتهم علاقة بن كريب بن زائدة بن نميرة بن مالك بن محلم بن سيار بن ابي عمرو بن الحارث بن ذهل الشاعر[2]. ومنهم عمرو بن الحارث بن ذهل الذي قتل كليباً بن ربيعة مع جساس بن مرة[3]. ومنهم أيضا الممكا بن عمير بن جندب بن عمر بن الحارث بن ذهل بن شيبان الذي أخذ بثأر جده محلم بن سيار الذي قتله رجل من طي، نزل عنده الممكا على سبيل الاستضافة وكان كل واحد منهم لا يعرف صاحبه وبينما هم يتسامرون وهم يشربون الخمر، كان حديثهم تذاكر السيوف قال الطائي هذا والله السيف الذي قتلت بهمحلماً بن سيار فأخذه الممكا منه، وضرب به رأسه وهرب[4].

بنو أبي ربيعة:

يكاد يكون هذا البطن من أكثر بطون شيبان شهرة ومكانة خاصة في فترة ما قبل الإسلام لشهامتهم وشجاعتهم، إذ مدح الرسول ﷺشجاعة بني أبي ربيعة[5]. وقد ظهر في بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان شخصيات بارزة في التاريخ منهم حارثة ذو التاج الذي كان رئيس بكر وشيبان يوم أوارة إذ قابلت بكر وشيبان المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (514م-554م)[6].

---

(1) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ورقة 18-19، ايضاً بن حزم، ص 303.

(2) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ورقة 18-19، ابن حزم، ص 323.

(3)ابن حزم، ص 303-304، وأنظر الباب الثاني الفصل الأول المبحث من هذا البحث.

(4)ابن الكلبي، جمهرة النسب، ورقة 18-19، ابن حزم، ص 304.

(5)ابن الكلبي، المصدر السابق، ورقة 8.

(6) المصدر نفسه، ورقة 5، ايضاً ابن حزم، ص 304-305.

ومنهم عمرو بن أبي ربيعة المزدلف[1]الذي كان من ابلغ رجال بني شيبان بياناً ولسانا[2]، وابنه عامر بن أبي ربيعة، الذي كان من نسله هانيء بن مسعود الذي ترأس بكراً يوم ذي قار في قتالهم ضد الفرس[3]. ومن رجالهم أيضا عمرو بن قيس بن مسعود بن عامر بن أبي ربيعة، والمعروف بعمرو الأصم وابنه مفروق[4]، كان من فرسان بني شيبان وساداتها وذوي النباهة فيها[5].

ومن بني قيس بن عمرو بن أبي ربيعة عبد الله بن خارجة بن حبيب الشاعر المعروف بأعشى بني أبي ربيعة، ومنهم زياد بن قتادة بن حندب الذي قتل الربيع بن زياد الكلبي في بيته[6].

أما أبرز من أشتهر منهم بعد ظهور الإسلام من الشخصيات والتي كان لها موقف سلبي من الخلافة العباسية المبلد الخارجي الذي ظهر أيام أبي جعفر المنصور العباسي (136هـ-158هـ/754م-775م)[7]. ومما هو جدير بالذكر أن المبلد هذا من نسل حارثة ذي التاج[8].

---

(1)قال ابن الكلبي في جمهرة النسب، ورقة 5 سمي المزدلف يوم قضة يوم أغار ابن الهبولة السلحي من قضاعة على عسكر آكل المرار الكندي، فجعل عمرو يرمي برمح ويقول ازدلفوا قدر رمحي هذا فسمي المزدلف، أما ابن حزم فقد ذكر في ص 304، سمي المزدلف لأنه قال يوم التخاليق (يا بني بكر ازدلفوا مقدار رميتي برمحي هذا).

(2)ابن دريد، الاشتقاق، ص 359، ابن جيبب، مختلف القبائل ومؤتلفها، ص 33، ياقوت، المقتضب، ورقة 52 ب، 53 أ.

(3) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ورقة 5، ابن جزم، ص 323-324 اختلفت الروايات حول من قاد معركة ذي قار هل هو هانيء بن مسعود ام هاني بن قبيضة.

(4) مفروق اسمه النعمان بن عمرو الاصم، ابن حزم، ص 305.

(5)الأمدي، المؤتلف والمختلف، ص 51-52.

(6) المصدر نفسه، ورقة 8.

(7) ابن حزم، ص 304-305.

(8) المصدر نفسه، ص 304-305.

بنو مرة:

يبدو أن هذا البطن أيضا من أكثر بطون بني شيبان عدداً وسيادة[1] ومن أشهر فروع البطن بنو هند[2] وبنو مرة بن ذهل بن شيبان[3]. وقد نسب إلى هذا الفرع سعد ودب وكسر وبجير وجندب وسيار والحارث أبناء مرة بن ذهل بن شيبان[4]. كما نسب إليهم بنو الشقيقة[5] وهم بنو سيار وسمير وعبد الله وعمرو بن الأسعد بن همام[6]. ومنهم بنو مكحول بن الخندف بن أسود بن عبد الله بن البراء بن سعد بن مرة بن ذهل، وهم على ما يبدو بيت بني هند بالبادية[7]. وقد تفرعت من هذه الفروع فروع كثيرة كلها تنسب إلى مرة بن ذهل بن شيبان، ويذكر انه كان لمرة بن ذهل بن شيبان من الولد عشرة أولاد ولدوا عشر قبائل، أشهرهم همام وجساس تفرع من همام ثمانية وعشرون أيضاً[8].

أماأبرز شخصيات هذا البطن وفروعها فهم جساس بن مرة بن ذهل قاتل كليب وائل، زعيم تغلب وربيعة، ومن عقبه أحمد بن عيسي بن الشيخ[9] وهمام بن

---

(1) ابن قتيبة، المعارف، ص 45.

(2)بنو هند ونسبوا الى امهم هند بنت ذهل بن عمرو بن عبد جشم من بني تغلب، وبها يعرفون ابن الكلبي، جمهرة النسب، الورقة 10.

(3) ابن الكلبي، جمهرة النسب، الورقة 10.

(4) ابن حزم، ص 305-306.

(5)بنو الشقيقة، سموا بهذا الاسم نسبة الى أمهم الشقيقة بنت عباد بن زيد بن عوف بن ذهل بن شيبان وعرفوا بها. ابن الكلبي، جمهرة النسب، الورقة 13.

(6) المصدر نفسه، الورقة 13، ايضاً ابن حزم، ص 305-306.

(7) بان الكلبي، جمهرة النسب، الورقة 11، ايضا بن حزم، ص 305-306.

(8) القلقشندي، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، ص 309، انظر كذلك النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ص 333، ابو الفداء المختصر، ج1، ص 105، كحالة، م2، ص 622 الصفواني، تاريخ الحروب العربية بين بكر وتغلب، ج1، ص 8.

(9) ابن حزم، ص 305-306، وانظر حول احمد بن عيسي بن الشيخ سليمة عبد الرسول، الشيبانيون في اقليم الجزيرة العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، العدد 24 سنة 1979م، ص 633 فما فوق.

مرة، ومن بني همام بنو الشقيقة، وبنو عمرو بن الحارث بن همام سلالة عبد الله ذي الجدين بن عمرو بن الحارث[1]. وبسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله ذي الجدين، وابنه زيق بن بسطام وبجاد بن قيس شقيق بسطام [2]. وكان بسطام وأبوه وجده من رؤساء بكر وأشرافها، وفيهم بيت بكر بن وائل[3]. كما كان واحداً من فرسان العرب الثلاثة المشهورين هو وعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب[4].

ومن ابرز الشخصيات الشيبانية من هذا الفرع والتي كان لها مواقف سلبية من الخلافة العباسية هدبة الخارجي، واسمه حريث بن اياس بن حنظلة ابن الحارث بن قيس بن خالد بن عبد الله ذي الجدين[5].

أما من أشهر رجالات بني مرة بن همام، الصلب وهو عمرو بن قيس ابن شراحيل بن مرة بن همام ومفروق واسمه الحارث بن صلب وابن أخيه الحوفزان، واسمه الحارث بن شريك بن الصلب، ومعن بن زايدة بن شريك ابن الصلب، ومن آل الصلب يزيد بن مزيد بن أخ زائدة، ومحمد بن يزيد شقيق خالد الذي ولي أرمينيا بعد أبيه سنة 86هـ وهو ابن عشرين سنة. ومن أبناء يزيد الآخرين عبد الله وأحمد

---

(1) ذكر الالوسي، ج1، ص 286، ان قيس بن مسعود هو الذي سمي بذي الجدين في رواية اوردها وقيل انما سمي بذلك لأسيرين أسرهما مرتين. ثم يقول (والذي اعرف انا ان ذا الجدين انما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام سمي بذلك لأنه اشتري من كعب بن أمامة من أيدي قوم عنزين وكتم نفسه وعرفه عبد الله انه لم يشتره الا عن معرفة فوهبه كل ما لقي في طريقه من إبل أبيه، بعبدانها وكانت سوداً وحمراً وصهباً، وبلغ به الى أبيه، فأجاز له ذلك وأعطاه قبته بما فيها فلما اتي الحيرة قال بعض من رآه لصاحبه : انه لذ وجد قال الاخر بل هو ذو جدين فسمي بذلك).

(2) ابن حزم، ص 305-306.

(3) بان الكلبي، جمهرة النسب، الورقة 15-16، انظر ايضاً ابن قتيبة المعارف، ص 45.

(4) ابن دريد، ص 357-359، انظر ايضا الأمدي، ص 83-84.

(5) ابن حزم، ص 306.

وأسد، وكان لهم جميعاً دور في القيادة والرئاسة[1]. وكان بنو خالد بن يزيد بن مزيد قوادا معروفين اتصلت الرئاسة بهم من أول أيام مروان بن محمد الأموي واستمرت في دولة بني العباس إلى آخر أيام المعتضد[2].

ومن بني الصلب أيضا الخارجي المشهور شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن الصلب[3]. أما بنو اسعد بن مرة بن ذهل فمنهم المثني بن حارثة بن ضمضم بن أسعد بن مرة بن ذهل بن شيبان القائد الشيباني المعروف بنضاله ضد الفرس في مطلع صدر الإسلام. ومن شخصيات هذا الفرع التي برزت في الإدارة هو حوشب بن زيد بن الحارث ولي شرطة الحجاج وكان أبوه على شرطة مصعب بن الزبير، ومن ولده علي بن الفضل بن حوشب الذي ساد بأصبهان أيام بني العباس. ومنهم أيضا عدي بن الحارث بن رويم بن عبد الله بن سعد بن مرة ولاه علي على بهر سير[4].

مما تقدم يمكننا أن نستنتج بأن بني مرة بن ذهل بن شيبان بطن كبير من بطون بني شيبان، ويظهر لنا انه كان لهم دور واضح في حياة العرب قبل الاسلام كما سنوضح ذلك، وكان دورهم اكبر بعد ظهور الإسلام وخاصة في القيادة والرئاسة أو المعارضة.

بنو ثعلبة بن شيبان:

يبدو أن هذا البطن قليل العدد في بني شيبان وليس لهم شهرة كبيرة إذ أن مصادر ومراجع النسب التي بين أيدينا لا تعطي تفاصيل كثيرة عنهم، وممن اشتهر منهم مصقلة بن هبير بن شبل بن يثربي بن امريء القيس بن ربيعة بن مالك بن

---

(1) ابن الكلبي، جمهرة النسب الكبير، الورقة 18، ايضا ابن حزم، ص 306-307.

(2) ابن حزم، ص 327.

(3) ابن الكلبي، جمهرة النسب الكبير، الورقة الورقة 10-11.

(4) ابن حزم، ص 304-305.

ثعلبة بن شيبان وأخوه نعيم بن هبيرة[1]. ويروى ابن دريد أن مالكاً بن ثعلبة من رجالات هذا البطن وهو أول من قتل فارساً من الأعاجم في يوم ذي قار[2]. ولكن حينما نتتبع شجرة النسب نجد أن جد مالك هذا هو شيبان أبو القبيلة كلها بينما يكون شيبان الجد التاسع لهاني بن مسعود الذي وقعت في زمنه الحرب إن صحت الرواية لذلك يمكن أن نعتبر رواية ابن دريد هذه ضعيفة أن لم يقصد به شخصاً آخر سواء أكان من سلالة ثعلبة أم من بطن من بطون شيبان، إذ يشير ابن دريد نفسه أن مالكا هذا عصى على الحجاج – أيام ابن الاشعث وتحصن في قلعة اصطنجر التي تسمي قلعة منصور حتى مات فيها[3]. من النص أعلاه ربما يكون مالك بن ثعلبة قد اشترك في معركة ذي قار إلا انه من بطون بكر وليس من ثعلبة شيبان كما ذكر ابن دريد.

هكذا تظهر كتب النسب والتاريخ أن بني شيبان قبيلة كبيرة عريقة النسب والشهرة كان لها دور حافل ومشرف قبل الإسلام كما سنرى، ولعبت بطونها المختلفة من خلال شخصياتها التي أوردنا لها دوراً لامعاً في التاريخ العربي الإسلامي سواء من كان منهم موالياً للسلطة المركزية على مر عصورها أو معارضاً لها.

---

(1) ابن الكلبي، جمهرة النسب، الورقة 20.

(2) ابن دريد، ص 343–344.

(3) المصدر نفسه، ص 343–344.

المبحث الثالث

منازل بني شيبان قبل الإسلام

ينفرد البكري بذكر تهامة وغارها[1]، على أنها أقدم المواقع الجغرافية لسكان قبائل ربيعة بشكل عام وبكر وشيبان بشكل خاص.

ويذكر أن منطقة تهامة التي كانت منازل ربيعة ومضر ومن كان معهم دخيلاً، أو مجاوراً لهم، بالإضافة إلى قبائل أخرى، قد كثروا وتضاعف عددهم وتضايقوا في منازلهم، الأمر الذي أدي إلى انتشار ربيعة فيما يليهم من بلاد نجد وتهامة، وخاصة قرن المنازل وحصن وعكابة وركبة وحنين وغمرة أو طاس وذات عرق[*] والعقيق وما جاورها من نجد[2].

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن ديار قبائل ربيعة كانت لفترة طويلة من الزمن في تهامة، وان كثرة سكانها هي التي استدعت إلى رحيلها[3].

ثم حصل نزاع بين قبائل ربيعة الأمر الذي أدي إلى انتقال رئاسة ربيعة من النمر إلى بني يشكر من بكر بن وائلأدى إلى افتراق بني ربيعة أيضا، فنزلت بعض قبائل ربيعة البحرين[*] وهجر والجوف والعيون والإحساء[4].

---

(1) البكري، معجم، ج1، ص 67.

(*) ذات عرق والعقيق هي إحدى محافظات الباحة بجنوب المملكة العربية السعودية، ولا زالت تحمل نفس الاسم، أنظر خريطة رقم (1،3).

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 76 وما بعدها.

(3) ذكر الالوسي ان رحيلهم الى الاماكن المشار اليها في الجزيرة العربية كان بعد خراب سد مأرب، انظر الالوسي، بلوغ الأرب، ج1، ص 217 وهذا مبالغ فيه لان سد مأرب كان قائماً الى سنة 548م.

(*)البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل البحرين بالبصرة وعمان من جزيرة العرب وعمان آخرها ومدينتها هجر وبينها وبين البصرة خمسة عشر يوماً وبينهما وبين عمان مسيرة شهر، وهجر بفتح أوله وثانية هي قاعدة البحرين. وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، والجوف (وادي باليمامة لبني أمريء القيس ابن زيد مناة) والعيون موضع بالبحرين، والاحساء وهي مواضع من بلاد العرب: احساء بني سعد بحذاء هجر ومدينة بالبحرين.

(4) البكري، ج1، ص 80-82، ومنطقة الإحساء والعيون لا وزالت تحمل نفس الاسم وهي تقع في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، أنظر خريطة رقم (3).

والبعض الآخر ظواهر نجد والحجاز وأطراف تهامة وما جاورها من البلاد وانتشروا بها[1]. فكانت منازلهم بالذنائب وواردات والاحص وشبيث، وبطن الجريب والتغلمين وما بينها وما جاورها من المنازل[2]. ويذكر البكري الى أن بعض قبائل ربيعة ومنهم أكلب بن ربيعة بن نزار قد اتجهت نحو اليمن فحالفت أهله، وبقوا على أنسابهم[3]. أما بنو حنيفة من بكر بن وائل فقد اتخذوا من اليمامة مستقراً لهم[4].

ولكن إقامة أغلب قبائل ربيعة وخاصة بكر وتغلب ابني وائل التي كانت في بلادهم والتي اشرنا إليها وهي ظواهر نجد والحجاز وأطراف تهامة لم تدم، إذ انتهي استقرارهم بها مع بداية حرب البسوس التي دارت بين قبيلتي بكر وتغلب[5]، في أواخر القرن الخامس للميلاد تقريباً[6]. هذه الحرب التي استمرت لفترة طويلة والتي كان لوقائعها أثر كبير في انتقالهم إلى بلاد أخرى، ويؤكد البكري ذلك بقوله (... فلم تزل الحروب والوقائع تنقلهم من بلد إلى بلد، وتنفيهم من أرض إلى أرض)[7]، وحينما وضعت الحرب أوزارها، انتشرت بكر بن وائل وعنزة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين (إلى أطراف سوداء العراق ومناظرها وناحية الابلة إلى هيت وما والاها من البلاد)[8]، ويذكر الاخنس بن شهاب التغلبي وكان من رؤساء تغلب وشعرائها:

وبكر لها بر العراق وان تشأ * يحل دونها من اليمامة حاجب[9]

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 149 وما بعدها

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 149، البكري، ج1، ص 82

(3) البكري، ج1، ص 82

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 83 وما بعده، أنظر خريطة رقم (1).

(5) المصدر نفسه، ج1، ص 83 وما بعد

(6)اليعقوبي، التاريخ، ج1، ص 257، السندوبي، شرح ديوان امريء القيس، ص 241

(7)البكري، ج1، ص 85

(8) البكري، ج1، ص 86

(9) المصدر نفسه، ج1، ص 86

ومما هو جدير بالذكر أن أول مكان انتقلت إليه قبيلة بني شيبان ماء يقال له النهي من أرض نجد[1].

إن انتقالهم من أماكنهم القديمة إلى جنوب العراق كان بسبب الكساد الذي فرضته حرب البسوس والذي شل حركتهم إضافة إلى ما أصاب الجزيرة العربية من قحط[2]، وقلةأمطار[3] مما حدا بهم إلى الانتقال إلى جنوب العراق طلباً للعيش والاستقرار[4].

ونظراً لاقتران تاريخ بني شيبان بالقبيلة الأم بكر بن وائل ولتداخل منازلهم، لابد لنا أن نذكر منازل بكر بن وائل وما أشارت إليه المصادر بصورة مستقلة من منازل بني شيبان لإعطاء صورة واضحة عن التوزيع الجغرافي لمناطق سكني كلتا القبيلتين:

منازل بكر بن وائل قبل الإسلام:

تذكر المصادر الجغرافية والأدبية المواضع التي كانت قبيلة بكر قد اتخذت منها منازل لها، عبر الفترات التاريخية لتجوالها وترحالها في وسط الجزيرة العربية بعد خروجها من تهامة. وإذا ما استثنينا بني حنيفة من بكر بن وائل الذين لم يدخلوا في حلف مع البطون الأخرى لقبيلة بكر لكونهم أهل مدر[5]الذين استقروا في اليمامة

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص 217، ابن الاثير، الكامل، ج1، ص 532.

(2) ابن اعثم، الفتوح، دار الندوة، ط 1، مطبعة المعارف العثمانية، بيروت، ج1، 1968م، ص 88.

(3)ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج3، ص 244-245.

(4) انظر الفصل الخاص بعلاقات بني شيبان الخارجية.

(5)أبو عبيدة، النقائض، ج2، ص 728.

وسط ديار مضر وانقطعوا عن قومهم إذ كانوا لا ينصرون بكراً ولا يستنصرونهم[1]. يمكننا أن نحدد منازل بكر حسبما ذكرتها المصادر.

لقد ورد ذكر بكر بن وائل لأول مرة في حدود القرن الرابع الميلادي إذ كانوا في ذلك الوقت يخرجون من البحرين واليمامة، للإغارة هم وأحلافهم من تميم وعبد القيس على إطراف العراق[2]. وقد ذكر الطبري أن سابور الثاني ذا الأكتاف (309م-379م) سار إلى البحرين لمحاربتهم ووضع السيف فيهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر عدداً وأسكنه في كرمان من بلاد فارس[3].

ويبدو أن المعلومات عن منازلهم وتاريخهم بشكل عام قبل هذا التاريخ كانت قليلة ومن الصعب الركون لها، ومن المحتمل أن ما ذكرته المصادر عن منازلهم يكون بعد القرن الرابع الميلادي، ولعل ابرز منازلهم:

- ذات رجل: وهي من أرض بكر بن وائل تقع قرب اليمامة من جهة البحرين[4].
- الخرج[*]: مناطق باليمامة كثيرة فيها أراضي خصبة مزروعة بالنخيل لبطون بكر بن وائل[5].
- البحرين: يذكر ياقوت في معجمه بأن البحرين كان يسكنها خلق كثير من بكر بن وائل بالإضافة إلى قبائل عبد القيس وتميم[6].
- الأغدرة: وهي أغدرة السيدان، موضع وراء كاظمة بين البصرة والبحرين قريب من البحر، ذكره المخبل السعدي في إشعاره:

---

(1)الاصفهاني، الاغاني، ج11، ص 317.

(2) دائرة المعارف الاسلامية، مادة (بكر)، الترجمة العربية.

(3)الطبري، تاريخ، ج2، ص 57

(4)ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 755، ايضاً البكري، ج2، ص 640، أنظر خريطة رقم (1).

(*) وهي منطقة تتبع منطقة الرياض، جهة الجنوب بحوالي 100كم وهي لا زالت تحمل الاسم حتى اليوم .

(5)الزمخشري، كتاب الامكنة والمياة والجبال، ص 508، أنظر خريطة رقم (3).

(6) ياقوت، المصدر السابق، ج1، ص 508.

وأرى لها داراً بأغدرة * السيدان لم يدرس لها رسم

إلا رماداً هامداً دفعت * عنه الرياح خوالد سحم[1]

- زبالة موضع من أعمال المدينة[2]. كانت منازل بكر بن وائل وعليها اغارت تميم بقيادة أبي جعل أخي بني عمرو بن حنظلة ومعه الأقرع بن حابس في فرسان من تميم على بكر بن وائل[3].
- الأفاكل: موضع باليمامة أيضا من ديار بكر[4].
- خساف: مفازة بين الحجاز والشام وهي موضع في ديار بني بكر قال الأعشى:

ظبية من ظباء بطن خساف * أم طفل بالجو غير ربيب[5]

- شاجب: موضع في ديار بكر، وقد ورد ذكره في شعر الاعشي شاحب كما في قوله:

ومنا ابن عمرو يوم أسفل شاحب * يزيد وألهت خيله غدوتها[6]

- الفراض: موضع قرب فليج بين البصرة واليمامة من ديار بكر بن وائل[7].
- الخوع: ارض في ديار بكر، وبهذا المكان قتل زيد الفوارس بن حصين الضبي، قتلته بكر بن وائل وقد رثاه قيس بن عاصم على لسان منفوسة بنته وكانت عند قيس:

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 318

(2)البكري، ج2، ص 694

(3) ابو عبيدة، النقائض، ج2، ص 680

(4)البكري، ج1، ص 175-176، دائرة المعارف الاسلامية، مادة بكر، الترجمة العربية.

(5) البكري، ج2، ص 499.

(6) انظر حول شاجب وشاحب، البكري، ج3، ص 774-775

(7)ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص 864

لقد غادر السعدان حزماً ونائلاً * لدى جبل الأمرار زيد الفوارس

فلو كان حياً صاحب الخوع لم تقظ * سدوس وشيبان ذات العرائس[1]

ويمكن أن نستنتج من شعر قيس بن عاصم أن أرض الخوع كانت من ديار سدوس وشيبان كما ورد في البيت الثاني من شعره.

- عويرضات: موضع في ديار بكر[2] والزور موضع بين أرض بكر وتميم وربما كان من المواضع المشتركة بين القبيلتين.
- النباج: موضع بين البصرة واليمامة بينه وبين اليمامة مسيرة يومين لبكر بن وائل. وروى الأزهري أنه في بلاد العرب نباجان الأول على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر بحذاء فيد والأخر نباج بني سعد بالقريتين[3]. وقال أبو عبيدة (النباج والثيتل موضعان متدانيان بينهما دوح ينزلهما الهازم[4] من بكر)[5].
- كلاوتان: وهما ماءان في بادية البصرة باتجاه كاظمة[6].
- عين التمر: وفيها قبيل من بكر بن وائل، ويقال أن نصيراً والد موسي قائد الشمال الإفريقي في زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86هـ-705هـ/96م-715م) هو من سبي عين التمر حيث روى أن خالداً أصابه مع علوج فيها وادعوا أنهم من بكر بن وائل[7] ومن منازل بكر الأخرى الغطاط[8]. وفطيمة وقد ذكرها الأعشي في شعره:

---

(1) البكري، ج2، ص 518.

(2) البكري، ج3، ص 982-983، أنظر خريطة رقم (2،1).

(3) ياقوت: المشترك وصفا والمفترق صقعا، ص 414-415.

(4)الهازم هم (بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهما عنزة، وتيم اللات بن ثعلبة وحلفاؤهما عجل انظر ابو عبيدة، النقائض، ج3، ص 728).

(5) الحميري، الروض المعطار، ص 298.

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 298.

(7)الحميري، المصدر السابق، ص 33، وعين التمر هي من أجمل الواحات الصحراوية في محافظة كربلاء بالعراق.

(8)ياقوت، المصدر السابق، ج3، ص 807.

نحن الفوارس يوم العين ضاحية * جنبي فطيمة لا ميل ولا عزل[1]

وذات النقر وكلبه[2] ومثقب[3] وحريث[4].

وربما اتخذت بكر بن وائل من حضرموت مسكناً لها في فترة من فترات تاريخها ثم نأت عنها كما نستدل من شعر الأعشي حيث قال:

طـــال الثـــواء علـــى تـــريم * وقـــد نـــأت بكـــر بـــن وائـــل[5]

وتريم هي احدي مدينتي حضرموت والاخرى شيام[6] ويشك البكري في أن تريم يقصد بها موضاً وربما استخدمها الأعشي في شعره للضرورة الشعرية أو يقصد بها منطقة غير تريم حضر موت[7] وهو الأرجح.

كما ذكر الأعشي في شعره مواضع اخري ذكر فيها بعض منازل قومه من بكر بن وائل كقوله:

حل أهلي ما بين درنا فبادولي * وحلت علوية بالسخال[8]

ودرنا وبادولي موضعان من أرض اليمامة وقيل بادولي موضع في سواد بغداد[9].

---

(1) البكري، ج4، ص 1025.

(2)ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 736.

(3)المصدر نفسه، ج4، ص 299.

(4) دائرة المعارف الاسلامية (مادة بكر) الترجمة العربية.

(5) البكري، ج1، ص 311، ايضا ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 849.

(6)الادريسي، نزهة المشتاق، قسم الجزيرة والعراق، تحقيق: ابراهيم شوكت، مجلة العرب، الجزء الاول والرابع 1970م، والجزء الخامس والسادس 1971م، دار اليمامة، الرياض، ص 427.

(7) البكري، ج1، ص 311.

(8)المصدر نفسه، ج1، ص 461.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص 461.

ولعل أقصي ما وصلت إليه منازل بكر بن وائل قبل الإسلام الشيبطان فذكر أبو عبيدة أن بكراً كانت قد سكنت لعلعاً[1]. وهي منطقة واقعة بين الكوفة والبصرة كانت مجدبة[2]، وكانت بعض بني تميم يسكن الشيبطان وكانت أرضاً مخصبة، فأزاحتهم بكر عنها وسكنوها وذلك قبل أن يدخلوا الإسلام، فلما أتاهم كتاب رسول الله ﷺ اسلموا[3]. وبذلك يكون الشيبطان آخر منازل بكر بن وائل قبل إسلامهم في حدود عام 8هـ[4].

ومن الأماكن التي ذكرت أعلاه يمكن أن نستدل بأن منازل بكر تشمل المناطق المحصورة من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر أي الخليج العربي فالأبلة فهيت، كما يؤكد الهمداني[5].

وتحديد الهمداني يشكل الخارطة الجغرافية لمنازل بكر بن وائل منذ انتقالهم من تهامة الى صدر الإسلام[6].

ومما هو جدير بالذكر أن الهمداني اضاف مواضع أخرى بالإضافة إلى ما ذكرناه وعدها من منازل بكر إلا إننا نشك في صحة نسبتها إلى بكر، لعدم ورودها في المصادر الجغرافية الأخرى[7]، أو أن الهمداني يذكر هذه المنازل في زمانه.

المواضع المشتركة بين بكر وتغلب:

---

(1) قال بن ولادة: (لعلع من أخر السواد الى البر، ما بين البصرة والكوفة) وقال غيره لعلع ببطن فلج وقيل هي الجزيرة.

(2) ابو عبيدة، النقائض، ج3، ص 1020.

(3) البكري، ج4، ص 1156-1157.

(4) اختلف الجغرافيون حول من نزل الشيبطيان من القبائل فذكر البكري في معجمه ج 2 ص 1156 انها من منازل تميم،،، وقال الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب، ص 327، انها ماء لبكر مستشهدا بقول الأعشي:

بالشيبطين مهاة تبتغي ذرعا...

وقال لغدة الاصفهاني في بلاد العرب ص 297، الشيبطين مرعي لأهل طوايلع دون ان يذكر من هم.

(5) الهمداني، ص 319.

(6)من جبال بكر أسود العشاريات، ص 319، ومن مياههم الثرثار وموقعه بين سنجار وتكريت، الياقوت، المشترك وصفا والمفترق صقعا، ص 24، ايضاً معجم البلدان، ج1، ص 471.

(7) انظر حول المواضع الهمداني، ص 331.

ومن المواضع المشتركة بين قبيلتي بكر وتغلب الفياض[1] وذو الخناصر[2] والحماطة[3]. وكانت هذه المواضع مساكن كليب ورهطه من بكر وتغلب قبل قيام حرب البسوس بين القبيلتين، ومن المواضع المشتركة الأخرى الاحص وشبيث[4] وربما سويقه كانت أيضاً من المواضع المشتركة وهي هضبة بنجد كانت لبكر وتغلب وقعة فيها[5]. ويقع جبل إبان في ديار بكر وتغلب أيضا[6]. وكذلك وادي المثاوى[7].

منازل بني شيبان قبل الإسلام:

اقترن تاريخ بني شيبان بتاريخ قبيلة بكر بن وائل وخاصة بعد أن أصبحت رئاسة بكر بن وائل بقيادتهم[8]. ويبدو أن زعامة شيبان لبكر قد بدأت مع بداية زعامة كليب بن ربيعة التغلبي لقبيلتي بكر وتغلب وذلك بحدود العقد العاشر من القرن الخامس الميلادي[9]. ولعلها أصبحت أكثر استقلالية بعد نشوب الحرب بين القبيلتين في قيادتها لبكر، واستناداً إلى ذلك يمكن القول إننا حينما حددنا منازل بكر لا يعني ذلك أن بني شيبان لم يكن لهم مستقر بها وهي زعيمة القبيلة، عليه فإننا سنذكر في هذا المبحث ما أشارت إليه المصادر من منازل بني شيبان بصورة مستقلة كما يلي:

---

(1) البكري، ج4، ص 1039، هامش رقم 1.

(2)المصدر نفسه، ص 511.

(3)المصدر نفسه، ص 467.

(4) ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 149، ايضا البكري، ج1، ص 118.

(5) ياقوت معجم البلدان، ج3، ص 199.

(6) الهمداني، ص 331.

(7) دائرة المعارف الاسلامية، مادة بكر، الترجمة العربية.

(8) اليعقوبي، التاريخ، ج1، ص 256-257.

(9) دائرة المعارف الاسلامية، مادة بكر، الترجمة العربية.

(*) وهي منطقة تتبع منطقة الرياض، جهة الجنوب بحوالي 100كم وهي لا زالت تحمل الاسم حتى اليوم .

يبدو أن قبيلة بني شيبان سكنت تهامة[*] كبطن من بطون القبيلة الأم بكر وكانوا هم وبنو جشم[1] من تغلب في منزل واحد[2]. وربما تكون تهامة أقدم منازلهم. ثم اتخذوا من اليمامة مستقراً لهم[3]. وكانت منازلهم بها في القرية وتشير المصادر إلى أماكن ومواضع في الجزيرة العربية والعراق واعتبرتها من منازلهم، منها قثاوة وكانت بها وقعة لبني شيبان على سليط بن يربوع من تميم[4]. وقثاوه موضع متصل بنقا الحسن[5]. من أرض الدهناء[6]. ومن منازلهم بأرض نجد جدية حيث يذكر ياقوت أنها كانت داراً لبني شيبان[7] وأعلي بريك[8] كانت منازل بني نفيع من بني شيبان أيضاً[9]. وسكن بنو شيبان الجزيرة الفراتية، وكان معهم خزيمة بن لؤي[10]. ومن المحتمل أنهم كانوا في حلف مشترك معهم نظراً لسكناهم في منطقة واحدة. ويبدو أن سكنهم في الجزيرة الفراتية قد حصل بعد حرب البسوس ومن منازلهم أيضا قياض وهو موضع بين الكوفة والشام، وسكنه نفر من شيبان وكنده، ومن قياض يرتحل إلى عين أباغ[11].

وفسر أبو عبيدة في النقائض قول جرير:

---

(1) بنو جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تميم بن تغلب: انظر ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص 287.

(2)السندوبي، ص 246.

(3) ابن اعثم، ج1، ص 88، أنظر خريطة رقم (1).

(4) ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 102.

(5)البكري، ج3، ص 1075.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص 315.

(7) ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 43.

(8) بريك بلد باليمامة وبريك أيضاً موضع طريق عدن، والمقصود باعلي بريك هو الموضع الموجود باليمامة، ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 600.

(9) الهمداني، ص 306.

(10) ابن حبيب، المحبر، ص 168.

(11) ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 211.

إذا فوزت عن نهر بين تقاذفت * بحدراء دار لا تريد لتجمعا[1]

بأن نهر بين[2] من ديار بني شيبان بالحيرة.

ومن منازلهم الأخرى محلة تحمل اسم القبيلة شيبان في موقع البصرة الحالية وربما يكون من منازلهم بعد الإسلام. أما جفر باعث فهو موضع في ديار بلاد بكر بن وائل منسوب إلى باعث بن حنظلة بن هاني الشيباني، ومن قراهم بتا من قرى النهروان من سواد بغداد، ومن المرجح أنها من منازلهم بعد الإسلام أيضا[3].

ومن المواضع المشتركة بين بني شيبان وديار بني مرة من تميم (دارة موضوع) قال الحصين بن الحمام المرى:

جزى الله افناء العشيرة كلها * بدارة موضوع عقوقا وماثما[4]

ويظهر أن بني شيبان كانوا ينزلون أيضا أماكن موسمية حسب توفر الماء مما حدا بالجغرافيين العرب ذكرها على أساس منازل للقبيلة وربما كانت هذه المنازل مؤقتة وهي:

- النهي: نزلت بنو شيبان على ماء النهي بعد مقتل كليب حيث قال مرة الشيباني: اضعنوا عن مجاورة القوم – يعني تغلب – حتى ننظر ماذا يصنعون، فضعنوا حتى نزلوا بماء يقال له النهي[5] وكان قبل ذلك لتغلب[6].
- ثيتل: قال الاصمعي ثيتل ماء لبني شيبان وانشد لابي النجم:

---

(1) ابو عبيدة، النقائض، ج2، ص 829.

(2) ذكر البكري في ج1، ص 206، ان نهر بين كورة من كور الاهواز السبعة حيث قال (الاهواز بلد يجمع سبع كور وهي كورة الاهواز وكورة جند يسابور وكورة سرق، وكورة نهر تيري، وكورة مناذر).

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 378، أنظر خريطة رقم (1).

(4)البكرى، ج2، ص 538.

(5)السندوبي، ص 252.

(6)البكرى، ج4، ص 1364.

ونحن سرنا زمن الزلازل * من لعلع خمسا إلى الثياتل[1]

أما أبو عبيدة فقد ذكرها على أنها منازل الهازم من بكر بن وائل[2]. وأما ياقوت فقد روى عن نصر بان ثيتل بلد لبني حمان وبين النباج وثيتل روحة للقاصد من البصرة[3].

- سلامان[4]: ماء لبني شيبان على طريق مكة إلى العراق وذكر انه مات بهذا الموضع نوفل بن عبد مناف[5] وهو ماء قديم في الطريق إلى تهامة من العراق قبل الإسلام[6].
- المسناة: وهو أيضا من مياه بني شيبان[7] ذكره الأعشي:

دعا قومه حولي فجاؤوا لنصره * ناديت قوما بالمسناة غيبا**

ومن مياههم أيضاً مبايض كان لبني أبي ربيعة أحد بطون بني شيبان[8].

- ذو قار: وهو من مياه ومنازل بني شيبان المشهورة قرب الكوفة كما وأنه الموضع الذي حقق به أول نصر عربي على الفرس في معركة ذي قار [9]. ومن منازلهم حول ذي قار قراقر والجبايات وذو العجرم والغذوان والبطحاء[10]. ويذكر ياقوت وحنو ذي قار وحنو قراقر واحد[11].

---

(1)البكري، ج1، ص 351

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 351

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 942

(4) ذكرها البكري، ج3، ص 745، سلامان، بينما ذكرها ياقوت في معجمة

(5) البكري، ج3، ص 745، ايضا الحميري، ص 318

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 121-122

(7)البكري، ج4، ص 1229، السندوبي، ص 115

(8) ابن الاثير، الكامل، ج1، ص 603

(9)انظر الفصل الخاص بنضال بني شيبان ضد الفرس

(10) الطبري، تاريخ، ج2، ص 349

(11) ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 349

- أما كاظمة فذكر أبو الفرج الأصفهاني أنها منازل بني عجل[1]. بينما عدها البكري من مياه بني شيبان[2]، وهو الراجح. يدلنا على ذلك ما ذكره الطبري عن أبي عمرو الشيباني المحدث (ت 206هـ) انه قال: اذكر اني سمعت برسول الله عليه السلام وأنا أرعي إبلا لأهلي بكاظمة[3] ولكن هذا لا يلغي وجود بعض القبائل الأخرى من بكر في كاظمة مع بني شيبان، ولكن مياه كاظمة كانت بحوزة بني شيبان على الأغلب.
- سفوان: يعتقد أنسفوان من المياه المشتركة بين بني مازن من تميم وبني شيبان، وتقع جنوب البصرة الحالية بحوالي 63كم بالقرب من جبل سنام، وكانت به وقعة بين تميم وبكر. وقال الوداك بن تميل المازني متوعداً بني شيبان:

رويدا بني شيبان بعـض وعيـدكم * تلاقوا غدا خيلي علـى سـفوان[4]

وعلى سفوان أُمر قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذو الجدين استعمله كسري عليها[5]. لأسباب سياسية، كما سنوضح ذلك في فصل أخر، وكان قيس حاكماً بها في وقت قيام حرب ذي قار بين شيبان والفرس[6].

وذكر الجغرافيون العرب اسماء جبال ووديان على أنها مواضع لبني شيبان وهي: الطور البري في منطقة الجزيرة باتجاه خرسان، ذكر الهمداني أن جبل الطور البري هو أول حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذويها لا يخالطهم الى ناحية خرسان

---

(1) الاصفهاني، ج13، ص 22

(2) البكري، ج4، ص 1109-1110

(3) المصدر نفسه، ج4، ص 1109-1110

(4) البكري، ج3، ص 740

(5) ابو عبيدة، النقائض، ج2، ص 640، ايضا الطبري، تاريخ، ج2، ص 207

(6) الطبري، تاريخ، ج2، ص 207

الأكراد[1]. ومن جبالهم أيضا جبل الإمرار[2]، ومن وديانهم وادي الاشافي[3] وكان في ديارهم[4] بالحيرة بالقرب من جبل الامرار[5]. وربما هذه الأماكن من سكناهم في الإسلام.

---

(1) الهمداني، ص 276.

(2) البكري، ج1، ص 193.

(3) قيل إن الأشافي واد في ديار قيس، البكري، ج1، ص 193.

(4) البكري، ج1، ص 193

(5) المصدر نفسه، ج1، ص 193، أنظر خريطة رقم (1).

المبحث الرابع

منازل بني شيبان بعد الإسلام

حينما نتحدث عن منازل بني شيبان بعد الإسلام لا يعني هذا أن بني شيبان وغيرها من القبائل العربية غيرت منازلها التي كانت عليها عند ظهور الإسلام فجأة إلى أخر غيرها، بل إن تنقلات القبائل حدثت بشكل تدريجي، وبعبارة أدق أن عملية التنقل رافقت حملات الفتح التي كانت تقوم بها الجيوش العربية الإسلامية خارج الجزيرة العربية، مما تبعها من تمصير الأمصار لذلك فإننا نرى منازل بني شيبان في مطلع صدر الإسلام كانت في أطراف الحيرة وأطراف الابلة، وهي نفس المنازل التي كانت عليها قبل ظهور الإسلام بفترة وجيزة من الزمن، يدلنا على ذلك ما أشار إليه المدائني بوضوح (ت 225هــ) من تواجد شيبان وبكر حينما ذكرنا ما كان يقوم به المثني بن حارثة الشيباني من غارات على الفرس بناحية الحيرة وقطبة بن قتادة السدوسي بناحية الخريبة من البصرة[1].

وهذا يعني أن منازلهم كانت في أطراف السواد من جهة الحيرة والخريبة.

الكوفة:

وعند تقدم الجيوش العربية الاسلامية إلى العراق لتحريره من سيطرة الدولة الساسانية، بقيادة سعد بن أبي وقاص، أنزل سعد بكر بن وائل الأقيلبة بين العذيب ومطلع الشمس[2]، أي شرق العذيب[3].

---

(1) الطبري، تاريخ، ج 3، ص 593.

(2) ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 341

(3) العلي، منطقة الحيرة، بحث مستل من مجلة كلية الآداب، العدد الخامس، سنة 1962م، ص 4، أنظر خريطة رقم (1).

وبعد تحرير العراق وتمصير الكوفة والبصرة يبدو أن هاتين المدينتين أصبحتا من المراكز الرئيسية لسكن بني شيبان وبكر خاصة بعد أن غلبت عليهم روح التمدن ويدلنا على ذلك ما ذكره الهمداني من افتخار بكر البصرة على بكر الكوفة[1]. مما يدل على مدى استقرارهم وتواجدهم في كلتا المنطقتين. وذكر أن تميماً وبكراً وأسداً نزلوا أطراف الكوفة[2]. وربما كان ذلك في بداية تأسيسها.

وكان بنو شيبان وخاصة آل ذي الجدين من بين البيوت الأربعة التي سكنت ضواحي الكوفة[3]، ولم يقطنوا داخل الكوفة إلا بعد سنة 50هـ عندما قسمت إلى أربعة أرباع في إمارة زياد بن أبيه، مثلت بكر وشيبان الربع الثالث من ذلك التقسيم[4].

البصرة:

بعد تمصير البصرة استقر فيها بنو شيبان والقبائل التي عُدت في عدادها، والكثير من بطون شيبان وبكر[5]. وأوضح الدكتور العلي في دراسته عن خطط البصرة بأن قبيلة بكر كانت تسكن جهة في شمال البصرة[6].

وذكر بأن قبائل بكر كانت مكونة في البصرة من شيبان، عجل، رقاش، سدوس جحدر، حنيفة، يشكر، عنزة، تيم اللات بن ثعلبة، تيم بن شيبان، وذهل بن

---

(1) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 170.

(2)اليعقوبي، البلدان، ص 70.

(3) ابن الفقيه، ص 170-171، ويقول والبيوتات هي بيت آل زيد الفزاريون (من قيس عيلان) وآل زرارة الدارميون من تميم، وآل قيس الزبيديون من مذحج بالإضافة إلى بني شيبان.

(4)ماسينون، خطط الكوفة، ص 15-16.

(5) العلي، التنظيمات الاقتصادية في البصرة، الملحق الثاني، ص 292، ص 293.

(6) العلي، خطط البصرة، مجلة سومر، م8 سنة 1952م، ص 291.

شيبان وقال: لا نعلم بالضبط محل خطط هذه العشائر وموقعها من بعضها بالضبط[1].

ويبدو أن عشائر بكر كانت تشكل ثقلاً له اعتبار في البصرة خاصة في ولاية أبي موسي الأشعري إذ قال ابن أعثم: ودعا أبو موسي برجل من بكر بن وائل يقال له همام بن متمم فولاه على أهل البصرة ثم نادي في الناس بالرحيل إلى أصفهان[2].

ومن نص ابن أعثم نفهم أن عشائر بكر كانت تشكل نسبة عالية من سكان البصرة، وإلا فان أبا موسي لا يمكن أن يولي شخصاً من بكر لو لم تكن لها أرجحية بين قبائل العرب الأخرى في تلك الفترة المبكرة من تاريخ العرب المسلمين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن خمس بكر في البصرة مكون من ست عشرة عشيرة[3]، على أن من بين البيوت المشهورة في البصرة هو بيت بني مسمع من بكر بن وائل، بالإضافة إلى بيت بني المهلب وبيت بني مسلم بن عمرو الباهلي، وبيت آل الجارود من عبد القيس[4].

وكانت رئاسة بكر بن وائل في البصرة في زمن الخليفة عمر ﵁لمجزاة بن ثور ثم لخالد بن المعمر، وفي زمن الخليفة عثمان﵁ لشقيق بن مجزاة بن ثور ثم إلى حضين بن المنذر في زمن الأمام علي ﵁[5].

المشرق:

---

(1) العلي، خطط البصرة، مجلة سومر، م 8، سنة 1952م، ص 292

(2) ابن اعثم، ج2، ص 69

(3) العلي، التنظيمات، ص 46

(4) ابن الفقيه، ص 190

(5) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 108

وبعد توجه القوات العربية الإسلامية نحو المشرق وخاصة خرسان منذ بداية فتحه في زمن الخليفتين عمر وعثمان ﷺ سنة 18هـ وما تلاها اتجه العرب إليها على شكل مجاميع قبلية وأفراد للاستقرار فيها[1]. ولا يهمنا هنا التوزيع الجغرافي لعرب خرسان بقدر ما يهمنا مدى تواجد شيبان وبكر في تلك المناطق.

ذكر اليعقوبي استيطان العرب في جميع مدن خرسان من مضر وربيعة وسائر بطون اليمن إلا باسر وشنه[2]، فانهم كانوا يمنعون العرب أن يجاوروهم حتى صار إليهم رجل من بني شيبان فأقام هناك وتزوج منهم[3].

ويذكر فلهاوزنأن أراضي البكريين والتميميين في الشرق كانت مختلطة بعضها ببعض[4]. وربما كان لتجاورهم قبل الإسلام اثر في ذلك. وفي حرب تميم ضد ترك خرسان يذكر ابن أعثم أن بني بكر بن وائل قد ساعدتهم بينما لم تقم بمثل ذلك قبائل العرب من اليمن حسداً منهم لهم[5].

ومما يدل على استيطان بكر وشيبان في خرسان أيضاً ما خاطب به قتيبة بن مسلم الباهلي أهل العراق الذين لم يساندوه حينما خلع من ولايتها[6] وأما هذا الحي من بكر بن وائل فعلجةبظراء لا تمنع رحيلها[7].

---

(1) الانباري، التوزيع الجغرافي لعرب خرسان، مجلة دراسات الاجيال، السنة الاولي العدد 4، 1980م، عدد خاص بالمعركة، ص 167

(2) باسر وشنة، مدينة وراء النهر، ياقوت، معجم، ج1، ص 245

(3) اليعقوبي، البلدان، ص 55

(4)فلهاوزن، الدولة العربية، ص 329

(5) الانباري، ص 167 وما بعدها

(6) خلع قتيبة بن مسلم من ولاية خرسان، وكانت قبيلة بكر من القبائل التي انحازت بقيادة حضين بن المنذر الى جانب سليمان بن عبد الملك على اثر وفاة الخليفة الوليد سنة 96هـ ومحاولة قتيبة التمرد على ولي العهد سليمان. انظر دائرة المعارف الاسلامية، مادة بكر – الترجمة العربية.

(7) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 133.

كما استقرت بكر وشيبان بالإضافة إلى خرسان في سجستان[1]. واذربيجان[2]. وسمر قند، ذكر الحميري أن عرب سمر قند من محارب وشيبان والأزد وباهلة وطي[3]. كما استوطنوا في منطقة وذار[4]بصغد سمرقند[5].

إن استيطان بني شيبان وبكر في المناطق المذكورة أعلاه خارج الجزيرة العربية، لا تلغي استقرار بعضهم فيها أي الجزيرة العربية فأشار الجغرافيون إلى وجود منازلهم ما بين المدينة ومكة[6]، وأن صدقات بكر بن وائل إلى صاحب طريق مكة هي ثلاثة آلاف درهم[7].

ويكاد يكون تاريخ بني شيبان بشكل خاص وبكر بشكل عام في نهاية العهد الأموي وبداية العصر العباسي الأول وما تلاه متصلا بتاريخ الجزيرة الفراتية وخاصة ديار بكر[8].

---

(1) الاصفهاني، ج11، ص 313-315.

(2)ابن حبيب، المحبر، ص 154.

(3) الحميري، ص 323.

(4)وذار (قرية ورستاق بصغد سمر قند كبير وذات حصن بينها وبين سمر قند اربعة فراسخ) ياقوت، المشترك وصفا والمفترق صقعا، ص 434-435.

(5) ياقوت، المصدر نفسه، ص 434-435.

(6) ابن حوقل، صورة الارض، ص 41، ايضا الاصطخرى، المسالك والممالك، ص 25

(7) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 127.

(8) دائرة المعارف الاسلامية، مادة بكر، أما ديار بكر (هي واسعة تنسب الى بكر بن وائل بن قاسط... وحدها غرب دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه حصن كيفا وآمل وميافارقين وقد يتجاوز السهل) انظر ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 636-637

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية والدينية لقبيلة بني شيبان في الجاهلية والإسلام

- المبحث الأول: مجلس القبيلة
- المبحث الثاني: الحياة الخلقية والاجتماعية
- المبحث الثالث: الحياة الدينية
- المبحث الرابع: مكانة المرأة في قبيلة بني شيبان

المبحث الأول

مجلس القبيلة

اشتركت قبائل العرب الشمالية في سمة أساسية مميزة هي تشابه عاداتها وتقاليدها ونظمها[1]وقبيلة بني شيبان واحدة من القبائل العربية التي كان لها حياتها السياسية المشابهة لغيرها من القبائل، فهم يعتقدون بأنهم أبناء أب واحد، كما وإنهم يرحلون ويقيمون سوية، والعامل الأساسي الذي يربطهم ببعضهم هو العصبية وهي كما قال ابن خلدون (ولا يصدق دفاعهم وديارهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم، ويخشي جانبهم إذ نعرة كل واحد على نسبه وعصبيته أهم، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم وقربائهم، موجودة في الطبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظيم رهبة العدو لهم)[2].

ويستنتج من نص ابن خلدون أن العصبية هي قوة وشعور أنساني يمثل القوة الفاعلة والمؤثرة على السلوك الإنساني وبها تشتد الشوكة ويرهب العدو، وبما ان العصبية قوة سياسية دفاعية تربط بين الناس، وتزيد من تماسكهم وتكتلهم فهي العاملة على بقاء المجتمع وحفظ كيانه أيضا[3].

---

(1)الدورى، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص 30

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص 128

(3) اعلي، محاضرات، ج1، ص 152

والفرد في ظل العصبية يعتز بفرديته وشخصيته ويرى نفسه مساوياً لبقية أفراد القبيلة، بما يتمتعون به من حقوق وواجبات، ويثأر لفرديته اذا مست بسوء، إلا أن فرديته متماسكة مع الجماعة فهو جزء منها ويقدم العون والنصرة لها[1].

وقد جسد الممكا الشيباني الولاء للجماعة والتضحية من أجلها ومدى اعتزازه بقبليته وذلك عندما قتل رجلاً من طي ثأراً لاحد أقاربه فانشد قائلاً:

إني امرؤ من بني شيبان قد علمت * هاتا القبائل اني منهم وأبي[2]

إني إذا ما شربت الخمر تذكرني * قومي وتعرف مني أية الغضب

مجلس القبيلة:

لكل قبيلة مجلس، وهو بمثابة المكان الرسمي لاجتماعها ومناقشة أمورها السياسية والحربية وغيرها. وبإمكان أي فرد من أفراد القبيلة حضوره والتحدث فيه متى كان مجتمعاً، وليس هناك إشارة في المصادر عن أوقات انعقاده ويرى الأستاذ العلي انه ينعقد في الغالب يومياً في المساء عند شيخ القبيلة وقد يجتمع في أوقات أخرى أو عند الضرورة حينما يرسل مناد ينادي الناس للاجتماع[3].

ولا ريب بان مجلس قبيلة بني شيبان لا يختلف عن مجالس القبائل الأخرى فقد وصلتنا معلومات تشير إلى انه مجلس مهيب امتاز بالسكون، ووصفت رجاله بأنهم مشايخ من ذوي المكانة والمنزلة عند قومهم[4]. وكانت تناقش فيه مختلف الشؤون الخاصة بهم وأمورهم السياسية والعلاقات والأوضاع الخارجية للقبيلة

---

(1)المصدر نفسه، ج1، ص 153، انظر حول العصبية القبلية واستمرارها في الاسلام النص: العصبية القبيلة، ص 116 فما بعد.

(2) ابن الكلبي، جمهرة النسب، الورقة 19.

(3) العلي، محاضرات، ج1، ص 155، ايضا العدوي، ص 87-79.

(4) ابن عاصم، ص 237، ابن كثير، البداية، ج1، ص 143.

والقاعدة العامة انه يحق لكل فرد إبداء رأيه فيه والدفاع عنه[1]. وإن كان الحديث في الغالب لذ لقي اللسان ومن امتاز بقوة المنطق وسلامة التفكير والحجة في المناقشات، وتتمثل هذه الصفة عند مفروق الشيباني اذ كان بارعاً جملاً ولساناً[2]. وكان أول المتحدثين في مجلس بني شيبان مع أبي بكر الصديق ﷺ حينما عرض الرسول ﷺعليهم الإسلام[3].

ومما تقدم يمكننا القول أن من يتكلم في المناسبات العامة والخاصة عند بني شيبان لا يكون بالضرورة شيخ القبيلة وإنما ممن تتوفر فيه الصفات المذكورة أنفا. ذلك لان شيخ القبيلة هو هانيء بن قبيصة الشيباني[4].

ويظهر أن شيخ القبيلة او من يتكلم في المجلس كان ملماً بظروف القبيلة وأحوالها، عدتها، قوتها، أعدائهم وإمكانية ردهم، مع تصور للقوي السياسية المحيطة بهم وتخمين قوتهم[5].

وعليه يمكننا أن نعد مجلس القبيلة بمثابة البرلمان الذي تحسم به وتذلل مشاكل القبائل، واصدار القرار بعد أن يشبع نقاشاً بجو ديمقراطي، دليلنا على ذلك ما قاله

---

(1) العلي، محاضرات، ج1، ص 55

(2) ابن عاصم، ص 237–238، وعند ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص 143 (غلب عليهم –أي من في المجلس – بياناً ولسانا)

(3) ابن عاصم، ص 237–238، ابن حبان، ج1، ص 84–85، ابو نعيم، ص 240، ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص 143

(4) (وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا)

انظر ابن عاصم، ص 237 فما بعد، ابن حبان، ج1، ص 84–85 وابو نعيم، ص 240، ابن كثير، البداية، ج3، ص 143

(5) انظر إسلام بني شيبان في الباب الثاني ال

الرسول ﷺ في مجلس بني شيبان (... أية أخلاق كانت في الجاهلية – ما أشرفها – بها يتحاجزون في الحياة الدنيا)[1].

ويتخذ المجلس عادة قراراته بعد المناقشات بالأغلبية، ويبدو أن المعارضة تنفذ هذه القرارات[2]، برضاء تام وهذا منتهي الإيمان بالشورى واحترام رأى الأكثرية، وهي تمثل أخلاق العرب في جزيرتهم.

الرئيس (شيخ القبيلة):

لكل قبيلة شخصية عليا يطلق عليها أسماء مختلفة كالأمير والرئيس والشيخ والسيد[3]. وكان أكثر الألقاب شيوعاً هو السيد، ولما كان السيد في الأعم الأغلب، كبير السن، وقائد القبيلة فكان في بعض الأحيان يوصف بالشيخ أو الرئيس أو الأمير[4]. ومثال ذلك مجلس سقفية بني ساعدة ومجلس قريش كمجالس شورى اتخذت فيها أكبر القرارات الحاسمة.

إلا أن الشيخ هو الشائع عند بني شيبان[5] . كما لقب بعض رؤسائهم بالملك مثل حارثة ذي التاج الشيباني[6].

هناك صفات خلقية يجب أن تتوافر في الشيخ كي يسود، فقد حددت بالسخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان[7].

---

(1) انظر ابن كثير، البداية، ج3، ص 144-145فصل الثاني.

(2) انظر العلي، محاضرات، ج1، ص 55 فما بعد

(3)دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ص 14، فما بعد، العلي، محاضرات، ج1، ص 156

(4) العلي، محاضرات، ج1، ص 56

(5) ابن عاصم، ص 237-238، ابن حبان، ج1، ص 84-85، ابو نعيم، ص 240، ابن كثير، البداية، ج3، ص 143

(6) ابو البقاء، المناقب، ج1، الورقة 50-51

(7) الالوسي، ج2، ص 187، الطيباوى، محاضرات، ص 116

وقد مدح شيوخ بني شيبان بالكرم والسخاء ومنهم عمرو بن أبي ربيعة الخصيب، وهوذة بن مرة الشيباني[1].

وكان السخاء أمراً هاماً في تلك الظروف القاسية التي أملتها عليهم البيئة الجغرافية، حتى أصبح الكرم من مقومات الشيخ الرئيسية به يمد العون لمن يحتاج من أبناء قبيلته[2]، إلا أن الكرم ليس حكراً له.

أما البيان فكان ضرورياً للإفصاح عن الرأي والإقناع والإدارة في مجتمع ليس فيه سلطة إلزامية[3].

وكان الحلم أمراً ضرورياً يتطلب الذكاء والتسامح والنشاط يُفرض على الشيخ التمسك بها من أجل التعامل مع الروح الفردية التي اتسم بها العربي وما رافق تلك الروح من انقياد لعواطفه العنيفة دون أساس منه بسلطة كمركزية قانونية قد يخشي منها العقاب[4].

وتتم المشيخة عادة بالانتخاب الحر لا بالوراثة[*]، لأن الاعتماد على الوراثة قد يتنافي وشروط السؤدد[5].

وإذا حدث وانتخب شخص بعد أبيه فان ذلك يكون عادة لما اتصف به الشخص الجديد من مؤهلات ومميزات تؤهله لهذا المنصب لا لكونه إبناً لرئيس

---

(1) بان حبيب، المحبر، ص 242/

(2) العدوي، ص 37-38

(3) العلي، محاضرات،ج1، ص 157

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 157، ايضاً العدوي، ص 37-38

(*) نحن في جزيرة العرب في الوقت الحالي نجد أن كثيراً من مشايخ القبائل ليسو من نفس القبيلة في الأصل وأنهم تسيدوا القبيلة لشجاعتهم أثناء اقامتهم مع هذه القبائل بسبب نزوجهم من قبائلهم الأصلية لثأر الدم أو الحرب.

(5) الدوري، ص 30 فما بعد

سابق، وليس في تاريخ العرب قبل الإسلام سوى خمسة أسر تتابع فيها على الرئاسة أربعة أحفاد منهم آل ذي الجدين بيت بني شيبان[1].

على انه لابد للرئيس المنتخب من عصبة له داخل العشيرة، وقرابة تشد من ازره وتمنحه القوة في اتخاذ القرار، وتساعده في تنفيذ إجراءاته، ومثل هذا السند يعتمد أساسا على القوة العددية لعائلته[2]، ذلك لأن سلطة الشيخ تكون محدودة وضئيلة في الغالب فهي بحاجة إلى هذا السند[3]. إذ ليست هنالك سلطة تنفيذية لشيخ القبيلة.

واجبات الرئيس(شيخ القبيلة):

لشيخ القبيلة واجبات أهمها قيادة القبيلة وإدارة شؤونها، وإعانة الضعفاء وتقديم المساعدة لهم[4]. ومواساة المنكوبين، وان يخصص جزءاً من بيته مكاناً لاستقبال الضيوف والوافدين، على أن لا يكون ذلك حكراً له، إذ يستطيع أن يقوم بهذه المهمة بقية أفراد القبيلة لأن ذلك يكلفه ثروة كبيرة[5].

وعلى شيخ القبيلة مهمة إدارة المناقشات في مجلس القبيلة[6]، وان يقود القبيلة في الحرب، وهذا ما فعله هانيء بن قبيصة الشيباني في حرب ذي قار[7] الا أن شيخ القبيلة لا يستطيع إعلان الحرب أو عقد السلم وحتى الترحال دون موافقة مجلس القبيلة، كما وانه يتولي المفاوضات عنها مع القبائل الأخرى، وهذا ما قام به شيخ بني

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 136–138، والاسر هي آل حذيفة بن بدر الفزاري، وآل الاشعث بن قيس من كندة، وآل حاجب بن زرارة، وآل قيس بن عاصم بن تميم

(2) المصدر نفسه، ص 131–132

(3)دوزي، ص 14

(4)دوزي، ص 11

(5) العلي، محاضرات، ج1، ص 157 فما بعد

(6)دوزي، ص 14

(7) انظر الفصل الخامس بنضال بني شيبان ضد الفرس

شيبان هانيء بن قبيصة حينما تفاوض مع النعمان بن زرعه التغلبي رسول كسرى ابرويز قبل حرب (ذي قار)[1].

ومن واجبات الشيخ أيضاً الحكم في المنازعات والفصل فيها على الرغم من انه لا يحتكر القضاء إذ بإمكان المتخاصمين الرجوع إلى من اشتهر بدقة الحكم والعدالة من العارفين[2].

حقوق الرئيس (شيخ القبيلة):

أما حقوق رئيس القبيلة فقد أجملها غنمةالضبي حليف بني شيبان في مرثيته لبسطام بن قيس الشيباني:

لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول[3]

(والمرباع هو ربع الغنيمة) والصفايا هو ما يختاره الشيخ لنفسه من خير ما غنم، والحكم هو ان يبارز الفارس فارساً، قبل التقاء الجيشين فان قتله يبقي سلبه، والحكم في ذلك للرئيس. إن شاء رد سلبه في جملة ما غنم أو أعطاه للفارس، وأما النشيطة فهي ما حصل عليه الجيش اثناء تقدمه إلى هدفه[4]. والفضول هو الشيء غير القابل للقسمة من الغنائم كاللؤلؤة، والسيف، والجارية وغير ذلك[5].

مما تقدم نستنتج أن الحياة السياسية لبني شيبان بشكل خاص وعرب الجزيرة بشكل عام كانت قائمة أساسا على العصبية القبلية، وان مفاهيمهم في الحكم كانت ديمقراطية مبنية على أساس الانتخاب الحر، والفرد في القبيلة مصون محترم، ودفة

---

(1) ابن عبد ربه، ج5، ص 363

(2) العلي، محاضرات، ج1، ص 157 وما بعد

(3) ابو عبيدة، النقائض، ج1، ص 336، الجاحظ، الحيوان، ج1، ص 330

(4) العلي، محاضرات، ج1، ص 159

(5) الجاحظ، الحيوان، ج1، ص 330

الحكم تسير بضوابط خلقية مبنية على الثقة واحترام الآراء السديدة لفقدان السلطة المركزية والقانونية التي تحكم أفراد القبيلة.

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية

نقصد بالحياة الاجتماعية تلك الأعراف والعادات والتقاليد التي كانت تتحلي بها قبيلة بني شيبان والتي كانت بمثابة الدستور الذي تسير على هداه، من شجاعة وكرم ووفاء وعفة. ومكانة المرأة في الأسرة وفي المجتمع.

الشجاعة:

في ظروف بيئية صعبة كالتي عاشها العرب في جزيرتهم تفتقر إلى الحكومة المركزية، وما يترتب على ذلك من فقدان الأمن والاستقرار كان للشجاعة دورها الكبير في حياتهم.

وقبيلة بني شيبان اشتهرت بشجاعتها إذ استشهد الرسول ﷺ بشجاعتهم عندما جهز ﷺ جيشاً فأعجبه ما رأى من حالهم وعدتهم، فقال (والذي نفسي بيده لو لقوا أحمر الحماليق من بني أبي ربيعة[1] لهزموهم)[2]. كما روى أن عمر ﷺ سال عمرو بن معدي كرب عن قبائل العرب قائلاً له (فأي العرب تبغض أن تلقاه فقال، أما من قومي فوادعة من همدان، وغطيف من مراد وبلحرث من مذحج، وأما من معد فعدي من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر، وشيبان من بكر بن وائل)[3].

ويروي الواقدي ما يشير الى السمعة الرفيعة التي كانت تتمتع بها قبيلة بني شيبان من ضروب الحرب والشجاعة، حين تباهي أحد أفراد جيش فتح مكة بقوة هذا

---

(1) بني ابو ربيعة، بطن من شيبان، راجع الفصل الخاص بنسبهم

(2) ابن الكلبي، جمهرة النسب الكبير، الورقة 8، عن هشام عن عوانة ابن الحكم

(3) المسعودي، مروج، ج2، ص 325

الجيش لما امتاز به من عدد وعدة – حتى لو لقي بني شيبان – حيث قال (لو لقينا بني شيبان ما بالينا، ولا يغلبنا اليوم احد من قلة ...)[1].

وكما اشتهرت القبيلة بشجاعتها وقوة بأسها اشتهر أيضا من بين رجالها فرسان خلدهم التاريخ ومنهم بسطام بن قيس الشيباني، الذي عد واحداً من بين فرسان العرب الثلاثة المشهورين[2]. حتى ضرب به المثل فقيل (أفرس من بسطام)[3]. وهو **القائل:**

لعمري لئن ضجت تميم وعامر	*	**لقد كنت قدما في حلوقهم شجا**
اروني بمسعود وقيس وخالد	*	**وعمر وعبد الله ذي الباع والندي**
لكانوا على أفناء بكر بن وائل	*	**ربيعا إذا ما سال سائلهم جرى**
وسرت على آثارهم غير تارك	*	**وصيتهم حتى انتهت إلى المدى**[4]

وكان بسطام والحوفزان (الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس الشيباني) الشيبانيان من ربيعة المشهورين، اللذان قاد كل منهما اكثر من الف فارس[5].

ومنهم عوف بن أبي عمرو الشيباني الذي كانت له قبة (... لا يدخلها خائف إلا أمن)[6] لشجاعته ومكانته بين العرب.

---

(1) الواقدي، المغازي، ج3، ص 889

(2) المبرد، الكامل، ج1، ص 134

وفرسان العرب هم (عتيبة بن الحارث فارس تميم وعامر بن الطفيل فارس قيس وثالثهم بسطام : المبرد – المصدر نفسه، ج1، ص 134

(3) حمزة، الدرة الفاخرة، ج1، ص 333

أيضاً الزمخشري، المستقصي في امثال العرب، ج1، ص 268-269

(4)الأمدى، ص 83-84

(5) ابن حبيب، المحبر، ص 241-242

(6) المصدر نفسه، ص 241-242

وهكذا كانت الشجاعة عنصراً من عناصر توفير أمنهم حتى صارت جزءا من خلقهم تولد مع ولادة الفرد، في بيئتهم القاسية (يتوجسون للنبات والهيعات ويتفردون في الفقر والبيداء مدلين بباسهم واثقين بأنفسهم قد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة شجية)[1] حيث لا يرهبهم موت ولا ينتابهم خوف وبأس كما قال رجل من بني شيبان:

وما من ريـــب المنـــون بجبــاء[2] * وما انا من سيب الإلـــه ببـــائس[3]

الوفاء:

كان الوفاء من أنبل أخلاق العرب[4] وكانت كلمة الرجل عهداً يجب أن يفي به، وإلا عرض شرفه وكرامته للتجريح [5].

وهكذا نجدعوفاً بن محلم الشيباني الذي اتصف بالوفاء، وصورت لنا قصة مروان القرض بن زنباع العبسي وفاءه اصدق تصوير، ذلك أن مروان القرض غزا بكر بن وائل فتتبعوا أثر جيشه فأسره رجل منهم من تيم اللات بن ثعلبة، ولم يكن منيعا[6]، فأتي به أمه، فلما دخل عليها بمروان، قالت له، انك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرض فقال لها مروان وما ترجين منه، قالت، عظم فدائه، قال وكم ترتجين قالت مائة بعير.

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 125

(2) الجباء: الهيوب الجبان، الجاحظ، الحيوان، ج2، ص 256، هانش رقم 6

(3) الجاحظ، الحيوان، ج4، ص 256

(4) انظر حول الوافون من العرب : ابن حبيب، المحبر، ص 348

(5)الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 356

(6) ابن حبيب، المحبر، ص 349-350

قال مروان: ذلك على أن تؤدبني إلى عوف بن محلم[1]. وقيل إلى خماعة بنت عوف بن محلم، لما أشتهر به من الوفاء فقد كان ليث بن مالك المسمي المنزوف، لما مات أخذت بنو عبس سلبه، ثم مالوا إلى خبائه فاخذوا أهله وامرأته خماعة الشيبانية، وكان الذي أسرها عمر بن قارب وذؤاب ابن أسماء، فسال مروان خماعة من انت؟ قالت أنا خماعة بنت عوف بن محلم، فانتزعها من عمرو وذؤاب مستغلاً مكانته كأحد رؤساء قومه. وقال لها غطي وجهك والله لا ينظر إليه عربي حتى أردك إلى أبيك[2]، ووقع بينه وبين قومه شر بسببها، فضمها مروان إلى أهله إلى أن جاء الموسم، أحسن كسوتها وإكرامها وحملها إلى عكاظ، فلما انتهي بها إلى منازل بني شيبان قال لها: هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك؟ قالت هذه منازل قومي وهذه قبة أبي قال فانطلقي إلى أبيك فخبرته بصنيع مروان[3].

فكانت هذه منةً لمروان على خماعة وأبيها عوف، ولهذا طلب من أم أسيره أن توصله إلى عوف أو خماعة، فمضت به إلى عوف بن محلم فبعث إليه عمرو بن هند أمير الحيرة أن يأتيه به. وكان عمرو قد وجد على مروان في آمر فآلي أن لا يعفو عنه حتى يضع يده في يده، فقال عوف حين أتاه رسول الملك قد إجارته ابنتي وليس إليه سبيل. فخبر عمرو بن هند بذلك فقال آلية أن لا أعفو عنه أو أضع يده في يدي قال عوف يضع يده في يدك على أن تكون يدي بينهما. فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك فجاء عوف بمروان وادخله على الملك فوضع يده بيده، ووضع عوف يده بين يديهما فعفا عنه الملك[4]، فقال عمرو بن هند (لا حر بوادي عوف)[1] فراحت مثلاً لوفائه.

---

(1) المصدر نفسه، ص 349-350

(2) الميداني، ج2، ص 375

(3) المصدر نفسه، ج2، ص 375

(4) ابن حبيب، الحبر، ص 349-350

وقصة هانيء بن قبيضة الشيباني بعدم تسليم أمانة النعمان الأخير للفرس مظهر آخر من مظاهر وفاء بني شيبان كما سنوضح ذلك.

كرمهم:

وكان الكرم سمة مميزة لعرب ما قبل الإسلام، في تلك البيئة الصحراوية القاحلة، المتسمة بقلة ما تجود به عليهم. إلا أن العرب لم تبخل بشيء على ضيوفهم فإذا (الم بهم ضيف حكموه على أنفسهم، واستهانوا له ما وجدوه من نفيسهم)[2] وهكذا حال العرب على مر العصور.

ويكاد يكون كرمهم يتجلي بصورة أكثر توضيحاً إذا ما عرفنا أنهم كانوا لا يبخلون بشيء في أحلك الظروف، فنراهم يقدمون ما يملكون في أوقات المحل وقلة الغذاء كما في قول الشاعر عدي السكوني في مدحه لبني شيبان:

ومن تكـرمهم فـي المحـل أنهـم * لا يشعر الجار فيهم انـه الجـار[3]

وقد اشتهرت شخصيات شيبانية بكرمها وسخائها، فهوذة بن مرة الشيباني عقد على نفسه عهداً، ان يطعم ضيوفه ما هبت الريح شمالاً وله يقول رفاع بن اللجاج:

ومنا الـذي حـل البحيـرة شـاتيا * وأطعم أهل الشام غيـر محاسـب[4]

أما الخصيب الشيباني عامر بن عمرو بن أبي ربيعة فقد سمي بالخصيب لجوده[5]. وذلك لما اشتهر به من اسراف في الكرم.

---

(1)الحوفي، الحياة العربية، ص 285 وما بعد

(2) الاوسي، ج1، ص 46

(3) ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج1، ص 341، الامدى، ص 128

(4) ابن حبيب، المحبر، ص 143-144

(5) المصدر نفسه، ص 143-144

وروى عن قيس بن مسعود الشيباني انه كانت له مائة ناقة معدة للأضياف وكلما قل عددها بسبب تردد الضيوف أتمها[1]. وفيه يقول الشماخ:

فادفع بألبانها عنهم كما دفعت * عنهم لقاح بني قيس بن مسعود[2]

وذكر انه كانت لعوف بن محلم بن أبي عمرو الشيباني قبة لا يدخلها جائع إلا اشبع.[3]

هذه بعض الأمثلة عن كرم بني شيبان تلك الميزة السامية التي اتصفوا بها، ولم يكن الكرم حكراً عليهم بل هو سمة عامة اتصفت به جل القبائل العربية حتى وصل عند بعضهم حد الإسراف فيه كما في قول الشاعر:

رحلنا وخلفنا على الأرض زادنا * وللطير من زاد الكرام نصيب[4]

على أن للكرم صورة في كل زمان ومكان وحسب الحاجة ولم يكن مقصوراً على الجود بالمال وحسب، فمن صنوف الكرم الأخرى التي اتصف بها بنو شيبان قديماً فك الأسرى والعانين وهذا ما نسبته أم بسطام لابنها برثائها له بقولها:

سيبكيك اسري طالما قد فككتهم * وأرملة ضاعت وضاع عيالها

ويبكيك عان لم يجد من يفكه * ويبكيك فرسان الوغي ورجالها[5]

---

(1) المصدر نفسه، ص 143-144

(2) المصدر نفسه، ص 143-144

(3) المصدر نفسه، ص 241-242

(4) ابن المجاور، المستبصر، ص 222

(5) زينب فواز، الدر المنثور، ص 55

حماية الجار:

وأعز العرب الحليف والجار وضحوا من أجل حمايته إلى حد الموت، وذلك انه إذا مات دفع حاميه ومجيره ديته إلى أهله[1].

وممن ضرب به المثل في حماية الجار من بني شيبان عوف بن محلم[2]. ذكر المفضل الضبي أن مقاس العائذي، مدح بني ذهل بن شيبان بن ثعلبة وبني شيبان جميعاً، بما لقي فيهم من حسن الجوار وكمال الحزم والباع حيث قال:

إلا ابلغ بني شيبان عني	*	**فلايك من لقائكم الوداعا**
يعيش صالح ما دمت فيكم	*	**وعيش المرء يهبطه لماعا**
إذا وضع الهزائز آل قوم	*	**فزاد الله آنكم ارتفاعا**
فقد جاورت اقواماً كثيرا	*	**فلم أر مثلكم حزماً وباعا[3]**

وقصة البسوس جارة جساس بن مرة الشيباني ضرب آخر من ضروب حماية الجار ورعايته عند بني شيبان[4].

ومدح عدى بن يزيد السكوني بني شيبان وكان نازلاً بينهم في حديثه عن يوم ذي قار بأنهم يخلطون جارهم بأنفسهم ويكرمونه ويحمونه، حتى لا يشعر بينهم انه جار لهم بل عزيز بينهم

أني حمدت بني شيبان اذ خمدت	*	**نيران قومي وشبت فيهم النار**
ومن تكرمهم في المحل أنهم	*	**لا يشعر الجار فيهم انه الجار**
حتى يكون عزيزاً من أنفسهم	*	**أو أن يبين جميعاً وهو مختار**
كأنه صدع في رأس شاهقة	*	**من دونه لعتاق الطير أوكار[5]**

---

(1)الجوفي، الحياة العربية، ص 285 فما بعد

(2)انظر ما كتباه عن وفائهم

(3)الضبي، المفضليات، ص 305

(4) انظر الفصل الخاص بـــ(علاقات بني شيبان الخارجية)

(5)الأمدي، ص 128 أيضاً ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص 341 أيضاً القالي، الأمالي، ج1، ص 40

وكان كطر بن شريك الشيباني من رجالات بني شيبان الذي اشتهر في حماية الجار والذود عنه كما قال الشاعر عنه:

لو كنت جار بني هند تداركني * عوف بن نعمان أو عمران أو مطر[1]

بهذه الروحية العالية كان يتعامل العرب مع جيرانهم تلك الروحية التي سمت وغرست في نفوسهم إلى يومنا هذا فكانوا غير هيابين مما قد يلاقيهم من شرور في سبيل حماية جارهم، وهذه هي سنة العرب في حياتهم قبل الإسلام وبعده.

العفة[2]:

وفي بيئة كالتي عاش بها العرب في جزيرتهم والتي قامت فيها الأخلاق على الإباء والاعتزاز بالشرف، كان لابد للرجال والنساء من التعفف لأن العدوان على العرض معناه جر فاعله إلى ويلات الحرب، فكان إذاً لابد من حماية العرض من أن يمس أو يلطخ بالعار[3].

واعتبرت العفة مما يعزز شروط السيادة الأخرى، لذلك كانت العفة أحد أسباب تفضيل بسطام بن قيس الشيباني على منافسه، (ومما فضل بسطام ابن قيس على عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث بن شهاب أن بسطام كان فارساً عفيفاً جواداً وكانعتبة فارساً عفيفاً بخيلاً، وكان عامر فارساً جواداً عاهراً، فاجتمعت في بسطام ثلاث خصال شريفة ففضلها بسطام)[4]

---

(1) ابن دريد، ص 359-360.

(2) العفة: (جاء في اللسان) العفة الكف عما لا يحل ويجعل عف عن المحارم الاطماع الدنية يعف عفة وعفا وعفافاً وعفافةً، فهو عفيف وعف أي كف وتعفف واستعفه واعفه الله. وفي التنزيل وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا، فسره ثعلب فقال: ليضبط نفسه بمثل الصوم فانه وجاء. وفي الحديث من يستعفف يعفه الله، الاستعفاف : طلب العفاف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس ...) ابن منظور : مادة عفف.

(3)الحوفي، الحياة العربية، ص 361.

(4) ابن قيم الجوزية، اخبار النساء، ص 145

المبحث الثالث

الحياة الدينية

عبادة الأصنام:

كانت عبادة الأصنام منتشرة في بلاد العرب، يعبدونها مع إقرارهم بالله سبحانه وتعالي[1] وذكر ابن اسحق (ت 151هـ) أن أول من نقل عبادة الأصنام إلى الجزيرة العربية هو عمرو بن لحي[2]. حيث خرج إلى الشام ورأي قوماً يعبدونها فأخذ منهم صنماً وأتي به إلى مكة ونصبه في الكعبة[3] وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[4].

وبلغ من اهتمام العرب بعبادة الأصنام بعد انتشارها (انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم...)[5] حتى (اتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه)[6].

ومما هو جدير بالذكر أن العرب قبل دخول عبادة الأصنام إلى جزيرتهم كانوا على دين إبراهيم[7]. ولهذا مزجوا في عبادتهم بين التمسك في تعظيم البيت من

---

(1) ابن حبيب، المحبر، ص 311

(2) ابن هشام، سيرة النبي، ج1، ص 82، المسعودي، مروج، ج2، ص 29-30

(3) المسعودي، مروج، ج2، ص 29-30

(4) بان هشام، ج1، ص 82

(5) ابن الكلبي، الاصنام، ص 6

(6) ابن هشام،ج1، ص 86-87، وفي رواية عن ابن اسحق

(7) المصدر نفسه، ج1، ص 86-87

الطواف به والحج والعمرة والتلبية بوحدانية الله، وبين عبادة الأصنام وكان بعضهم يشرك في تلبيته، إذ كان لكل قبيلة تلبية خاصة بها[1] وكانت تلبية بن وائل:

لبيك حقاً * تعبداً ورقاً

جئنا للنصاحة * لم نأت لرقاحة[2]

ويظهر من نص ابن حبيب والمعري أن بكر بن وائل ومنهم بنو شيبان كانوا قبائل يحجون إلى مكة إلا أننا لا نعرف كيفية حجهم وهل كانوا حُمساً أم حُلة أم حُلسا[3]، كما لا نعرف كيف دخلت الأصنام إلى وسط الجزيرة ومنها إلى بكر بن وائل وبني شيبان بصورة خاصة.

وعلي الرغم من انتشار عبادة الأصنام في وسط الجزيرة العربية بين سائر قبائل العرب تقريباً إلا أن تأثيرها في قبائل ربيعة ومضر لم يكن كليا، إذ أشار ابن الكلبي إلى أن ربيعة ومضر كانت عل بقية من دين إسماعيل (ع)[4].

ومع ذلك فقد ذكرت المصادر عددا من الأصنام التي عبدتها قبيلة بكر وبطونها.

ولعل من أشهر أصنامهم ذا الكعبات وقد عبدته معها قبيلتا تغلب وأياد بسنداد[5]. وكان له بيت بها[6]، ويشير اليعقوبي إلى أن ذا الكعبات كان لربيعة

---

(1) ابن حبيب، المحبر، ص 311

(2) المعري، رسالة الغفرات، ص 528

(3) انظر حول هذه التقسيمات ابن حبيب، المحبر، ص 178-179

(4) ابن الكلبي، الاصنام، ص 13

(5) سنداد ناحية بسواد الكوفة من منازل اياد، البكري، ج1، ص 69

(6) ابن هشام، ج1، ص 64، ابن حزم، ص 460، البكرى، ج1، ص 460، البكري، ج1، ص 69

واياد[1]. ولعله أراد بربيعة قبيلتي بكر وتغلب ابني وائل، ولذي الكعبات يقول اعشى قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذي الكعبات من سنداد[2]

ومن أصنامهم أيضا، المحرق وكان بسلمان[3]، من مياه بني شيبان اتخذته بكر وسائر ربيعة معبوداً لها وجعلوا له كل حي من قبائل ربيعة ولدا وكان آل الأسود العجليون سدنة المحرق[4].

وعبدت بكر بن وائل صنماً اسمه عوض في حجر اليمامة قال البكري (قال رجل من عنزة قديم يخبر أن عوضا صنم لبكر كلها) وله ذكر في البيتين التاليين:

حلفت بمائرات حول عوض * وانصاب تركن لدى السعير

أجوب الدهر أرضا شطر عمرو * ولا يلق بساحتها بعير[5]

وعبدت قبيلتا بكر وتغلب ابني وائل صنما آخر اسمه أوال[6]. وربما كان ذلك في نواحي البحرين[7].

---

(1) اليعقوبي، التاريخ، ج1، ص 296.

(2) ابن هشام، ج1، ص 94، وللايضاح فإن بن اسحق استشهد بالبيت أعلاه للتعريف بذي الكعبات، واسنده للأعشى قيس بن ثعلبة بينما قال ابن هشام (هذا البيت للأسود بن يعفر النهشلي، نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم في قصيدة له أنشد فيه ابو محرز خلف الأحمر:

أهل الخورنق والسدير وبارق *** والبيت ذي الشرفات من سنداد

وربما قيل هذا البيت في مناسبة أخرى ومن نظم الأسود بن يعفر، وهذا لا يتناقض مع ما ذكره الاعشى عن ذي الكعبات صنم بكر بن وائل. انظر ابن هشام، المصدر السابق، مع الصفحات.

(3) سلمان (ماء لبني شيبان على طريق مكة الى العراق وفيه مات نوفل بن عبد مناف، الحميري، ص 318

(4) ابن حبيب، المحبر، ص 317، ايضا ياقوت، معجم ابلدان، ج4، ص 84.

(5)البكري، ج1، ص 84.

(6) ياقوت، معجم البلدان،ج1، ص 395، ايضا المشترك وصفا، ص 29، الزبيدي، تاج العروس، ج1، ص 58-59

(7) أوال بالضيافة الى كونه صنم فهو (جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين، ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 395

الوحدانية:

نقصد بالوحدانية الديانات السماوية وخاصة اليهودية والمسيحية، أو عبادة الرحمن التي انتشرت في اليمن واليمامة. حيث دخلت اليهودية إلى جزيرة العرب من الشام عبر المدن التجارية بين الشام والحجاز واليمن مثل: فتك وأذرعات ويثرب وغيرها من المدن. أما المسيحية فأكثر وجودها كان في جنوب الجزيرة العربية ودخلتها عن طريق الحبشة وتمركزت في نجران، وقد وردت قصتهم في القرآن الكريم في سورة البروج.

فبالنسبة إلى اليهودية لا تشير المصادر إلى أن أحداً من بني شيبان قد تهود، كما وإن عبادة الرحمن لم تنتشر بينهم إلا في بني بكر بن وائل[1].

أما الديانة النصرانية فقد كانت معروفة أكثر عند قبائل وسط وشمال الجزيرة وذلك لعلاقتها بالحيرة والغساسنة.

ويبدو أن النصرانية دخلت بلاد العرب عن طريقين الأول من الجنوب عن طريق الحبشة[2]. كما جاءتهم من الشمال بعد أن حطم تيتس القدس عام 70م[3]وأخذت بالانتشار في قلب جزيرة العرب إلا أن انتشارها كان ضعيفا[4]. حتى أنها لم يكن لها أتباع قاوموا الرسول ﷺ في مكة والمدينة.

ويبدو أن المسيحية كانت أكثر انتشاراً في شمال الجزيرة فأدان بها اللخميون في أواخر حكمهم والغساسنة وبعض ربيعة[5].

---

(1) انظر حول عبادة الرحمن، الحديثي، اليمامة وردة مسيلمة، ص 111.

(2)الهاشمي، خالد بن الوليد في العراق، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج 2، 1955، ص 340.

(3) المصدر نفسه، ص 34.

(4)الحوفي، الحياة العربية، ص 143.

(5) الجاحظ، رسالة الرد على النصاري، ص 15-16.

وربما دخلت المسيحية إلى العراق في القرن الثالث المسيحي[1] ومن الباحثين من يرى أن دخولها للعراق كان في المائة الأولي للميلاد[2]. إلا أن انتشارها وتزايد مريديها كان مع نهاية القرن الرابع الميلادي. حيث أصبح في العراق أكثر من أربعمائة دير وأربع وعشرون فرقة للرهابنة[3].

هذا وليست لدينا معلومات مفصلة عن تنصير بني شيبان وانما هنالك ما يشير إلى تنصر بعض الشخصيات الشيبانية وربما الأسر سأذكرها فيما بعد. أما ما ذكره الجاحظ عن تنصر بني شيبان وبعض القبائل الأخرى مشيراً إلى مخالفتهم دين مشركي العرب (... كتغلب وشيبان وعبد القيس وكثير من بلحرث بن كعب)[4]. فأننا لا يمكن أن نركن إليه كأساس لتنصر القبيلة جميعا.

ولكن لدينا معلومات تشير إلى تنصر بعض الشخصيات فذكر ابن دريد إلى أن هانيء بن قبيصة زعيمشيبان في حرب ذي قار، كان نصرانياً، أدرك الإسلام إلا انه لم يسلم ومات في الكوفة[5].

ويمكن أن نستشف من شعر جرير حينما عير الفرزدق بحدراء بنت زيق ابن بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني بأنها كانت على دين النصرانية كما في قوله:

وما عــدلت ذات الصــليب ظعينــة * عتيبة والردفان منهــا وحاجــب[6]

وقوله (ذات الصليب يريد حدراء وذلك أن أجدادها كانوا نصاري فعيره بذلك)[7] وهي من سلالة ذي الجدين الشيباني.

(1) مسكوني، يوسف يعقوب، نصاري كسكر وواسط قبل الاسلام، ص 634

(2)بابو اسحق، تاريخ نصاري العراق، ص 2

(3) مسكوني، ص 637

(4) الجاحظ، الحيوان، ج7، ص 216

(5) ابن دريد، ص 359

(6) ابو عبيدة، النقائض، ج2، ص 808

(7) المصدر نفسه، ج2، ص 808

وحينما أسر عتيبة بن الحارث بسطام بن قيس في يوم الغبيط وحاول اخوه بجاد انقاذه، ناداه بسطام (إن كررت فأنا حنيف وكان بسطام نصرانياً)[1].

ويمكن أن نستدل من الرواية أعلاه أن بسطام كان نصرانياً وربما بجاد أيضاً لتنفيذه أمره، وهم من سلالة ذي الجدين أيضاً.

وروى أن خالداً بن الوليد أثناء تقدمه إلى عين التمر أصاب اثنين من نصاري بكر بن وائل أحدهما جابر بن بجير والآخر الأسود العجلي فاسرهما[2].

وذكر الاصفهاني أن نابغة بني شيبان – الشاعر – كان متأثراً بالنصرانية وفد إلى الشام لمدح خلفاء بني أمية (... ومن المحتمل أن يكون نصرانياً لأنه في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان وبالإيمان التي يحلف بها النصارى[3].

وهناك إشارات في أبيات من الشعر لبعض بني مرة الشيباني يرثي أخاً له مات فدفنه إلى جانب دير الخنافس الذي يقع شرقي الموصل إذ يقول:

بقربك يا دير الخنافس حفرة	*	**بها ماجد رحب الذراع كريم**
طوت منه همام بن مرة في الربي	*	**قمر ينير الليل وهو بهيم**
سقاك وسقاه وسقي ضريحه	*	**اجش من الغر العذاب هزيم**
فيا دير أحسن ما استطعت جواره	*	**فاني غاد عنك وهو مقيم[4]**

(1) ابن عبد ربه، ج5، ص 197، ايضا ابو عبيدة، النقائض، ج1، ص 313

(2) بان خلدون، العبر، م4، ص 890

(3) كان نابغة بني شيبان كثير التردد على الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان، وابنه يزيد وقد مدح مرة عبد الملك بن مروان في قصيدة نذكر منها:

يظل يتلوا الانجيل يدرسه *** من خشية الله قلبة طفح

انظر الاصفهاني، ج7، ص 107-107

(4)الشابشتي، الديارات، ص 414 ديل (75)

وذكر أن نساء بني مرة الشيباني تنوح عليه وعلى موتاهم بهذه الأبيات، وكانوا إذا نزلوا بهذا الدير نحروا عليه وأقاموا المأتم[1].

وربما أن موقف بني مرة هذا يدل على ميلهم إلى النصرانية إلا انه لا يدل على تنصر بني مرة ولذا فان هذا الموقف لا يعطي صفة الجماعية لاعتناق النصرانية، لبطن من بني شيبان، لذلك فان هذه الرواية وما ذكره الجاحظ لا تجعلنا نتجاوز الإستنتاج الذي خرجنا به، وهو عدم وجود إشارة صريحة وواضحة لتنصر بني شيبان كقبيلة، وأن من تنصر منهم لا يتجاوز أفراد قلائل وفي أغلب الأحوال عوائل وأسر محدودة كآل ذي الجدين كما أشار الجاحظ إلى ذلك صراحة من تأكده على تنصر آل ذي الجدين الشيبانيين خاصة[2].

ولا نعرف الا الشيء القليل عن هؤلاء الأشخاص أو البطون التي تنصرت كما لا نعرف عن طبيعة نصرانيتها ومدى تمسكها بها إذ أن بمجيء الإسلام صرنا لا نسمع عن شيباني بقي على نصرانية عدا هانيء بن قبيصة، وهذا ما يجعلنا نعتقد بان النصرانية كانت سطحية في نفوسهم ولذا تقبلوا الإسلام بسرعة[3].

كما إننا لا نعرف طبيعة المذهب الذي كان عليه هؤلاء النصارى، إذ ليست لدينا معلومات تشير إلى مذهبهم وان كانت الفرق النصرانية تحاول أن تجعل النصارى العرب جميعاً من أتباعها.

---

(1) المصدر نفسه، ص 414، ذيل (25).

(2) الجاحظ، رسالة الرد على النصاري، ص 15-16.

(3) انظر حول النصرانية عند العرب قبل الاسلام، جواد على، المفصل في تاريخ العرب، ج6، ص 665 فما بعد.

المبحث الرابع

مكانة المرأة في قبيلة بني شيبان

كان دور المرأة الشيبانية واضحاً في مجتمعها وقد لقيت احتراماً واعتزازاً كبيراً من لدن الرجل.

وللمكانة الجيدة التي تمتعت بها المرأة الشيبانية لم يجد الرجل حرجاً من التكني بها والانتساب إليها، حتى لو كان من الملوك والأشراف كما في قول بشر بن أبي حازم في مدحه للحارث الكندي:

فالي ابن أم ايـــاس اعمـــل نـــاقتي * عمرو فتنجح حاجتي أو ترجف[1]

وأم إياس المذكورة هي بنت عوف بن محلم الشيباني، وذكر أن عمرو بن حجر الكندي، لما خطب أم اياس من أبيها اشترط عليه أن يسمي بنيها ويزوج بناتها فأجابه عمرو (أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا وأما بناتنا فننكحهن أكفاءهن من الملوك)[2] وهذا يدل على مدى اعتزاز الأسرة بها ومدى إجلالها والحرص عليها حتى بعد زواجها.

ولعلو منزلتها عند بني شيبان وسمو مقدرتها كانت أسرتها تجلها وتحترمها إلى حد إجارتها للهارب. وهذا ما فعلته خماعة الشيبانية مع مروان القرض، اذ أن أباها عوف أبي إلا أن ينفذ رغبتها بعدم تسليم مروان لعمرو بن هند وفاء لوفاء سابق له تجاهها[3].

---

(1) الاصفهاني، ج16، ص 357.

(2) ابن عبد ربه، ج6، ص 83، ايضا الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص 88.

(3) ابن قيم الجوزية، ص 110، الزمخشري، المستقصي في امثال العرب، ج1، ص 137.

وكانت المرأة الشيبانية تخطب الى ذويها لارتباطها القوي بأسرتها إذ (كانوا يخطبون المرأة إلى أبيها أو أخيها أو عمها أو بعض بني عمها)[1] إذ خطب آكل المرار الكندي من عوف الشيباني ابنته أم اياس[2].

والعادة أن يرسل الخطيب ذويه أو أحد أقاربه للخطبة وقد يخطب الشخص المرأة بنفسه من أسرتها، إذ خطب لقيط بن زرارة إلى قيس بن خالد الشيباني علانية فقال له قيس (من أنت؟ قال: لقيط بن زرارة. قال وما حملك أن تخطب إلي علانية؟ قال: لأني عرفت إني إن عالنتك لم أفضحك وإن ساررتك لم أخدعك: فقال كفء كريم لا تبيت والله عندي عزباً ولا غريباً فزوجه ابنته وساق عنه)[3].

وكانت المرأة الشيبانية تقوم بواجباتها في بيتها ومساعدة زوجها في إعماله وخدمته فيروى أن جليلة الشيبانية كانت تغسل رأس زوجها كليب[4].

وإذا كانت المرأة الشيبانية تؤدي واجباتها تجاه بيتها وزوجها بالشكل المطلوب، في أوقات السلم فلم يقل دورها أهمية في أوقات الحرب فكن يشتركن في الحروب ويركب عدد منهن الجمال ليغنين وليذمرن المقاتلين على القتال، وهذا ما حصل لنساء بكر وشيبان وعجل في معركة ذي قار[5] وكانت نساء العرب يقمن بمراقبة مؤخرة العدو والجوانب لئلا يباغتهم[6]، ولابد أن نساء بني شيبان كن يقمن بنفس الدور.

---

(1) ابن حبيب، المحبر، ص 310-311.
(2) ابو عبيدة، النقائض، ج2، ص 905، الاصفهاني، ج5، ص 35-36.
(3) ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج4، ص 17.
(4) ابو عبيدة، النقائض، ج2، ص 35-36.
(5) انظر الفصل الخامس الخاص بنضال بني شيبان ضد الفرس.
(6) الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص 74.

أما عن عصبية المرأة الشيبانية فكانت في الغالب مع قبيلتها لا مع قبيلة زوجها وهذا ما حصل لجليلة بنت مرة الشيبانية[1].

وظهرت في بني شيبان شاعرات كجليلة بنت مرة وفي قصيدتها التي ردت بها أسماء أخت كليب بعد خروجها من مأتم زوجها ما يدل على رجاحة عقلها، وقوة تعبيرها في أحلك الظروف واشقاها، قالت جليلة:

يا ابنة الأقوام شئت فلا	*	**تجعلي باللوم حتى تسالي**
فإذا أنت تبينت الذي	*	**يوجب اللوم فلومي واعذلي**
أن تكن أخت أمريء لميت على	*	**شفق منها عليه فافعلي**
جل عندي قتل جساس فيا	*	**حسرتي عما انجلت أو تنجلي**
فعل جساس على وجدي به	*	**قاطع ظهري ومدن اجلي**
لو بعين فقئت عيني سوي	*	**أختها فانفقأت لم احفل**
تحمل العين قذي العين كما	*	**تحمل الام اذي ما تقتلي**
يا قتيلا قوض الدهر به	*	**سقف بيتي جميعا من عل[2]**

ما ذكرناه عن المرأة الشيبانية يمثل جزءاً من حياة العرب مثلته شيبان في اعتزازها للمرأة وإجلالها لها، ولاحظنا مدى المكانة التي كانت تتمتع بها، ومدى ارتباطها بأسرتها وقبيلتها حتى إننا لم نجد في المصادر إشارة عن عادة الوأد وانتشارها بينهم إذ كانت تتمتع بحظ وافر من الحرية وظلت كذلك بعد الإسلام[3].

---

(1) انظر الفصل الخاص بعلاقات بني شيبان الخارجية (حرب البسوس)

(2) الاصفهاني، ج5، ص 63-65، شيخو، رياض الادب، ص 10، زينب، فواز، ص 135

(3) حتى واخرون، تاريخ العرب المطول، ج1، ص 37

ومما هو جدير بالذكر أن المصادر لم تمدنا بمعلومات عن الطلاق والعدة وأنواع الزواج في بني شيبان إلا ما ذكر عن المرأة العربية في هذا المجال بشكل عام[1].

نشاط المرأة الشيبانية:

كان دور المرأة الشيبانية واضحاً في مجتمعها، لعلو منزلتها عند بني شيبان وسمو مقدرتها كانت أسرتها تجلها وتحترمها[2]، وكانت تخطب إلى ذويها لارتباطها القوي بأسرتها، وكان ذووها يغالون في مهرها، فلما تقدم الشاعر الفرزدق لخطبة الحد راء بنت زيد، طلب زيد بن بسطام مائة من الإبل، ولما ماتت رثاها في كثير من إشعاره[3].

وكانت كثيرة الحرص علي الإخلاص لبيت زوجها وأجلت من قبل أسرتها حتى بعد زواجها[4].

وظهرت في بني شيبان شاعرات، يمكن اعتبارهن رائدات في الحركة الفكرية، مثل (مليكة الشيبانية) التي غلب علي شعرها الرثاء، حيث قالت في حق الضحاك بن قيس الشيباني[5].

مرارة في العيش دائمة * وحرارة كحرارة الجمر

ذهب الذي قد كان يأمرنا * بالخير والمعروف والذكر

---

(1) انظر حول الزواج والطلاق عند العرب، حبيب، المحبر، ص 309-330

(2) كحالة، عمر رضا، أعلام النساء 19/4.

(3) ينظر: المبرد، الكامل،28/4، ضيف شوقي، العصر الإسلامي، دار المعارف مصر، ط7، (د،ت)،270.

(4) دعبول، تراجم إعلام النساء، 93

(5)ينظر المبرد، الكامل،40/4، المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 348ه)، أشعار النساء، تحقيق،د، سامي مكي العاني وآخرون، دار الرسالة بغداد، (396ه-1976م،196.

مما تقدم، أن المرأة الشيبانية في العصر الأموي كانت امتداداً لشخصية سلفها من النساء العرب قبل الإسلام.

أما عن الدور الذي قامت به (غزالة) زوجة شبيب في قيادة المعركة التي خاضها مع جيوش الخلافة الأموية علي عهد عبد الملك بن مروان، فكانت حديث الشعراء في شعرهم[1]، ولم تكن تلك الشجاعة وحدها، فكانت والدة شبيب متميزة بالشجاعة أيضاً[2].

و(الفارعة بنت طريف) شاعرة من شاعرات العصر العباسي، إذ تمثلت بشخصية الخنساء الشاعرة العربية، وانتهجت طريقها في الرثاء، فقالت في مصرع أخيها الوليد[3].

أيا شجر الخابور مالك مورقاً * كأنك لم تحزن علي ابن طريف

فتي لا يحب الزاد إلا من التقي * ولا المال إلا من قنا وسيوف

وإذا كانت المرأة الشيبانية تؤدي واجباتها تجاه أسرتها في أوقات السلم فأن دورها في أوقات الحرب لم يكن اقل شأناً ومكاناً.

و (الفارعة) شاركت في جيش أخيها الوليد، وكانت (ملثمة) وقاتلت قتالاُ شديداً ضد جيش الخلافة العباسية، وحاولت أن تأخذ الثأر لأخيها، ولكن قائد الجيش العباسي (يزيد بن مزيد) تمكن من إيقافها عن القتال،وأمن مسيرتها إلي أهلها[4].

---

(1) صرعت غزالة قلبة بكتيبة تركت مسامعه كأمس الدابر

ليث الخوان وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

(2) ينظر: أبن اعثم، الفتوح،89/7، الزركلي، الأعلام، 309/5، كحالة، إعلام النساء،7/4

المرزباني: أشعار النساء،194ن مجهول، العيون والحدائق، 297/3

(3) الذهبي، سير إعلام النبلاء،232/8، القدسي، مطهر بن طاهر (ت 507ه) البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط1، (د. ت)،102/6، كحالة، إعلام النساء، 20/4-21.

(4) ابن كثير، البداية،204/9، كحالة، إعلام النساء،22/4، النص، العصبية القبلية، جريدة الأسبوع الأدبي، عدد (823) في 2002/9

الباب الثاني

الحياة السياسية لقبيلة بني شيبان

الفصل الأول

دور بني شيبان السياسي قبل الإسلام

- المبحث الأول: مكانة قبيلة بني شيبان
- المبحث الثاني: حرب البسوس أسبابها وحوادثها
- المبحث الثالث: الصلح بين شيبان وتغلب
- المبحث الرابع: علاقة بني شيبان بالمناذرة
- المبحث الخامس: علاقة بني شيبان بالقبائل الأخرى

المبحث الأول

مكانة قبيلة بني شيبان

احتلت قبيلة بني شيبان مكانه متميزة بين قبائل العرب في وسط الجزيرة عامة وربيعة بشكل خاص، وقد اشاد الرواة بهذه المكانة حيث ذكر أبو عبيدة "إذا كنت من ربيعة ففاخر بشيبان والق بشيبان وكاثر بشيبان"[1] وروى عن ابن الكلبي قول أبيه "العدد من ربيعة والبيت والفرسان من شيبان"[2].

وروى أبو عبيدة أن النعمان الاخير ملك الحيرة كان يسقي شيخ بني شيبان بعده مباشرة حينما وفد اليه رؤساء القبائل العربية، وذلك لمكانته بين شيوخ العرب، فذكر أن بسطاماً بن قيس وفد إلي النعمان مع وفود ربيعة ومضر فسقت القينة النعمان ثم أخذت تنظر إليه كي يأمرها بمن تسقيه وتفضله من الوفد فنظر في وجهها ثم اطرق ثم رفع رأسه وانشأ يقول:

أسقي وفودك مما كنت ساقيتي * وأبدي بكأس بن ذي الجدين بسطام

أغر ينميه من شيبان ذو انف * حامي الذمار وعن أعراضها رام[3].

وروى ابن الكلبي أيضاً أن كسرى قال للنعمان بن المنذر يوماً هل في العرب قبيلة تشرف علي قبيلة، قال نعم، قال فبأي شيء قال من كانت له ثلاثة أباء متوالية

---

(1) ابن قتيبة: عيون الاخبار، ج1 ص293.

(2) الالوسي: د2، ص189.

(3) الالوسي: ج1 ص280.

رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال رابع فالبيت من قبيلته فيه وتنسب إليه فطلب منه كسري ذلك فلم يصبه إلا في ثلاث من العرب منهم آل ذي الجدين من بني شيبان[1].

مما سبق يمكن أن نستنتج أن بني شيبان كانت لهم مكانتهم بين القبائل العربية الربعية والمضرية، حتى قيل عن بني شيبان "جاء الإسلام وليس في العرب أحد أعز داراً ولا أمنع جاراً ولا حليفاً من بني شيبان"[2].

ومما هو جدير بالذكر أن معلوماتنا عن تاريخ بني شيبان وبكر لا يمكن أن تتجاوز بداية القرن الخامس الميلادي، إذ ورد ذكر بكر لأول مرة علي مسرح التاريخ السياسي في القرن الخامس الميلادي، عندما كانت هذه القبيلة وتميم وعبد القيس، تقوم بالإغارة علي الدولة الساسانيه المجاورة لهم إذ كانوا في ذلك العهد يسكنون البحرين واليمامة[3].

علاقة بني شيبان بكندة:

وضع اولندر الذي درس كندة بتفصيل جيد فترة حكم حجر آكل المرار الكندي في الثلث الأخير من القرن الخامس الميلادي[4] وقد نجح حجر في جمع شمل القبائل العربية التي تسكن وسط الجزيرة العربية وعلي رأسها بكر وتغلب أبني وائل. فامتد سلطانه إلي اليمامه[5]. بهذا أصبحت بكر بن وائل ومن ضمنهم شيبان تحت سلطان كندة.

---

(1) الألوسي، ج1، ص281.

(2) ابن الأثير: الكامل ج1، ص607–608، رواية أبو عبيدة.

(3) الطبري: تاريخ، ج2، ص57.

(4) أولندر: ص70.

(5) أبن حبيب: المحبر ص369.

وقد ساهم بنو شيبان وبكر في الفعاليات العسكرية، التي قادها حجر الكندي، فذكر أبو عبيدة أن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم ابن حماطة بن سعد بن سليحالقضاعي الذي كان يحكم أطراف بلاد الشام غزا مملكة كندة عندما كان حجر ملكاً علي ربيعة ومنزله في غمر ذي كندة[1].

مستفيداً من فرصة انشغال حجر بغزوة قام بها إلي البحرين. أغار بن الهبولة علي مملكته وأخذ مالاً كثيرا وسبي امرأة حجر، هند بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية، وأخذ نسوة من بني شيبان منهن أم إناس بنت عوف بن محلم الشيباني وهي أم الحارث بن عمرو بن حجر الكندي[2]. ولام أناس بنت اسمها هند تزوجها المنذر بن ماء السماء اللخمي[3].

ويورد اليعقوبي رواية تختلف عما أورده أبو عبيدة من كون أم إناس هي أم الحارث بن حجر الكندي، بل يري أنها أم الحارث بن عمرو بن حجر[4] ويذهب ما ذهب إليه ابن الأثير حيث قال "وتزوج عمرو أم إناس بنت عوف بن محلم الشيباني"[5].

ويرى أولندر أن أم اناس كانت زوجا لعمر مؤيداً لما أورده اليعقوبي وابن الأثير[6]. وعدها العلى زوجاً ثالثه لحجر بالإضافة إلي هند بنت ظالم، وامرأة أخري من حمير. معللا ذلك بأن حجر وسع سلطانه عن طريق الزواج[7].

---

(1) غمر ذي كنده: "موضع وراء وجرة وبين مكة مسيرة يومين وهو من منازل كندة القديمة".

(2) أبو عبيدة: الأيام، ص386-387.

(3) المصدر نفسة: ص386-387.

(4) اليعقوبي: تاريح، ج1، 247.

(5) أبن الاثير: الكامل: ج1، ص549.

(6) أولندر: ص77

(7) العلي: محاضرات في تاريخ العرب، ج1،ص84.

علي أننا نرجح الرأي الأول لأن رواية أبي عبيدة تشير إلي أن ابنتها هند تزوجها المنذر بن ماء السماء اللخمي (514م–554م)[1].علي أن رواية أبي عبيدة عرضها أبن الأثير مع اختلاف اشرنا لبعضه دون أن يؤيدها حيث قال "هكذا قال بعض العلماء أن زيادا بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حجراً وهذا غير صحيح[2]، معللا ذلك بأن زيادا بن الهبولة ملك مشارف الشام، أقدم من حجر آكل المرار بزمن طويل، لأن حجرا كما يؤكد أبن الأثير هو جد الحارث أبن عمرو بن حجر[3]. وقد حدد اولندر فترة حكم حجر في الثلث الأخير من القرن الخامس الميلادي، وعين زمن زياد بن الهبولة في النصف الثاني من نفس القرن [4]. وبذلك تكون الفترة الزمنية متقاربة لذا فإن ما ذكره ابن الأثير أمر مشكوك فيه، ويبدو أنه توهم بحجر آكل المرار فاعتبر هذه الحملة حصلت في زمن حفيده حجر وليس في زمن آكل المرار. أما ابن نباته[5] فاعتبر الحملة في زمن الحارث بن عمرو المقصور فوقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه أبن الأثير في تحديد زمنها.

وتستمر رواية أبي عبيدة فتشير إلي أنه لما بلغ حجر خبر غزوة أبن الهبولة، وما فعلة من سبي النساء واستلاب الأموال، أقبل ومعه بكر بن وائل، وكان من أشراف بكر بن وائل وقتذاك عوف بن محلم الشيباني، وصليع بن غنيم بن مالك بن تيم الله بن ثعلبه. وسدوس بن شيبان وضبيعة بن قيس بن ثعلبه لغزو أبن الهبولة[6].

(1) أبو عبيدة: الأيام/ ص387.

(2) ابن الاثير: الكامل، ج1، ص510–511.

(3) ابن الاثير: الكامل، ج1، ص510–511.

(4) اولندر: ص83.

(5) أبن نباته: سرج العيون، ص79.

(6) أبو عبيدة: الأيام، ص388.

وأسرع عوف بن محلم وعمرو بن معاوية الشيبانيان أثناء مسير الحملة وقالا لحجر "أنا متعجلان إلي رجل- أبن الهبولة- لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا"[1] فأدركاه في عين اياغ[2]. فكلم عوف بن ملحم بن الهبولة السليحي قائلا: ياخير الفتيان اردد علي ما أخذته مني"[3] وكلمه عمرو بن معاوية الشيباني في فحل أبل له، فأمر أبن الهبولة له به، فأخذه عمرو وكان قوياً فجعل الفحل ينزع إلي الإبل، فأعتقله عمرو. وصرعه، فقال له أبن الهبولة أما والله يا بني شيبان، لو كنتم تعتقلون الرجال، كما تعتقلون الإبل، لكنتم أنتم[4].

ويبدو أن كلام أبن الهبولة قد أثر في عمرو، وأعتبره أهانه موجهة له ولقبيلته، فتوعده بقوله: "أما والله لقد وهبت قليلا، وشتمت جليلا. ولقد جررت علي نفسك شرا، ولتجدني عند ما ساءك"[5].

وتشير الرواية إلي أن عمرا ذهبفأخبر حجراً بما حصل له مع ابن الهبولة فأقبل حجر في أصحابه، وأتخذ من مكان يقال له الحفير[6] دون عين أباغ معسكرا له وأرسل سدوس وصليع يتجسسان له في معسكر ابن الهبولة، فاستطاعا أن يدخلا معسكره، وتمكن سدوس من التقرب إلي قبةابن الهبولة فسمع حديثه إلي هند امرأة حجر وهو يقول لها: "ما ظنك الآن بحجر لو علم مكاني منك؟ قالت ظني به والله أنه لم يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر- يعني قصور الشام- وكأني انظر إليه في فوارس من بني شيبان يذمرهمويذمرونه وهو شديد الكلب، سريع الطلب، يزبد شدقاه

---

(1) المصدر نفسه: ص388.

(2) عين اياغ: واد وراء الانبار علي طريق الفرات إلي الشام.

(3) أبو عبيدة: الأيام، ص388

(4) المصدر نفسه: ص388.

(5) أبو عبيدة: الأيام، ص388.

(6) الحفير: موضع بين ذي الحليفة وملل يسلكه الحاج، والحفير أيضا ماء لباهله بينه وبين البصرة أربعة أميال والحفير أيضا ماء بأجا.

كأنه بعير آكل مراراً فسمي آكل المرار يومئذ"[1].وتضيف أن أبن الهبولة غضب لردها فلطمها ثم قال "ماقلت هذا إلا من عجبك به وحبك له"[2] فقالت "والله ما أبغضت ذا نسمه قط بغضي له، ولا رأيت رجلاً قط أحزم منه نائماً ومستيقظاً"[3].

بعد أن سمع سدوس كل مادار من حديث بين هند وأبن الهبولة خرج من معسكر أبن الهبولة، وأتي حجراً فقص عليه ما سمع، فتأسف حجر بألم مما سمع، ونادي الناس لقتال ابن الهبولة، فساروا حتى انتهوا إلي عسكره، فاقتتلوا قتالاً شديداً وهزم أنصار ابن الهبولة. ولما كان سدوس علي معرفة تامة بشخصية ابن الهبولة، حمل عليه فأسره. وبعد أسره قتله عمرو بن أبي ربيعة الشيباني، وهو بذمة سدوس، فغضب سدوس لذلك واحتكما عند حجر فحكم علي عمرو وقومه بدية ملك إلي سدوس[4].

يتضح مما تقدم أن بني شيبان وبكر كان لهم دور واضح في الفعاليات العسكرية مع الملك الكندي حجر آكلالمرار من بين قبائل ربيعة الأخرى، حتى أنه اعتمد عليهم بأن يكونوا له عيوناً علي أعدائه مما يدل علي العلاقة الحميمة التي كانت تربطهم به.

ومما يدل علي عمق العلاقة بين كندة وشيبان التحالفات القبلية بين بطون كلتا القبيلتين فروي البلاذري أن در مكه بن كندة كانت في بني هند من شيبان وضبه

---

(1) أبو عبيدة: الأيام: ص390-391، أيضا أبن الأثير: الكامل ج1، ص508-509 وحول لقب آكل المرار أنظر اولبندر: ص70 فيما بعد.

(2) أبو عبيدة: الأيام، ص932، أبن الأثير: الكامل ج1، ص508-509.

(3) أبو عبيدة: الأيام ص392، أبن الأثير: الكامل ج1، ص 508-509.

(4) أبو عبيده: الأيام ص393-395، أبن الأثير: الكامل ج1، ص59 وتزعم اخبار أبو عبيدة أن حجرا أخذ هند فربطها بين فرسين ثم ركضا حتى قطعها قطعا.

وحواس من كندة أيضا وكانت في بني أبي ربيعة[1]، وعوف بن حارص في بني محلم[2]. وليست لدينا معلومات عن مكان وزمان هذه التحالفات.

علاقة بني شيبان مع تغلب:

يبدو أن العلاقة بين بني شيبان وكندة، انتهت في زمن خلف حجر عمرو المقصور في نهاية القرن الخامس الميلادي تقريباً[3] كما انفصم عري الحلف الذي كان في زمنه، وذلك علي أثر اجتماع معد علي رئاسة كليب بن ربيعه التغلبي، بعد أن هزم جموع اليمن في يوم خزاز، فاجتمعت إلي كليب معه كلها، وجعلوا له قسم الملك، وتاجه وتحيته وطاعته[4].

وليست لدينا سوي معلومات قليله عن هذا اليوم، مفادها خروج معد عن طاعه اليمن قال أبن عبد ربه "ولولا قول عمرو بن كلثوم ما عرف ذلك اليوم"[5].

نحن غداة أوقد في خزاز	*	**رفدنا فوق رفد الرافدينا**
كنا الأيمنين إذ التقينا	*	**وكان الأيسرين بنو أبينا**
فصالوا صولة فيمن يليهم	*	**وصلنا صولة فيمن يلينا**
فآبو بالنهاب وبالسبايا	*	**وأبنا بالملوك مصفدينا[6]**

وربما ما يعزز معلوماتنا عن هذا اليوم ما ذكر في نقشحول ثورة الأعراب من ثعلبه ومضر وسبيع، والذي دونه معدي كرب يعفر أحد ملوك حمير، علي سلطان اليمن، سنه 521م[7].

(1) البلاذري أنساب الأشراف، ج1، ص44–45.

(2) أبن الاثير الكامل، ج1 ص607–608، وأنظر حول كندة وبطونها أبن رسول/ ص11و34.

(3) أولندر: ص83.

(4) أبن عبد ربه: ج5، ص213، أبن نباته: ص47.

(5) أبن عبد ربه: ج5، ص213.

(6) الشنقيطي: شرح المعلقات العشر، ص145–146.

(7) العسلي: حملة شمر بهرعش، مجله العرب، ج9 سنه 1971. ص820 فما بعد.

ومهما يكن الأمر فإن استقلال معد وخاصة بكر وتغلب عن اليمن، وتسلم كليب بن ربيعة رئاسة قبائلها كان في نهاية القرن الخامس الميلادي تقريباً[1].

وعاشت قبيلة بني شيبان وبكر تحت ظل هذا الحلف مجاورين لتغلب في ظواهر نجد والحجاز وأطراف تهامة[2].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية "مادة بكر" الترجمة العربية.

(2) البكري: ج1، ص85.

المبحث الثاني

حرب البسوس أسبابها وحوادثها

تعرض حلف معد برئاسة كليب إلي التصدع والانكسار لسبب أجمعت المصادر عليه، وهو ما أصاب كليبا من زهو وغرور، واستبداده بالأمور لوحده وشجعه علي ذلك طاعة القبائل وانقيادها له "حتى بلغ بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب، فلا يرعي حماه، ويجير علي الدهر، فلا تخفر ذمته"[(1)].

وبلغ ظلمه وتجبره إلي حد حماية الحيوانات المتوحشة، ومنع أبل قومه من أن ترد مع أبله، وأن لا توقد نار مع ناره، ولا يمر أحد بين بيوته، ولا يمر عليه أحد في حاله جلوسه، وأنكي من هذا كله أنه اتخذ له جرو، كلب فكان إذا نزل منزلا فيه كلا قذف ذلك الجرو فيه فيعوي فلا يرعي أحد ذلك الكلأ إلا بأذنه[(2)]. حتى ضرب به المثل "أعز من كليب وائل"[(3)].

وفي ظلم كليب وجوره قال العباس بن مرداس:

كما كان يبغيها كليب بظلمه	*	**من الغزو حتى طاح فيها قتيلها**
علي وائل إذ ينزل الكلب مائحاً	*	**وإذ يمنع الاكلاء منها حلولها** [(4)]

---

(1) أبن عبد ربه: ج5، ص213،215، أيضا أبن الأثير: الكامل ج1، ص523،524.

(2) أبن عبد ربه: ج5، ص214، الأصفهاني: ج5، ص34–35، أبن الأثير: الكامل ج1، ص523–524، أبن نباته: ص47، الحميري: ص285، الصفواني: ص48–49.

(3) الضبي: أمثال العرب ص55–56، حمزة: الدره الفاخرة ج1، ص300،، وأنظر حول ترجمه كليب وائل: شيخو: شعراء النصرانية ج1 ص151 فما بعد.

(4) الجاحظ: الحيوان ج1 ص321.

فأي ظلم هذا الذي مارسه كليب، وهل تعارفت العرب علي مثل هذا النمط من الحكم والسيادة؟ أحقاً ما ذكره بعض الباحثين من أن سبب حرب البسوس هو علي السيادة والزعامة[1]؟ لم يكن سببها في رأينا إلا الظلم والاستبداد وما حرب البسوس إلا ثورة علي الظلم والبغي والتجبر الذي مارسه كليب. وأي ظلم أكثر من أن يمنع قبائل العرب من موارد الماء والكلأ في بيئة قاحلة مجدبة، فوسط الجزيرة العربية كان "عماد حياته الاقتصادية المراعي والماء القليل، وهذا يؤدي إلي نزاع شديد عليهما وإلي حياة كفاح مستمر للبقاء، وهذا النزاع كان أساس أيام العرب في العصر الجاهلي"[2].

بدأت حرب البسوس بحدود عام (124 ق.هـ– 494م)[3]. وتشير الرواية العربية إلي أن بني جشم وبني شيبان كانوا في منزل واحد وكان لجساس بن مرة خالة تسمي البسوس بنت منقذ التميمية، وهي نازلة في بني شيبان مجاورة لجساس ابن مرة، ولها ناقة أسمها سراب[4]. وقيل أن الناقة كانت لرجل من جرم اسمه سعد بن شميس بن طوق الجرمي[5]. وكانت سراب ترعي مع إبل جساس علي سنة العرب في رعاية الجار وحمايته، وحدث أن مرت أبل كليب بسراب ناقة البسوس وهي معقولة بفناء بيتها، فلما رأت الناقة الإبل، قطعت عقالها وتبعت الإبل، واختلطت بها حتى انتهت إلي كليب وهو علي الحوض ومعه قوس وكنانة، فلما رآها أنكرها، فضربها بسهم فخر ضرعها وولت هاربة إلي فناء بيت البسوس[6].

---

(1) الحوفي: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص230–231، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج1، ص52.

(2) الدوري: ص30.

(3) سيديو: تاريخ العرب العام، ص48.

(4) أبن عبد ربه: ج5، ص214، السندوبي: ص246.

(5) أبن الأثير: الكامل ج1 ص524،525.

(6) أبن عبد ربه: ج5، ص525.

لما رأتها البسوس، ألقت بخمارها من رأسها، وصاحت واذلاه! وجاراه! مذمرة في ذلك بني شيبان، فخرجت وأخبرت جساساً وأحمسته، فركب فرسه بعد أن تقلد سيفه وتبعه عمرو بن الحارث بن ذهل ابن شيبان علي فرسه حتى دخلا علي كليب فقال له جساس: "يا أبا الماجدة عمدت إلي ناقة جارتي فعقرتها فقال له أتراك مانعي أن أذب عن حماي؟ فأحمسه الغضب[1] فطعنه جساس طعنه قصمت ظهره، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع بطنه فقتل كليب[2].

وفي رواية أخرى أن كليباً وجساساً خرجا يفقدان الإبل، وكانت أبلهما مختلطة، فنظر كليب إلي ناقة البسوس فأنكرها، فقال له جساس هذه ناقة جارنا الجرمي، وأمره كليب بأن لا تعد هذه الناقة إلي حماه فقال له جساس: لا ترعي أبلي مرعي إلا وهذه الناقة معها، فأنكر كليب ذلك وتوعده بقتلها، وهدده جساس أن هو فعل ذلك بالموت، ثم تفرقا[3].

وذكر أن كليبا عند عودته، التقي بزوجته جليلة بنت مرة الشيباني أخت جساس فقال لها: " أترين أن في العرب رجلا مانعا مني جاره؟ قالت لا أعلمه، إلا جساسا فحدثها الحديث"[4] وقيل إن جليلة بعد هذه الحادثة أخذت تنهاه من الخروج إلي الحمى وتناشده الله، ألا يقطع صلة الرحم، كما وأنها طلبت من أخيها جساس ألا يسرح أبله مع أبل كليب[5]. ويبدو أنها فعلت ذلك كله خوفاً من أن تراق الدماء بين الحيين لما عرفته من زوجها من زهو وتجبر، وما في أخيها من عتاء ومكابرة.

---

(1) أبن عبد ربه: ج5، ص214

(2) المصدر نفسه: ج5، 214.

(3) أبن الأثير: الكامل ج1، ص524-525.

(4) أبن الأثير: الكامل، ج1 ص524-525.

(5) المصدر نفسه: ج1، ص524-525.

أما الأصفهاني فروي عن علي بن سليمان أن كليباً قال لزوجته جليلة: "هل تعلمين علي الأرض عربياً أمنع مني ذمةً؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ثم أعاد الثالثة فقالت نعم أخي جساس..."[1] وروي الأصفهاني عن مقاتل أنامرأته جليلة كانت تغسل رأسه ذات يوم وتسرحه فقال لها من أعز وائلا، فصمتت فلما أكثر عليها قالت: أخواي جساس وهمام، فأخذ قوسه فضرب ناقة البسوس خالة جساس وجارته، وسكت بنو شيبان علي ذلك[2].

وروي أبن برزة أن بني شيبان، ارتحلوا بعد ضرب ناقة البسوس تجانباً للشر، فمرت بكر وشيبان علي نهي يقال له "شبيث[3] فنهاهم عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مروا علي بطن الجريب وقيل الاحصن[4] فمنعهم منه" أيضاً، فمضوا حتى نزلوا الذنائب[5]، واتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه[6]، وخاطب جساسا بن مرة كليباً قائلاً: "طردت أهلنا من المياهحتى كدت تقتلهم عطشاً! فقال كليب: ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون"[7] فمضي جساس ومعه أبن عمه عمرو إلي كليب فطعنه جساس، وعطف عليه عمرو بن أبي ربيعة المزدلف فقطع رأسه[8].

ويبدو من هذه الرواية أن بني شيبان لم تعلن الحرب التي استمرت طويلا بسبب قتل ناقة، بل إن الخلافات الشخصية وضغط كليب عليهم وملاحقتهم من مكان

---

(1) الاصفهاني: ج5، ص35–36.

(2) الاصفهاني: ج5، ص35–36، أبو عبيدة: النقائض، ج2، ص905.

(3) شبيث: جبل بنواحي حلب، ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص257.

(4) أبن نباته: ص47.

(5) الذنائب: موضع بنجد عن يسار فلجة باتجاه مكة: أنظر: الحيمري: ص258.

(6) الاصفهاني: ج5 ص76–78.

(7) المصدر نفسه: ج5، ص76–78 أيضا: أبن نباته: ص47–48.

(8) الاصفهاني: ج5، ص76–78 أيضا: أبن نباته: ص47–48.

إلي آخر، وأبعادهم عن منازل المياه الشريان الرئيسي للحياة، وهو الذي اضطر بني شيبان إلي دخول الحرب مكرهين أو الموت بعيدين عن المياه.

وقتل كليب بالذنائب عن يسار فجلة[1] مصعدا إلي مكة وقبره فيها، كما في قول المهلهل:

ولو نبش المقابر عن كليب   فيخبر بالذنائب أي زير [2]

وبعد أن قتل جساس كليباً جاء أهله وأخبرهم بقتله له، فوبخه أبوه مرة الشيباني علي فعله وما سيجره عمله من ويلات عليه وعلي قومه، حيث قال له "بئس والله ما جئت به قومك" [3].

فأجاب جساس أباه مرة:

تأهب عنك أهينه ذي أمتناع   *   فأن الامر جل عن التلاحي

فأني قد جنيت عليك حرباً   *   تغص الشيخ بالماء القراح [4]

فلما سمع أبوه قوله خاف من عدم نصرة قومه وخذلانهم له لما كان من لائمته أياه فقال له:

فإن تك قد جنيت علي حرباً   *   تغص الشيخ بالماء القراح

جمعت بها يديك علي كليب   *   فلا وكل ولا رث السلاح

سألبس ثوبها وأذود عني   *   بها عار المذلة والفضاح[5]

---

(1) فجله/ موضع علي طريق مكة إلي البصرة وقيل منزل الحاج بالبصرة، ياقوت: معجم، ج3، ص36–38

(2) الاصفهاني: ج5، ص36–38

(3) أبن الأثير الكامل، ج1، ص526–527.

(4) أبن الأثير: الكامل ج1، ص526–527.

(5) المصدر نفسه: ج1، ص526–527.

ثم دعا مرة الشيباني قومه إلي نصرة جساس فأجابوه إلي ذلكوروي أن همام بن مرة ومهلهل كانا قد تأخيا، واتفقا أن لا يكتم أحدهم سراً للأخر، وبينما كانا في جلسه خمر، إذ جاءت جارية لبني شيبان فأسرت هماماً بما فعله جساس, فقال له المهلهل: ما أخبرتك قال له:إن أخي جساساً قتل أخاك كليباً، وبعد أن أكملا جلستهما ذهب كل منهما إلي داره[1].

ولما وصل المهلهل سمع عويل النساء، وكن قد أقمن المأتم، فقالت النساء لأخت جساس وزوج كليب جليلة بنت مرة، أخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وطردت من مأتم زوجها، وذهبت إلي ديار أبيها فقال لها مرة ما وراءك يا جليله؟ قالت "ثكل العدد وحزن الأبد، وفقد خليل، وقتل أخ عن قليل وبين هذين غرس الأحقاد وتفتت الأكباد"[2].

وارتحل بنو شيبان بعد قتل كليب إلي النهي، واستعد المهلهل أخو كليب واسمه عدي بن ربيعة لحرب بني شيبان وروي أنه ترك النساء والغزل وحرم القمار والخمر[3].وروي المفضل أن أشراف بني تغلب قال بعضهم لبعض، لا تعجلوا علي اخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم [4]. فأرسل المهلهل رهطاً من أشراف تغلب إلي بني شيبان للتفاوض معهم، وقابل الوفد مرة بن ذهل الشيباني وقالوا له" إنكم أتيتم عظيماً بقتلكم كليبا بناب من الإبل، فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة، وإنا كرهنا العجلة عليهم دون الإعذار إليكم، ونحن نعرض عليكم خلال أربع لكم فيها مخرج ولنا مقنع. فقال مرة: وما هي؟ قال له: تحيي لنا كليباً، أو تدفع إلينا جساساً قاتله فنقتله به، أو هماماً فإنه كفء له أو تمكننا من نفسك فإن فيك وفاء من دمه؟ فقال أما إحيائي كليبا

---

(1) المصدر نفسه: ج1، ص526–527.

(2) المصدر نفسه: ج1، ص527.

(3) أبن عبد ربه: ج5، ص215.

(4)الأصفهاني: ج5، ص40–41.

فهذا مالا يكون، وأما جساساً فإنه غلام طعن طعنة علي عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أي البلاد احتوي عليه، وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة كلهم فرسان قومهم فإنيسلموه لي فأدفعه إليكم يقتل بجريرة غيره، وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل حوله غداً فأكون أول قتيل بينها، فما أتعجل من الموت"[1].وروي المفضل شروط تغلب دون أن يشير إلي شرط إحياء كليباً[2].

وخيرهم مرة الشيباني بعد أن رد علي شروطهم بين خصلتين، الأولي أخذ ما اختاروا من ولده غير ماذكر وقتله، أو ألفناقة سوداء المقل. فغضب وفد تغلب وقالوا له "أسات ترذل[3] لنا ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب"[4].

ويبدو أن بني تغلب أكرهوا بني شيبان علي دخول الحرب وإلا فان نظرة بسيطة علي شروطهم تجعلنا نحكم بوقوع الحرب لا محالة. وكان بإمكان تغلب أن تخمد نارها بقبول الديه وهو أمر مقبول عند العرب.

وسبق قيام الحرب بين الطرفين بعض التحالفات القبلية فذكر أن بني تغلب دعت النمر بن قاسط، فانضمت إليهم وصاروا يداً معهم علي بني شيبان ولحقت بهم عقيلة بن قاسط. وبينما أشتدت لحمة تغلب بتحالفاتها القبلية، نجد العكس لبني شيبان إذ كرهت بطون بكر مجامعة بني شيبان ومساعدتهم علي قتال بني تغلب معللين ذلك أنه قتال بين الأخوة، كما وأنهم أعظموا عليهم قتل كليب بناب من الإبلفظعت لجيم عنهم وكفت يشكر عن نصرتهم، وأنقبض الحارث بن عباد زعيم ضبيعة في أهل

---

(1) أبن عبد ربه: ج5، 215–216، أبن الأثير: الكامل ج1، ص530.

(2)الأصفهاني: ج5، ص40–41، أيضا أبن نباته: ص49.

(3) ترذل: أي تعطينا الرذل من ولدك أبن عبد ربه ج5، ص216 هامش رقم (1)

(4) أبن عبد ربه:ج5 ص216، أبن الأثير: الكامل ج1، ص530–531.

بيته، وهو أبو بجير وفارس النعامة(1). واعتبر الحرب حرباً ليس له فيها ناقة ولا جمل(2).

أيام حرب البسوس(3):

وهكذا بدأت الحرب بين بني شيبان وتغلب بعد أن ذهبت كل الجهود الإصلاحية هباءً، وكان فيها خمس وقعات مزحفات سميت بأيام حرب البسوس وهي: النهي والذنائب وواردات وعنيزة ويوم قضه(4). تخللتها وقعات متفرقة وقد أختلف في أول يوم وقع في هذه الحرب فقيل عنيزه(5) وقيل النهي(6). وفي يوم النهي التقي الحيان، وكانت الغلبه فيه لبني تغلب علي بني شيبان. وكان رئيس شيبان الحارث بن مرة ورئيس تغلب المهلهل.وروي أبو عبيدة أنه لم يقتل في هذا اليوم أحد من بني مرة(7).ثم التقوا بواردات وظفرت فيه أيضاً بنو تغلب وقتل في هذا اليوم همام أبن مرة الشيباني فمر به المهلهل مقتولا فقال "والله ما قتل بعد كليب قتيل أعز علي فقدا منك"(8) وقيل إن ناشرة التغلبي قتله، وسبق لهمام أن التقطه ورباه وسماه ناشرة، بعد

---

(1) أبن عبد ربه:ج5 ص216، أبن الأثير: الكامل ج1، ص530–531.

(2) أبن عبد ربه ج5، ص216/ أبن الأثير: الكامل، ج1، ص531.

(3) وما تجدر الاشاره له أن أيام حرب البسوس حملت أسماء نفس المواضع الجغرافيه لسكن القبيلتين وهي: الذنائب ووارادت والأحص وشبيت وبطن الجريب والتغلمين من ظواهر نجد والحجاز وأطراف تهامه. أنظر البكري: ج1، ص82.

(4)– أبن عبد ربه: ج5، ص218، فما بعد، الأصفهاني: ج5، ص41، أبن الأثير: الكامل ج1، ص532، وأنظر أيضا: الضبي: أمتثال العرب ص55 فما بعد، أبن أعثم: ص93 فما بعد، الحميري: ص285، جاد المولي: ص142فما بعد.

(5)أبن الأثير: الكامل: ج1، ص532.

(6) أبن عبد ربه: ج5، ص218 فما بعد، أبن الأثير: الكامل ج1، ص532 فما بعد.

(7) نفس المصدر: ج5، ص218 فما بعد، أبن الأثير: الكامل ج1، ص532 فما بعد.

(8) أبن عبد ربه: ج5، ص219، أبن الأثير: الكامل، ج1، ص532–ص533، أيضا الاصفهاني: ج5، ص41–42.

أن وجد أمه قد همت إلي وأده لعجزها عن تربيته[1] وبعد قتله هماماً ضُرب المثل فيه فقيل "أكفر من ناشرة"[2].

وكان اللقاء الثاني في موضع يسمي عنيزة[3]والغلبة فيه لبني تغلب علي بني شيبان أيضاً. وحدثت في هذا اليوم أكثر من وقعة وفي جميعها كانت الدائرة فيها لتغلب. ومن وقائع هذا اليوم الحنو وعويرضات، وأنيق وألضريه ويوم القصيبات[4].

وقال مهلهل يصف هذه الأيام:

أليلتنا بذي حسم أنيري * إذا أنت أنقضيت فلا تحوري

فإن يكن بالذنائب طال ليلي * فقد أبكي من الليل القصير[5]

وذكر الأصفهاني وابن الأثير أن هذا اليوم كان متكافئاً بين الطرفين فلم تكن فيه أرجحية لأي منهم مستندين في ذلك علي قول مهلهل:

كأنا غدوة وبني أبينا * بجنب عنيزه رحيا مدير

ولولا الريح أسمع أهل حجر * صليل البيض تقرع بالذكور[6]

أما يوم قضة فإن بطون بكر الأخرى ساهمت فيه ضد بني تغلب بعد أن كانت محايدة كما ذكرنا سابقا وذلك لأن مهلهلاًأسرف في القتل والتنكيل بكل من شاهده من بطون بكر دون استثناء لأي منها، بما في ذلك الحارث ابن عباد زعيم

---

(1) أبن عبد ربه: ج5،ص218–219، أبن الأثير: الكامل، ج1، ص532–533.

(2) الميداني: ج، ص170

(3) عنيزة: موضع بين البصرة ومكه، وقيل من أودية اليمامه قرب سواج وقري عنيزة بالبحرين، ياقوت: معجم ج3، ص738

(4) أبن عبد ربه: ج5، ص219 فما بعد.

(5)المصدر نفسه: ج5،ص218

(6) الأصفهاني: ج5، ص41، أبن الأثير: الكامل ج1،ص532.

ضبيعة البكري حيث قتل المهلهل أبنه بجير[1]، وحينما بلغ الحارث بمقتل بجير قال نعم القتيل قتيل، اصلح بين أبني وائل، ويعني بذلك أن المهلهل سيعتبره كفء لكليب فيكف عن الحرب إلا أن المهلهل أبي ذلك. فغضب الحارث بن عباد، ويقال أنه شمر عن ذراعيه وتولي قيادة بكر فقاتل تغلباً حتى هرب المهلهل وتفرقت قبيلة تغلب[2]. وسمي هذا اليوم بيوم تحلاق لأن بكر بن وائل حلقوا رؤوسهم فيه ليعرف بعضهم بعضا[3].

أما عن نهاية المهلهل فقد ذكر أبو عبيدة أنه فارق قومه ونزل في بني جنب من مذحج[4]. أما بن نباته فذكر أنه رحل إلي أخواله من بني يشكر لوحده وقضي بقية حياته هناك. ويورد أبن نباته رواية أخري عن أبن الكلبي، يذكر فيها أن المهلهل أسن وخرف، وكان له عبدان يخدمانه فملا منه وبينما كانا معه في بعض أسفاره عزما علي قتله، فلما عرف ذلك منهم كتب بسكينه علي رحل ناقته بيتاً من الشعر، وقيل إنه أوصاهما أن يقولا لأولاده [5].

من مبلغ الحيين أن مهلهلاً * لله دركما ودر أبيكما [6]

ثم قتلاه ورجعا إلي قومه واخبروهم بأنه مات، وأوصاهما بإيصال هذا البيت من الشعر إليهم فلما سمعه أولاده، قال أحدهم أن مهلهلا لا يقول هذا الشعر الذي لا معني له أنما أراد أن يقول:

من مبلغ الحيين أن مهلهلا * أمسي قتيلا في الفلاة مجندلا
لله دركما ودر أبيكما * لا يبرح العبدان حتي يقتلا[7]

---

(1) أبن عبد ربه: ج5، ص220.
(2) المصدر نفسه ج5، ص220
(3) أبن الأثير: الكامل، ج1، ص536.
(4) أبن عبد ربه، ج5، ص221-222.
(5) أبن نباته: ص51.
(6) المصدر نفسه: ص51.
(7) المصدر نفسه: ص51.

وبعد التحقق من العبدين بالضرب اعترفا بذلك فقتلا به[1].

أما عن نهايه جساس بن مرة الشيباني فيروي أنه كان آخر من قتل في حرب البسوس، إذ ذكر أن جليلة لما رجعت إلي أهلها بعد مقتل زوجها كليب، كانت حاملا فولدت غلاما، فسمته هجرساً، تعهد بترتبيته جساس، وكان لا يعرف أباً غيرة، فزوجه أبنته، ووقعت بين الهجرس ورجل من بكر مشاجرة كلامية، فقال البكري له: ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك، فتركه ودخل علي أمه جليلة حزينا، فسمع جساس بخبره فقال ثائر ورب الكعبه، فاستدعاه وقال له: إنما أنت ولدي وأنت مني بالمكان الذي تعلم، وقيل إن هذا لم يجد نفعاً بالهجرس فطعن جساساً وقتله ثأرا لأبيه[2].

وفي رواية أخري، أن مره الشيباني طلب من أبنه جساس أن يرحل إلي أخواله في الشام حين أشتد طلب تغلب له، فرفض فألح عليه أبوه فسيره سراً مع خمسة من فرسان قومه، فبلغ المهلهل الخبر فلحقه مع قلة من رجاله وطعنه طعنةً جُرح علي أثرها جرحاً بليغاً فمات ويرجح أبن الأثير الرواية الأخيرة[3].

وبذلك نري أن حرب البسوس مرت بمرحلتين الأولي وهي التي تحدثنا عنها والتي بدأت في نهاية القرن الخامس الميلادي وانتهت بمصالحة الحارث الكندي للقبيلتين حوالي عام 502م، ذلك أن عام 503م شهد وحسب ماذكر يوشع العمودي في الفصل (57) من تاريخه زحف قبائل ثعلبة نحو الحيرة[4] بقيادة الحارث الكندي الذي كان عماد قومه آنذاك قبائل بكر وتغلب، فلا يعقل أن تشترك القبيلتان في

---

(1) المصدر نفسه: ص51.

(2) أبن الأثير: الكامل، ج1، ص533–534.

(3) أبن الأثير: الكامل، ج1، ص533–534.

(4) يوشع العمودي، نقلا عن أولندر: ص94.

فعاليات الملك الكندي العسكرية، وهي مشغوله في الاحتراب فيما بينها وهذا ما يجعلنا نعتقد أن الصلح الأول بين بكر وتغلب قام به الحارث الكندي حوالي عام 502م[1].

والمرحلة الثانية من حرب البسوس بدأت بوفاة الحارث سنه 528م. وانتهت بأنتهاء حكم ولديه مسلمة وشرحبيل بحدود عام 534م. فلا يعقل أن يصبح الهجرس رجلا في فترة المرحلة الأولي من الحرب والتي قوامها سبع أو ثماني سنوات، وإذا افترضنا صحة الرواية الأولي فلم يكن قتل الهجرس لجساس إلا في المرحلة الثانية وهنا لا نجد دوراً لجساس في حرب المرحلة الثانية وعليه فأننا نعتقد بأن قتل جساس قد تم في المرحلة الأولي من الحرب.

---

(1) أنظر حول الصلح، أبن عبد ربه: ج5،ص222.

المبحث الثالث

الصلح بين شيبان وتغلب

يبدو أن بكر وبني شيبان خشيا أن ينتهي بهم الأمر إلي الاضمحلال والفناء فلجأوا إلي ملك اليمن فملك عليهم الحارث بن عمرو الكندي "لما تسافهت بكر بن وائل وغلبها سفاؤها، وتقاطعت أرحامها، ارتأي رؤساؤهم فقالوا: إن سفهاءنا قد غلبوا علي أمرنا فأكل القوي الضعيف، ولا نستطيع تغيير ذلك، فنري أن نملك علينا ملكا نعطية الشاة والبعير، فيأخذ للضعيف من القوي، ويرد علي المظلوم من الظالم، ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فتفسد ذات بيننا. ولكنا نأتي تبعاً فنملكه علينا، فأتوه فذكروا له أمرهم، فملك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي"[1].

وظهر أن علاقة الحارث بحكومة اليمن كانت علاقة طيبة وكانت منزلته منها كحال ملوك المناذرة من الساسانيين وعلاقة الغساسنه بالبيزنطيين.

وعلي الرغم مما ذكره أبو عبيدة من اتصال بكر باليمن فأننا نجد في بعض المصادر ما يشير إلي مراسلة الحارث لبكر، إذ ذكر حمزة[2] ما يشير إلي ذلك وأيده أبن نباته بقولة "ومال من بقي من القوم، شيبان وتغلب، إلي صلح بعضهم بعضا وراسلهم الحارث بن عمرو الكندي ملك كندة. في الصلح بينهم والتملك عليهم, فأجابوا الحارث أبن عمرو إلي ما أراد فقدم فتلافي بقيتهم وأصلح أمرهم[3].

---

(1) أبن عبد ربه: ج5، ص222 رواية أبو عبيدة

(2) حمزة: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص91–92.

(3) أبن نباته: ص78.

ويمكننا أن نرجح مراسلة الحارث لقبائل بكر والاتصال بها مستغلا في ذالك صلة المصاهرة مع بني شيبان لكونهم أخواله[1]، وظروف القبيلة التي أنهكتها حرب البسوس، وعداء ربيعة وخاصة بني شيبان للمناذرة[2]، وكان الحارث يهدف من ذلك لتوسيع سلطانه وتطلعاته، ولتوجيههم لحرب المناذرة والغساسنة كما يفهم من رواية أبي عبيدة "ثم غزا ببكر بن وائل حتى أنتزع عامة ما في أيدي ملوك الحيرة اللخميين وملوك الشام الغسانيين"[3].

وإذا كان الحارث الكندي بعد صلح بكر وتغلب استطاع أن يصل بغاراته إلي حدود الإمبراطورية البيزنطية[4]، فإننا نراه بعد عقده الصلح مع الإمبراطور انساتانيوس بموجب معاهدة عام 502م[5] يوجه جل قوته إلي غزو المملكة اللخمية. فشن أكثر الغارات عليها وضم إليه الكثير من ممتلكاتها حتى بلغ ملكه صراقجاماسب التي هي عند قصر بن هبيرة[6].

ولم يكتف الحارث بذلك بل هجم علي الحيرة بقوة قبائل بكر وتربع علي عرشها بعد أن هرب المنذر بن ماء السماء ملكها حوالي سنه 525م[7].

وهكذا خضعت الحيرة لملك الحارث الكندي في زمن قباذ بن فيروز واختلفت المصادر في كيفية وصول الحارث إلي عرش الحيرة، فقيل كان استيلاؤه عليها بالقوة، وقيل بطلب من قباذ نتيجة عدم اعتناق المنذر الحيري لدين مزدك وقبول

---

(1) الاصفهاني: ج9، ص81–82، أبن الأثير: الكامل ج1، ص549.

(2) حمزه: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص91–92 أنظر أيضا أبو البقاء: المناقب ج2 الورقة 47–48.

(3) أبن عبد ربه: ج5، ص222.

(4) أولندر: ص92–93.

(5) دائرة المعارف الإسلامية، مادة بكر، الترجمه العربية.

(6) أبن حبيب: المحبر، ص369.

(7) حمزه: تاريخ سني ملوك الأرض،ص91–92، حول سيطرة الحارث علي الحيرة، أنظر اوليندر: ص101 فما بعد.

الحارث بهذه الديانه، ويبدو أن للظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة في زمن قباذ، وما اصابها من ضعف وشلل في مفاصلها الأساسية، أثرا في تشجيع الحارث للسيطرة علي الحيرة بالقوة[1].

علي أن قيام الحارث بالهجوم وهو علي رأس قبيلة بكر علي مملكة الحيرة كان بحدود عام 525م وانحصرت فترة حكمه فيها بين عامي (525–528)[2].

تجدد الحرب بين القبيلتين:

إن الصلح الذي عقده الحارث بين قبيلتي بكر وتغلب لم يكن سوي هدنه مؤقته انتهت بمقتله عام 528[3] وذلك لاختلاف أبنائه من بعده[4]. كما أن الحارث ولي إبان حكمه أولاده علي القبائل العربية وبالشكل الآتي:

- عين حجراً علي بني أسد بن خزيمة[5]، وكانت منازلهم عند وادي الرمة بين جبل شمر وخيبر, وفي الشمال الغربي من نجد[6].
- جعل شرحبيل علي ضبة والرباب وبني يربوع وبكر بن وائل[7] ومكان إقامتهم في شرقي نجد [8].
- وعين سلمة علي تغلب والنمر بن قاسط[9]. ويقيمون في بادية الشام[10].

---

(1) أنظر الفصل الخاص بنضال بني شيبان ضد الفرس.

(2) أولندر: ص114.

(3) أنظر حول وفاة الحارث.

(4) أبن عبد ربه: ج5 ص223.

(5) أبن حبيب: المحبر ص369، الأصفهاني: ج9، ص81–82، رواية عن الهيثم، أبو الفدا، ج1، ص74–75.

(6) العلي: محاضرات، ج1، ص87، وهي اليوم تتبع منطقة المدينة المنورة، أنظر خريطة رقم (3).

(7) الأصفهاني: ج9، ص81–82، رواية الهيثم، أبن عبد ربه ج5، ص223،رواية أبو عبيدة

(8) العلي: محاضرات، ج1، ص87، وهي اليوم منطقة حرض التابعة لمحافظة الخرج جنوب شرق منطقة الرياض، أنظر خريطة رقم (3).

(9) أبن عبد ربه: ج5،ص223، أبي الفدا: ج1، ص74–75.

(10) العلي: محاضرات: ج1، ص87.

- أما معد يكرب فملك علي قيس وكنانة[1] وكانوا يقطنون تهامة وأطراف الحجاز[2].

هكذا انتهت وحدة القبائل العربية التي تجلت في تلك الفترة تحت قيادة مملكة كنده. إذ انفرط عقدها نتيجة لخلاف الأخوين سلمة وشرحبيل فاستعرت نار العداوة مجدداً بين بني تغلب بزعامة سلمة، وبكر بزعامة شرحبيل، ولم يكن دخول بكر الحرب إلي جانب شرحبيل إلا بسبب عداوتها لتغلب[3].

وتقابلت القبيلتان واقتتلتا قتالاً شديداً انتهي بمقتل شرحبيل حاكم بكربن وائل[4]. وكان لقاؤهم عند كلاب[5]، حوالي عام 530م[6].وروي أبو عبيدة أن بني تغلب أخرجوا سلمة منهم فلجأ إلي بكر بن وائل وأنضم إليهم، ولحقت تغلب بالمنذر بن أمرئ القيس ملك الحيرة[7].

وتفرق آل آكل المرار بعد ذلك وأنتهي دور مملكة كندة في وسط الجزيرة العربية[8]. وأنتهت أيضا حرب البسوس بين القبيلتين بحدود هذا التاريخ سنه 536م.

مدة حرب البسوس:

أجمعت المصادر علي أن حرب البسوس دامت أربعين عاماً، وقد أخذ بعدد سنواتها الباحثون المحدثون أيضاً. إلا أن لدينا ملاحظات علي ذلك هي أن حرب

---

(1) أبن حبيب: المحبر، ص369، أبي الفدا: ج1، ص74–75.

(2) العلي: محاضرات ج1، ص87، أيضا أوليندر: ص122 فما بعد.

(3)أبن عبد ربه: ج5، ص223.

(4) أبن عبد ربه: ج5، ص223.

(5)كلاب ماء بين الكوفة والبصرة، وقيل موضع قرب اليمامة. ياقوت: معجم البلدان: ص293.

(6) أولندر: ص150.

(7) أبو عبيدة: الأيام، ص240.

(8) المصدر نفسة: ص240.

البسوس امتدت أربعين سنه من الناحية الزمنية، كما أوضحنا ذلك وتلت هذه الفترة مرحلتين الأولي بدأت من 494م–502م تقريباً والثانية من 528م–534م.

وإذا جمعنا فترتي الحرب فلم تكن تتجاوز الخمسة عشرة سنه، وإذا أخذنا المرحلة الأولي افتراضاً واعتبرناها هي التي مثلت فترة حرب البسوس، فلم تتجاوز هذه الحرب أكثر من ست سنوات.إلا أننا حينما نأخذ تاريخ نشوبها وتاريخ انتهائها يمكننا أن نحصل علي أربعين عاماً وهو الأرجح، وربما أن هذه الفترة الممتدة من 494–536م تقريبا هي التي عني بها الرواة.

واعتبروها فترة حرب البسوس. ونحن إن صح افتراضنا نؤيدهم في ذلك. مع رفضنا لأسطورة أن مدة حرب البسوس دامت أربعين عاماً من الناحية الفعلية ذلك أن هذه الحرب بدأت في سنه 494م، ثم توقفت سنه 534م بصلح الحارث للقبيلتين واستمر الصلح إلي مقتل الحارث سنه 522مثم استعرت مجدداً بين القبيلتين إلي سنه 534م تقريباً.

عدد قتلي حرب البسوس:

إن حرباً كحرب البسوس دامت أربعين عاماً من الناحية الزمنية لا بد وأن تجعل الباحث يرى أن عدد القتلى بالمئات وربما بالآلاف. ولكن الذي حصل أن عدد القتلى حسب ما أورده صاحب الأغاني لا يتجاوز الثمانية أنفار من تغلب وأربعة من بكر استخلصها الأصفهاني من شعر المهلهل[1].

ويعلق أبو البقاء علي من يبالغ بقتلي بكر وتغلب بقوله: "ومن العامة من يزعم أن عظام قتلي بكر وتغلب موجودة بعيزة وما حولها إلي اليوم، فبعد هذا كله وما لا يحصي من أمثاله روي العلماء أن القتلى من الحيين جميعاً لم يبلغ عدتهم في مدة

---

(1) الاصفهاني: ج5، ص53–54.

الحرب كلها عشرين قتيلاً. وقال أبو عبيدة معمر بن المثني: سمعت عامراً بن عبد الله المسمعي يقول لم يكن من القتلى ما يعدون وجميع من قتل من تغلب الذين ذكرهم مهلهل في شعره هم ثمانية وجميع من قتل من بكر أربعة وقد ذكرهم أيضاً قال عامر بن عبد الملك المسمعي فهؤلاء جماعة القتلى من الفريقين قد ذكرهم لا غير.فقال أخوه مسمع بن عبد الملك:إن أخي مجنون كيف يحتج بالشعر وقد قتل جحدر أبا مكنف يوم قضة ولم يذكره شاعر، وقتل ناشرة ولم يذكره شاعر، وقتل أبن الفخيته وقد ذكره سعد في شعره، فذكرت ذلك لعامر فقال:إن كنت قد أغفلت ذكر ثلاثة نفر فما عسي أن يكون فيما يعدون من القتلى؟ فهذا قدر قتلاهم في حرب بكر وتغلب مهما يفخمون من قدره ويعظمون من أمره"[1]. ويضيف أبو البقاء معلقاً علي قتلي أيام العرب جميعاً، "ولو قال قائل أنه لم يصب في حروب الجاهلية من يوم السلان إلي أن قام الإسلام بعدد من أصيب في يوم واحد من أيام المسلمين[2] لصدق"[3].

مما تقدم يمكن أن نستنتج أن الدماء لم ترق بغزارة في هذه الحرب وأن عدد القتلى لا يتجاوز العشرين قتيلا من كلتا القبيلتين "إذ أن غمرات الوغى التي خاضها أبطال الجاهلية لم تكن تجري الدماء فيها بغزارة كما أوهمتنا الأخبار"[4].

ومهما يكن عدد القتلى قل أو كثر فإن مبدأ الحرب بغير مسوغ قانوني يذكر أو حتى سبب مقتع، يعكس حالة الفوضى والفراغ السياسي الذي تعيشه جزيرة العرب أو أجزاء منها في تلك الفترة، لأن مرة الشيباني والد جساسا لم يقتنع في أول الأمر بقتل كليب على ناقة البسوس ولام ابنه على ذلك، وكذلك فعلت قبائل بكر فلم تقف مع شيبان في أول الأمر لأنها لم تقتنع بسبب قتل كليب لو لا حمية الجاهلية.

---

(1)أبو البقاء: ج، الورقة –111–112.

(2) يقصد به أحد حروب المسلمين

(3) أبو البقاء: ج1 الورقة 113.

(4) حتي وآخرون: ج1، ص119

المبحث الرابع

علاقة بني شيبان بالمناذرة

ليست لدينا معلومات عن علاقة بني شيبان بالمناذرة قبل أمرئ القيس الثالث بن النعمان (507م–514م) ويبدو أن علاقة بني شيبان مع هذا الملك كانت غير طبيعية بسبب ما أنزله بهم من ضربات موجعة، وكثرة غزواته عليهم حتي وقع في أسر بني شيبان[1].ويشير أبو البقاء إلي حادثة أسره بأنه غزا بكراً بن وائل، وكانت عادة ملوك الحيرة أن يذبحوا أول رجل يعترضهم في طريقهم من أعدائهم سنه عندهم. فلقي جيش امرئ القيس رجلاً من بني ربيعة من ذهل بن شيبان فقدم إلي الملك لذبحة، فطلب الشيباني من الملك أن يجيره علي نفسه وماله وأهله علي أن يدله علي عورة بكر بن وائل، فأجاره، وكانت بكر قد استعدت للقاء الملك فجاء به الشيباني فأوقعه في فخ فهزمت بكر جيش الحيرة وأسرت ملكها بعد أن غنموا أموالهم، وذُكر أن الذي أسر الملك هو سلمة بن مرة بن ذهل الشيباني ثم أن سلمة باع امرأ القيس بفدية صالحه عليها وقدم مع الملك إلي الحيرة لأخذ فدائه[2].

وأنسحب هذا الموقف العدائي بين بني شيبان وامرئ القيس إلي خلفه المنذر بن ماء السماء لأسباب علي رأسها العلاقة الطيبة لبني شيبان وبكر بالحارث الكندي وابنه شرحبيل من بعده، وما أغاظه أكثر تلك المساهمة الفاعلة لبني شيبان مع الحارث لطرده من عرش الحيرة والاستيلاء علي مناطق واسعة من ممتلكاته. ويبدو

---

(1) حمزة: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص91–92.

(2) أبو البقاء: ج2 الورقة 47–48.

أنه لم ينس ذلك الموقف الذي أهان به بنو شيبان عرش الحيرة والذي تمثل بأسر والده وافتدائه كما مر.

وكان رجوع المنذر إلي عرشه في زمن أنوشروان، بسبب كره الأخير لدين مزدك الذي اعتنقه والده، واتخذ منه دينا رسميا لدوله فارس.

وذكر أبو عبيدة أن المنذر لما رأي من عدم أمداد قباذ له بجيش لرد عدوان الحارث الكندي كتب المنذر إلي الأخير " أني في غير قومي، وأنت أحق من ضمني، وأكتنفني وأنا متحول إليك"[1] فصالحه وزوجه من ابنته هند[2].علي أننا لا نري في مصالحة الملكين ما يدل علي علاقة طيبه بين بني شيبان والمناذرة. ذلك أن أبا البقاء ذهب إلي أبعد من ذلك إذ اعتبر أن بكراً بن وائل هي التي خلعت المنذر بن ماء السماء لما كان بينهم وبين أبيه من العداوة، ودعوا الحارث بن عمرو فملكوه عليهم. وبعد خلعه وتمليك الحارث عليها بدأت بمحاربته وطردته من الحيرة، وحينما لم يحصل المنذر علي مساعدةمن الفرس أشار عليه سفيان ابن مجاشع بمصاهرة الحارث فخطب سفيان هند بنت الحارثإلي المنذر وتزوجها ثم أنصرف الحارث عن بلاده وعاد المنذر إلي الحيرة[3] وافتخر الفرزدق بذلك.

منا الذي جمع الملوك وبينهم * حرب يشب سعيرها بضرام[4]

وربما حصلت المصالحة بين الحارث الكندي والمنذر اللخمي ولكن الحارث لم يلذ بالفرار ويترك الحيرة إلا بعد أن اشتد ساعد المملكة الساسانية بتسلم أنو شروان الحكم. وأن ما روي من خلع بكر للمنذر، والاتصال بالحارث ومحاربة المنذر ومن

---

(1) أبو عبيدة: الأيام، ص398.

(2) المصدر نفسه: ص398.

(3) أبو البقاء: ج1 الورقة 50

(4) المصدر نفسة: ج1، الورقة 50.

ثم هروبه من الحيرة، فيبدو أن القوة الأساسية للحارث الكندي كانت تمثلها بطون بكر وعلي رأسها بنو شيبان، وذلك لأن بكراً كرهت حكم المنذر لما لاقته من أبيه من ظلم واحتراب. وعليه ربما كانت العلاقة بين المناذرة وبني شيبان سيئة حينما رجع المنذر إلي عرشه، ولذلك فإن صح هذا الصلح فإن ذلك لا يعني دخول بني شيبان فيه، ويبدو أنه كان صلحاً بين ملكين لا علاقة للتيارات القبلية فيه.

وكان بنو شيبان بعد انتهاء حكم آل آكل المرار، قد اتخذوالأنفسهم موقفاً مستقلاً غير ميال لأي من القوي العربية المستقرة آنذاك، والتي تدين بتبعيتها إلي إحدى القوتين الفارسية أو البيزنطية. وأن بكراً بن وائل ملكوا عليهم حارثه بن عمرو بن أبي ربيعة الشيباني " وتوجوه وحيوه بتحية الملوك"[1] وكانت الحرب بينهم وبين المنذر قائمه "إلي أن ظهر عليهما في يوم أوارة"[2] فأسر حارثة ذا التاج وقتله[3]. ووجد المنذر بن ماء السماء الفرصة سانحة للانتقام من بني شيبان وبكر، متخذاً من فرار سلمة الكندي من تغلب إلي بكر وحماية بكر له مبرراً لذلك خاصة بعد أن دعاهم إلي الخضوع إليه، وأبوا ذلك فكان يوم أوارة، حيث قتل المنذر بكر بن وائل مقتلة صورت بأنها عظيمة، وأن كنا نلحظ المبالغة في ذلك[4].

وبعد هذه المعركة يلاحظ أن قبيلة بكر وزعت ولاءها بين المناذرة وبين قيادة نفسها بنفسها، فرُوي أنه بعد أن أسرف المنذر بقتل رجال بكر بن وائل وأقسم أنه ليذبحهم حتى يسيل الدم من رأس الجبل إلي الوادي، وهذا أمر صعب التحقيق يتطلب ذبح الكثير من البشر، أشار عليه أحد بني قيس من بكر بن وائل بأن "يصب الماء

---

(1) أبو البقاء: ج1، ورقة 50–51.

(2) نفس المصدر: ج1، ورقة 50–51.

(3) المصدر نفسة: ج1، الورقة 17–18.

(4) أبن الأثير: الكامل: ج1، ص552–553، أيضا أبو البقاء ج1 ورقة 50–51.

علي الدم حتي يبلغ الدم الأرض" حتي سمي هذا الشخص[1]بالوصان[2]. وقيل أن هذا الرجل هو مالك بن كعب من بني عجل وإن صح ماذُكر فإن هذا يدل علي أن بني قيس وربما بني عجل قدموا ولاءهم لملوك الحيرة، وربما لم يخرج من بكر ويقف موقفا معاديا للمنذر إلا بنو شيبان كما ذكر ذلك الأعشى عن يوم أوارة.

سبايا بني شيبان يوم أوارة * علي النار إذ تجلي له فتيانها[3]

أما علاقة بني شيبان بخلفه عمرو بن هند (554–578م) فقد كانت علاقة جيدة، تحسنت أكثر حينما صالح بين بكر وتغلب، فذكر أبو البقا أن عمرو بن هند أصلح بين الحيين، بكر وتغلب، علي أن لا يغزو بعضهم بعضا وأخذ من هؤلاء أربعين غلاماً رهائن علي ذلك يصحبونه في أسفاره وحروبه فأصابتهم في بعض الطرقات سموم، فمات التغلبيون جميعاً، فطالبت تغلب بكراً بعقلهم وقالوا:إنما رهناهم علي صلحكم، وقيل إن الملك نزل بحي من بكر فضافهم والغلمان معه، فقروهم فمات التغلبيون فاتهمت تغلب بكراًأنهم سموهم فطالبوهم بعقلهم،ففي ذلك كانت الحكومة بين الحيينعنده"[4].

وعلي الرغم من العلاقة الطيبة بين بني شيبان وعمرو بن هند، إلا أنه لا توجد أشارة إلي مشاركة بني شيبان في الأنشطة والفعاليات العسكرية التي قام بها الملك الحيري كما اعتقد بعض الباحثين[5]. وربما من شارك هم هؤلاء الرهائن الذين لم يكن وجودهم كما نفهم من نص أبي البقاء لأسباب عسكرية بل لأسبابأمنية اقتضتها

---

(1) هو الحارث بن مالك. أبن دريد، ص345–346.

(2) أبن دريد: ص345–346، أبن الأثير: الكامل، ج1،ص522–553.

(3) أبن الأثير: الكامل، ج1، ص552–553.

(4) أبو البقاء، ج1، الورقة 54–55، أيضا الشنقيطي، ص49 مع اختلاف في عدد الرهائن.

(5) دائرة المعارف الإسلامية، مادة بكر، وربما قصد الباحث بني قيس بن ثعلبة وتيم اللات بن ثعلبة من بكر بن وائل الذين كانوا من خواص الملك الحيري أنظر: حمزة: الدرة الفاخرة، ج1، ص95.

طبيعة الصراع والعداوات التي استمرت بين بني شيبان وتغلب لفترات طويلة من الزمن. وربما لاعتبارات سياسية الغرض منها السيطرة علي قبيلتين كبيرتين تقيمان علي أطراف العراق من قبل المناذرة بدلاً من أن يكونوا قوتين ضاربتين في الإغارة علي ممتلكاتهم مما يفسد علاقتهم بأسيادهم الفرس.

وعلي كل فقد توطدت العلاقة بين بني شيبان والمناذرة بحدود الربع الأخير من القرن السادس الميلادي حتى موقف بني شيبان القومي بالثأر لأخر ملوكهم النعمان بن المنذر من الفرس الساسانيين[1].

(1)أنظر: الفصل الخاص بنضال بني شيبان ضد الفرس.

المبحث الخامس

علاقة بني شيبان بالقبائل الأخرى

بنو سليم[1]:

ذكر أبو عبيدة أن حرباً وقعت بين بني شيبان وبني سليم التي كانت منازلهم في أطراف الشام[2] كان سببها غزوة بني سليم لبني شيبان، وكانت نتيجتهاظفربني شيبان وهزيمة بني سليم[3] وورد في هذه الرواية ذكر صليع بن غنم الذي وردت أخباره في زمن ابن الهبولة، ولما كانت الفترة التي حدد فيها زمن أبن الهبولة هي النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي فلم يكن تاريخ هذه الحرب إلا في الفترة نفسها[4].

قريش:

أما عن علاقة بني شيبان بقريش، فكانت علاقة طيبة إلا ما ذكره أبن حبيب من اعتراض بني شيبانوبني عجل لتجارة إحدى قوافل قريش المتجهة إلي الشام، وحصل بسببها قتال بين الطرفين أدي إلي تمكن قريش وهزيمة شيبان[5]. وورد في رواية بن حبيب أن من الرجال الذين اعترضوا القافلة عوف[6]، وربما عوف هذا هو أبن محلم الشيباني الذي وردت أخباره في زمن عمرو بن هند وعلي هذا يمكن أن

---

(1)انظر حول بني سليم، أبن حزم: ص421.

(2) المصدر نفسه: ص421

(3) أبن الأثير: الكامل، ج1، ص609.

(4) أنظر حول فترة حكم أبن الهبولة، اوليندر، ص83.

(5) أبن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص441–443.

(6) المصدر نفسه: ص441–443.

نحدد تاريخ هذه الموقعة التي سميت بيوم ذو ضال[1] نسبة إلي موضع يقال له ذو ضال من ديار تميم المجاور لبكر، هو النصف الثاني من القرن السادس الميلادي.

وكانت بعض بطون قريش في حلف مع بني شيبان كعائذة وخاصة بني حرب بن خزيمة منها، إذ كان عدادهم في بني محلم بن ذهل بن شيبان[2].وفي رواية لأبي عبيدة أنهم كانوا من عداد بني أبي ربيعة[3].

طي:

أما عن علاقة بني شيبان بطي فيذكر أبو عبيدة أن طياًأغارت علي بكر وأسرت بكر حاتماً وليس هناك أشارة صريحة في اشتراك بني شيبان في ذلك[4] لا بالعكس فقد كان بنو خبيري وعكرمة من طي أحلافاً لبني شيبان[5].

إن ماذكرناه عن علاقة بني شيبان العدائية مع بني سليم وقريش وطي لم تكن إلا حالات فردية لم تتكرر، إذ لم تشر المصادر إلي تكرارها ولم تشر إلي وجود عداوة بين هذه القبائل وبين شيبان بل تشير إلي وجود أحلاف بين بعض بطون هذه القبائل وبعض بطون بني شيبان. وربما حصلت الحالات المذكورة أثناء تجوال القبائل وتعرضها لبني شيبان في مسيرها إذا ما استثنينا الحالة التي حصلت مع قريش والتي كان بنو شيبان سببها.

---

(1)ضال: موقع كثير الشجر من الضال في ديار عذرة، أنظر البكري: ج3، ص854.

(2) البلاذري: أنساب الأشراف ج1، ص44–45 انظر أيضا أبن هشام: ج1، ص106.

(3) أبن الأثير الكامل ج1، ص607–608، أيضا الضبي: المفضليات هامش ص305.

(4) أبن الأثير: الكامل، ج1، ص606–607.

(5) المصدر نفسة: ج1، ص606–607.

بنو تميم:

أن العلاقات العدائية بين بني شيبان وبني تميم كان لها طابع آخر اتسم بالعداء والوقائع المستمرة حتى جاء الإسلاموأسلمت القبيلتان بحدود عام 630م[1].ويبدو أن أغلب حروبهم كانت بسبب البحث عن المراعي وخاصة رغبة بني شيبان في اتخاذ أراضي تميم مراعيا لهم مما أدي إلي احترابهم ومما يدعم قولنا هذا ما طلبه رئيس وفد بني شيبان من الرسول صلي الله علية وسلم بقوله "اكتب بيننا وبين تميم كتابا بالدهناء لا يجاوزها إلينا منهم مسافر أو مجاور"[2] وحينما أمر رسول الله صلي الله علية وسلم غلامه بكتابه الكتب اعترضت قيله، وهي امرأة تميمية رافقت رئيس وفد بني شيبان إلي الرسول بقولها "فلما رأيته أي الرسول صلي الله علية وسلم أمر له أن يكتب له بها شخص بي وهي وطني وداري، فقلت يا رسول الله انه لم يسألك السوية إذا سألك إنما هذه الدهناء عندك مقيد الجمل ومرعي الغنم ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك"[3]. وفي هذا إشارة واضحة علي أن الأرض والمراعي كان العامل الأساس وراء حروب تميم وبني شيبان. كماأشارت المصادر إلي وقائع كثيرة بين بني شيبان وبني تميم منها يوم ذو طلوع ويوم القحقح ويوم رأس العين ويوم العضالي ويوم الغبيط ويوم مخطط ويوم جدود ويوم سفوان ويوم نقا الحسن وكلها كان الظفر فيها لتميم علي بني شيبان ويوم الزويرين ويوم صعفوق ويوم مبايض ويوم فيحان ويوم الشيبطين. وكان الظفر فيها لبني شيبان علي تميم[4].وذكر أبو عبيدة أن آخر أيامهم كان يوم الشيبطين[5].أما عن علاقة بني شيبان بالقبائل الآخري فكانت طيبة. إذ كانت حوتكة من عذرة في بني الحارث بن همام، وكانت سليمة من بني عبد القيس في بني

---

(1) سيديو: ص48

(2) أبن سعد: الطبقات الكبرى ج1، ص319، أيضا بن عبد ربه: ج2، صص45-47.

(3) أبن سعد: ج1، ص3ذ9، لأبن عيد ؤيه: ج2،ص45-47.

(4) أنظر حول أيام شيبان وتميم، أبن عبد ربه: ج5، ص182 فما بعد، أبن الأثير: الكامل ج1، ص596-616-و637-638. أبو عبيدة النقائض: ج1، ص19-21،73،75-76،144-146 و233-235 و313-317 و335-336 وج2 ص580-681، 1020-1023، الأصفهاني: ج14 ص78، أيضا جاد المولي وآخرون: ص170 فما بعد.

(5) أبو عبيدة: النقائض، ج2/ص1020.

أسعد بن همام، وكانت كل هذه القبائل أحلافاً لبني شيبان بالإضافة إلي ما ذكرناه جاورتها فعزت بها وكثرت[1].

مما تقدم يمكن أن نستنتج أن بني شيبان قبيلة مشهورة احتلت مكانها بين القبائل العربية، ونالت احترامها، وإطراء الرواة بالثناء عليها فكثرت تحالفاتها وتشعبت علاقاتها. ولها دورها المميز عبر التاريخ العربي قبل الإسلام فرأيناها في العقد الأخير من القرن الخامس الميلادي دخلت كقوة رئيسية من قوي توحيد وسط الجزيرة العربية بزعامة حجر آكل المرار، ثم دخلت بعد ذلك كطرف له قدرة في حلف معد الذي تزعمه كليب، وكانت نتيجته الفشل. ثم تعود في مطلع القرن السادس فتقدم ولاءها إلي الحارث بن عمرو بن حجر الكندي وتساهم مساهمة فاعلة في إعادة وحدة وسط وشمال الجزيرة، وحينما انتهت زعامة كندة لوسط وشمال الجزيرة بمقتل شرحبيل بن الحارث وهزيمة أخيه سلمة، اعتمدت قبيلة بني شيبان علي قواها الذاتية وانتهجت نهجاً استقلالياً حيث نصبت إحدى شخصياتها، وهو حارثة ذو التاج ملكاً عليها وكانت طيلة الفترة السابقة لم تهادن المناذرة بل في حالة حرب مستمرة معهم إلي أن أنتصر عليهم المنذر بن ماء السماء في يوم أوراة.

والمتتبع لتاريخ بني شيبان يمكن أن يلاحظ أن هذه القبيلة كانت دائما تواقة إلي العمل الجماعي راغبة في الوحدة السياسية وهذا أمر يمكن ملاحظته من خلال استقراء علاقتها السياسية كما مر بنا.

وعن علاقات بني شيبان بالفرس، ليس لدينا ما يشير إلي علاقات مهادنه وتعاون معهم، إلا ما ذكر عن قيس بن مسعود بن ذي الجدين حيث ذكر أن كسري أطعمالأبلة وثمانين قرية من قراها"[2].أما ما ذكر أن بكراً تحت يد كسري فارس

---

(1) أبن الأثير: الكامل، ج1، ص607–608.

(2) أبن حبيب: المحبر، ص253.

كانوا يقرونهم ويجهزونهم فمن المرجح أن المقصود به بطون بكر الأخرى[1]. ومما تقدم فهل يمكننا أن نعتبر بني شيبان لقاحا: واللقاح تعني القبائل المستقلة التي لا تدين للملوك ولا تهادنهم وتواثقهم ويستشهد أبو البقاء بكلمة لقاح بين شعر لعمرو بن حوط بن سلمة اليربوعي:

أبو دين الملوك فهم لقاح * إذا احتجوا إلي حزب اشاخوا[2]

ومثل ذلك قول أبي زمعة الأسود بن الصلت إلي أبن عمه عثمان بن الحويرث حينما أتي بكتاب قيصر ليملكوه علي مكة "إلا أن قريشاً لقاحا لا تملك"[3] دلاله استقلاليتها وعدم ادانتها للملوك.

وحسب تصنيف أبي البقاء للقبائل العربية والتي صنفها كالتالي:

1) القبائل التي لا تدين للملوك ولا تواثقهم[4].
2) القبائل التي لا تدين للملوك ولا تواثقهم وتهادنهم.
3) القبائل التي تدين للملوك وتعطيهم الاتاوة[5].

---

(1) أبن الأثير: الكامل، ج1 ص612، كان بنو قيس بن ثعلبة وتيم اللات بن ثعلبه من خواص الملك الحميري. حمزة: الدرة الفاخرة، ج1،ص95 هامش رقم (1) وكان سدوس بن شيبان له ردافة الملك ابن قتيبة: المعارف، ص45.
(2) أبو النقاء: ج2،الورقة 3.
(3) المصدر نفسة: ج2، الورقة 4.
(4) هم (لقاح)
(5) أبو البقاء: ج2، الورقة 3.

الفصل الثاني

علاقة قبيلة بني شيبان السياسية

مع المناذرة والنعمان

- المبحث الأول: العلاقات الساسانية مع القبائل العربية
- المبحث الثاني: العلاقات العربية الساسانية في عهد النعمان الأخير
- المبحث الثالث: علاقة بن شيبان السياسية مع الفرس

المبحث الأول

العلاقات الساسانية مع القبائل العربية

من الضروري أن نبحث العلاقات العربية الساسانية الخاصة بالقبائل العربية في شمال وشرق الجزيرة لكونها تقيم على أطراف حدود الدولة الساسانية وعلى احتكاك مباشر معها، لتكون مقدمة لدراسة العلاقات الساسانية اللخيمة في زمن النعمان الأخير نظراً لمشاركة بني شيبان فيها.

مبعث الصراع واستمراره:

كانت بعض القبائل تقيم في الجزيرة العربية المتاخمة لحدود العراق الذي احتله الفرس الساسانيون في زمن مؤسس الدولة الساسانية أردشير بن بابك (أسسها 226م) ولمحاولة هذه الدولة إخضاع العرب القاطنين على حدودها لسلطتها مباشرة، فمن الطبيعي أن تكون العلاقات غير طبيعية لأسباب مختلفة منها، استغلال العرب فترات ضعف الدولة الفارسية كما حصل بعد وفاة هرمزد الثاني (302–309م) أولاً[1] ولحاجة العرب الماسة إلى ما ينمي ماشيتهم ويحسن أحوالهم المعيشية ثانياً خاصة إذا ما أخذنا ثروة العراق وخصب أرضه إذ كانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شيء من معاشهم وبلادهم"[2]. وكانت جزيرة العرب مجدبة وما فيها من أرض خصبة مزدحمة بأهلها، فكان " سوء حالهم وشظف

---

(1) الدينوري: الأخبار الطوال، ص48، الطبري: تاريخ، ج2، ص55، الثعالبي: غرر سير ملوك الفرس، ص514، المسعودي مروج، ج1، ص279.

(2) الطبري: تاريخ، ج2، ص55، الثعالبي: ص514–516. ابن خلدون: العبر، م2، ص347–349.

عيشهم"[1] إذاً سبباً آخر من أسباب حالة الصراع بينهم وبين الفرس الذين احتلوا الجزء الخصب من أراضيهم.

وكانت الغارات التي يشنها العرب على الفرس في فترات ضعفهم فرصة للفرس للانتقام منهم أشد الانتقام في فترات قوتهم.

وقد تحولت أسباب الصراع إلى حقد ساساني دفين ضد العرب، ولم يكن العرب بالمقابل ينسون مواقفهم، واستمرت تلك العلاقات السيئة بين العرب والفرس يرافقها نمو الوعي القومي عند العرب، إلى أن حققت القبائل العربية انتصارها الحاسم على الدولة الساسانية ذات الهيبة والسلطان، في معركة ذي قار، التي صورت أروع ملحمة للتحالف العربي، وكانت فاتحة خير ومقدمة لتحرير العراق من أيدي الساسانيين كما سنبين ذلك في ما بعد.

كان لاحتلال العراق من قبل أردشير بن بابك رد فعل عربي ضد احتلال الفرس له، إذ كرهت قبائل العرب أن تخضع لحكمهم كما يذكر الطبري بقوله: "ولما استولى أردشير على الملك بالعراق، كره كثير من تنوخ أن يقيموا في مملكته وأن يدينوا له"[2] وهكذا خرج من كان من القبائل العربية وخاصة قبائل قضاعة الذين أقبلوا إلى العراق مع مالك وعمروا بني فهم ومالك بن زهير وغيرهم، ورحلوا إلى الشام قاصدين من كان هنالك من قبائل قضاعة[3] .

ولم يكن احتلال العراق من قبل الفرس إلا مقدمة لاحتلال مناطق عربية أخرى، فكانت منطقة الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية هي المرشحة لذلك. فغزا

---

(1) الطبري: تاريخ، ج2، ص55، ابن خلدون: العبر، م2، ص347–فيما بعد.

(2) الطبري: تاريخ، ج2، ص42.

(3) نفس المصدر: ج2، ص42.

أردشير عمان واليمامة[1]، وهاجم البحرين وحاصر ملكها الذي عبر عن رفضه للاحتلال الفارسي بالانتحار، إذ رمى نفسه من سور المدينة الحصين فهلك[2].

وكرس أردشير احتلاله للبحرين بأن بنى فيها مدينة سماها فنباذ أردشير وهي مدينة الخط[3]، ولم يكن بناء المدينة إلا لتكون فارسية لضبط السواحل العربية للخليج العربي[4].

ويبدو أن الأعمال التخريبية والعمليات العسكرية، التي قام بها أردشير وما رافقتها من سفك دماء العرب، لم تنس من قبلهم، وظلوا يتحينون الفرصة السانحة، لتوجيه ضربة للساسانين، فكان مطلع القرن الرابع الميلادي، بداية مرحلة جديدة من الصراع بين القبائل العربية والساسانين، تركت بصماتها ولفترات طويلة من عدم الاستقرار وفقدان الأمن في هذه المنطقة.

كانت وفاة الملك هرمز الثاني (302–309م) عاملاً أساسياً في دخول بلاد ساسان مرحلة من الفوضى والضعف استبد خلالها في حكم البلاد الوزراء والكتاب الذين كانوا يعملون في زمنه وذلك بسبب عدم تركه وريثاً للعرش بعده[5]

وذكر أن هرمزد توفى وزوجه حامل بابنه سابور ذو الأكتاف[6] (309–379م) فعقد الفرس التاج لزوجه إلى أن أصبح سابور رجلاً[7]، وروى أنه كان في المهد وقت وفاة أبيه[8]، وقيل كان صبياً لم يبلغ مبلغ الرجال[9].

---

(1) الدينوري: ص42.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص41.

(3) الطبري: تاريخ، ج2، ص41.

(4) انظر حول بناء المدينة حمزة: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، ص44 وقد سماها بن أردشير.

(5) الطبري: تاريخ، ج2، ص55.

(6) المصدر نفسه: ج2، ص55.

(7) الغالي: التاريخ الغيائي، الورقة 72–73.

(8) الدينوري: ص48.

(9) الثعالبي: ص514–115.

ومهما اختلفت الروايات في ذلك فلم يكن لبلاد فارس حاكم قوي يحكمها بعد وفاة هرمزد، مما أفقد الدولة مركزيتها وأصابها الشلل، كما أفقدها هيبتها من قبل جيرانها الذين كانوا يراقبون أوضاعها الداخلية بروح انتقامية لما مارسوه ضدهم من قهر وظلم واحتلال.

وما أن سمعت القوى المجاورة من عرب وترك وروم أن أصحاب هرمز هم الذين يديرون شئون الدولة وينظرون إلى بلوغ طفل سن الرشد ليملكوه حتى ثارت ثائرتهم ضد الفرس[1].

كانت بلاد العرب أقرب تلك القوى إلى بلاد فارس فسار "جمع عظيم من بلاد اياد وناحية بلاد عبد القيس والبحرين وهجر وكاظمة وغيرها إلى أطراف العراق وأسياف فارس فغلبوا أهلها على أراضيهم ومواشيهم، فأكثروا فيها الفساد وشنوا الغارات"[2]، واستمروا كذلك دون أية مقاومة من الفرس إلى أن شب سابور[3]، لما أصاب مملكتهم من وهن وضعف[4] .

ويمكننا أن نقرن ثورة القبائل العربية هذه بتلك الحملة المنظمة التي قادها أحد قواد شمر بهرعش على شرق الجزيرة العربية[5].

---

(1) الطبري: تاريخ، ص55، انظر حول العلاقات بين الترك والساسانيين كريستنس: ص196 فما بعد.
(2) الثعالبي: ص514-515. أيضاً ابن الأثير: الكامل، ج1، ص392، ابن خلدون: العبر، م2، ص347-349.
(3) الطبري: تاريخ، ج2، ص55، ابن الأثير الكامل، ج1، ص392 ابن خلدون: العبر، م2، ص247.
(4) الدينوري:ص48.
(5) العسلي: "حملة شمر بهرعش على شرق الجزيرة العربية، ص 820.

وبقيت القبائل العربية في تلك المناطق منتجعة "إلى أن بلغ سابور مبلغ الرجال[1] فجمع ألف فارس من خيرة جنوده وتوجه لقتال العرب[2]، ووصفهم الثعالبي بـــ " أبناء الغياث وآساد الغابات"[3]، وتوجه أولاً نحو من أقام في العراق منهم[4] .

أوصى سابور جنده بإبادة من سيلاقيهم من العرب ونهاهم عن الإبقاء على من لقوا من العرب"[5] بعد ما أوغر صدره حقداً عليهم وتنفيذاً لرغبته المتعطشة لسفك المزيد من الدماء.

بدأ سابور زحفه على القبائل العربية المحاذية لحدود العراق، ويبدو أن قبيلة إياد العربية كانت المحطة الأولى التي جرب فيها سابور سيفه "فأوقع أولاً بمن في أطراف السواد من إياد[6] ليجعل من دمائهم مادة تزيل صدأ سيفه وسيوف فرسانه، فغزاهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وتركهم كالرميم ولم ينج منهم إلا من لحق بالروم وصاروا مثلاً في البوار.." [7].

ويذكر أن قبيلة إياد أصبحت سيدة الموقف في العراق بعد وفاة هرمزد ولتمكنها وسيطرتها سميت "طبقاً لانطباقها على البلاد"[8] فكانت تصيف في الجزيرة وتشتو في العراق[9] .

---

(1) الطبري: تاريخ، ج2، ص57.

(2) المصدر نفسه: ج2، ص57، أيضاً ابن الأثير: الكامل ج1، ص393-394، وبهذا الصدد ذكر الفردوسي أن سابور اختار اثني عشر ألف فارس من أعيان أبطاله، وهو الأرجح وألا كيف استطاع سابور أن يوجه قوة القبائل الممتدة من أطراف مملكته إلى اليمامة الفردوسي:ج2، ص64.

(3) الثعالبي: ص517.

(4) المصدر نفسه مع الفحات.

(5) الطبري: تاريخ، ج2، ص57، ابن الأثير:الكامل:ج1، ص393-394، ابن خلدون:العبر،م2، ص347-349.

(6) الثعالبي:ص517.

(7) نفس المصدر السابق، المقدسي،ج3، ص16.

(8) المسعودي: مروج، ج1، ص279-280، ابن خلدون: العبر، م2، ص349.

(9) المسعودي: مروج، ج1، ص279-280.

وينسب إلى رجل من إياد يدعى لقيط شعر كتبه إلى قومه يخبرهم بقدوم الفرس لقتالهم، وكان حبيس الفرس[1] .

سلام في الصحيفة من لقيط	*	**على من في الجزيرة من إياد**
بأن الليث يأتيكم دلاقا	*	**فلا يحسبكم شوك القتاد**
أتاكم منهم سبعون ألفاً	*	**يجرون الكتائب كالجراد**
على خيل ستأتيكم	*	**فهذا أوان هلاككم كهلاك عاد**

وحينما استمرت غارات إياد على السواد ولم يأخذوا بما كتب لهم وجه لهم كتاباً آخر يخبرهم فيه أن الفرس قد عسكروا وحشدوا وأنهم سائرون إليهم.

وكتب لهم شعراً نذكر منه:

يا دار عمرة من تذكارها الجرعا	*	**هيجت لي الهم والأحزان والوجعا**
أبلغ إياداً وحلل في سراتهم	*	**أني أرى الرأي أن لم أعص قد**
ألا تخافون قوماً، لا أبا لكم	*	**مشوا إليكم كأمثال الدبى سرعا**

وعلى الرغم من أن إياداً لم تأخذ بكتبه، إلا أن موقف لقيط هذا يمثل بادرة وعي قومي عند العرب في تلك الفترة الزمنية.

ولما كانت العرب تؤرخ بما يعترض حياتهم من حوادث هامة[2]، فقد أرخت إياد بخروجها من العراق على أثر المذبحة التي ذبحها فيها سابور ذو الأكتاف[3].

غزا سابور بعد قتله إياد البحرين وكان فيها قبائل من تميم وبكر وبدأ قتاله لهم بلا رحمة، رافضاً قبول أي فداء أو غنيمة[4]، وفرت تميم تاركة ديارها وشيخها

---

(1) انظر حول موقف لقيط الأيادي، لقيط بن يعمر: ديوانه، ص28، فيما بعد.

(2) ذكر ابن حبيب في المحبر،ص8: " وأما الأعراب فإنما يؤرخون بما يكون في السنين من حرب أو عاهة وما أشبه ذلك" وأكد ابن الكازوروني في مختصر التاريخ ص67 " وكانت معد تؤرخ بإخراجهم العماليق من الحرم ثم بأيام العرب كحرب بني وائل وحرب داحس والغبراء".

(3) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص 175-176.

(4) الطبري: تاريخ، ج2، ص57، ابن الأثير: الكامل، ج1، ص 393-394، ابن خلدون: العبر، م2، ص 347-349.

المسن عمرو بن تميم الذي وجده سابور وحده قائلاً أنما أقتلكم معاشر العرب لأنكم تزعمون أن لكم دولة، فأجابه أن قتلك للعرب ليس يدافع عنك ذلك[1] وفي هذا إشارة إلى مدى تخوف الفرس من قوة القبائل العربية ولذا اعتمدوا ضدهم أسلوب الإبادة الجماعية.

وتقدم نحو هجر وسفك فيهم من الدماء سفكاً صورت بسيلانها كسيل المطر حتى كان الهارب من أهلها يرى أنه لا ينجيه منه "غار ولا جزيرة في بحر"[2] لشدة بطشه، وكذلك فعل بعبد شمس[3].

كم كانت القسوة إذن ؟ وهل ارتوى هذا السفاك من دماء العرب واكتفى بما فعله في إياد وقبائل البحرين وهجر؟ لم تكن هذه المناطق هي المحطة الأخيرة لمجازره، بل توجه نحو اليمامة وفعل فيها مثل ما فعل بمن سبقهم من قبائل العرب من قتل وتشريد، ولم يكتف بما فعلته جنده من مذابح فمن لم يقتل بالسيف مات عطشاً إذ أنه لم يمر بماء من مياه العرب الأعوره ولا جب من جبابهم الأطمه[4] وكذلك فعل بأرض الجزيرة[5] ومن كان بها من قبائل بكر وتغلب التي كانت تقيم شمال غربي العراق بأرض الشام بين بلاد فارس، والروم[6].

لم تفسر المجازر الدموية التي أحدثها سابور إلا لحقده العميق على العرب، وحنقه عليهم الذي كان " ينمو بنموه وبغضه لهم يجري منه مجرى دمه"[7] حيث عامل من وقع بيده من الأسرى معاملة بعيدة كل البعد عن القيم الإنسانية، فنكل بهم،

(1) ابن خلودن: العبر، م2، ص 349–350.
(2) الطبري: تاريخ، ج2، ص57، الثعالبي: ص517، ابن الأثير الكامل، ج1، ص393–394.
(3) الطبري: المصدر نفسه، ج2، ص57، ابن الأثير: المصدر نفسه، ج1، ص393–394.
(4) الطبري: تاريخ، ج2، ص 57 ابن الأثير: الكامل، ج1، ص393–394، الثعالبي: ص517.
(5) الدنيوري: ص48.
(6) الطبري: تاريخ، ج2، ص57، الثعالبي: ص517، ابن الأثير الكامل، ج1، ص393–394.
(7) الثعالبي: ص517.

وخلع أكتافهم حتى سمته العرب سابور " ذا الأكتاف"[1]، وروى أنه نزع أكتاف خمسين ألفاً منهم[2]، وأن كنا نلاحظ المبالغة واضحة في عدد من نزع أكتافهم، إلا أن ما فعله بنزع أكتاف العرب أمر واقع كما أكد عليه المؤرخون.

ويبدو أن العرب بعد هذه المذابح قد اتجهوا إلى الروم وقدموا المساعدة لملكها لليانوس (361-363) لا نصرة لهم بل عداوة للفرس.

أن اليعقوبي يرجع محاربة سابور للعرب بعد مساعدتهم للروم[3]، ولكن المتتبع لمجريات الأحداث في الطبري يرى أن غزو سابور للروم قد تم بعد محاربته العرب وتشريدهم "وأن سابور بعد أن أثخن في العرب وأجلاهم عن النواحي التي صاروا إليها مما قرب نواحي فارس والبحرين واليمامة... هبط إلى الشام وسار إلى حد الروم"[4] وبعد غزوه للروم صالح العرب[5] .

وبعد مصالحة سابور للعرب فرق القبائل العربية، فاسكن قبائل تغلب وبكر كرمان وتوج والأهواز[6] وإياداً في تكريت والجزيرة والموصل[1] .

---

(1) حمزة: تاريخ سني ملوك الأرض، ص47، المقدسي: البدء والتاريخ، ج3، ص160، المسعودي: مروج، ج1، ص279-280، أبو الفدا: ج1 ص48، ابن خلدون، العبر، م2، ص349-380 وحول تسمية سابور ذي الأكتاف ذكر حمزة: تاريخ سنى ملوك الأرض، ص47 " وسموه ثابور هوية سنبا، هوية: اسم الكتف وسنبأ أي نقاب قيل ذلك لأنه غزا العرب وكان ينقب أكتافهم فجمع بين كتفي الرجل منهم بحلقه ويسبيه فسمته الفرس بهذا الاسم وسمته العرب ذا الأكتاف.."

(2) الثعالبي: ص517.

(3) اليعقوبي: تاريخ ج1، ص182-183.

(4) الطبري: تاريخ: ج2، ص60.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص61.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص61: وذكر الغيائي: في تاريخه الورقة 72-73 خول توطين القبائل " أنفذ- أي سابور- أربع طوائف منهم كل طائفة منهم موضع فأنفذ بني تغلب إلى جانب البحرين وبني عبد القيس إلى الهجر واليمامة وبني بكر بن وائل إلى جانب اليمن وعمان وحدوج كرمان وبني حنظلة إلى الأساواره والبصرة".

ويبدو أن ما ذكره الطبري أقرب إلى الصواب وربما أراد سابور من وراء هذا التوزيع أن يسكنهم بيئة لم يعودوا السكن فيها مما يشل حركتهم ويأمن جانب غاراتهم.

ويبدو أن الإجراءات الوقائية والعمليات الانتقامية التي اتخذها سابور لم تمنع العرب من تحدي إمبراطورية فارس واستمروا في غاراتهم على أطرافها إلى أن مات كما يذكر الطبري " أن سابور ظل يقتل العرب، ونزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك"[2].

كما وأن ثورة القبائل هذه لم تهدأ، ووحشية الفرس، لم تنس من قبلهم وقد أثر فيهم عدوان الفرس " تأثير النار في يبس الشجر"[3].

وإذا كانت الرجال تنازع الفرس وأصر العرب إلا أن يعلقوا خيلهم من خضر السواد وخصب أرضه منازلة لهم لا بالمصالحة كما في شعر أبي داود الأيادي:

فنازلنا بني الأحرار حتى * علقنا الخيل من خضر السواد[4]

نجد نساء العرب تتحدى ملكهم وتتوعده أن هو استمر في غيه، وقتله للعرب قالت امرأة عربية لسابور: " أيها الملك أن كنت تطلب ثأراً فقد أدركت وزدت وإن كنت تعم قبائل العرب فأعلم أن لهذا قصاصاً ولو بعد حين.." [5].

وقد صحت توقعات المرأة العربية فكان القصاص الأول في ذي قار ثم تحرير أرض العراق في صدر الإسلام، على أن بين التهديد بالقصاص والتحرير كانت هناك العمليات العربية الثأرية التي هزت عظمة الفرس وقوضت كبرياءهم، على الرغم من اتخاذهم الحيرة كسد لتأمين حدودهم الغربية ضد هجمات القبائل العربية على العراق[6].

---

(1) البكري: ج1، ص2، ص60.
(2) الطبري: تاريخ، ج2، ص60.
(3) الثعالبي: ص520.
(4) المسعودي: التنبيه والأشراف: ص175-176.
(5) الثعالبي: ص517.
(6) العلي: محاضرات، ج1، ص65.

إن فتح المسلمين للعراق لم يأت ثأراً للعرب على الفرس وإنما لنشر مبادئ الإسلام التي كانت رحمة للجميع، وعليه فلا بد من التفريق بين حرب الجاهلية وفتوح الإسلام التي حررت الفرس والعرب معاً، وأنزل الله تعالى بركاته وكراماته على المسلمين بغض النظر عن العرق فقد أسمع سبحانه وتعالى سعد بن أبي وقاص قائد جند المسلمين أثناء فتوح العراق نداء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو في المنبر في المدينة المنورة (يا سارية الجبل) فعمل بالنداء وأنتصر المسلمون على الفرس.

فكانت نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين بداية ظهور أول ردة فعل عربية منظمة تزعمته بكر وشيبان ضد الفرس بقيادة الحارث بن عمرو بن حجر أكل المرار الكندي[1]، حيث استطاع أن يجمع شمل القبائل العربية ويدك حصون الفرس، فأغار على الحيرة عدة غارات " وكان كثيراً ما يغزو بني نصر، ملوك الحيرة، وكان قد ضم إليه ملكاً من ملكهم"[2] إلى أن توج عملياته العسكرية بزعامة بكر وشيبان بتحرير الحيرة والسيطرة عليها للفترة من (525-825م)[3]، وهروب ملكها المنذر بن ماء السماء الحيري[4] .

وصورت بعض المصادر أن استيلاء الحارث على الحيرة كان باستدعاء قباذ له وذلك لعدم قبول المنذر دينه الجديد- المزدكية- بينما اعتنقها الحارث[5] .

(1) انظر: الفصل الخاص بــ العلاقات الخارجية.

(2) ابن حبيب: المحبر، ص269.

(3) أو ليندر: ص107.

(4) الطبري: تاريخ، ج2، ص95، ابن خلدون: العبر، م2، ص 551-553.

(5) ذكر ابن سعيد في كتابه نشوة الطرب: الورقة 271، أن المنذر قال حينما عرض عليه قباذ المزدكية " أن للعرب غيرة لا تسوغ معها الاشتراك في النساء".

ويبدو أن الحارث الكندي قد غزا الحيرة بدون اتفاق أو لقاء مسبق مع الملك الفارسي قباذ، فذكر هشام بن محمد الكلبي لقاء قباذ بالحارث بعد سيطرة الأخير على الحيرة[1].

ويبدو أن العوامل الرئيسية التي ساعدت الحارث الكندي على غزو الحيرة هي حالة الضعف التي تمر بها الدولة الساسانية في زمن قباذ[2]، إضافة إلى كره قبائل ربيعة وخاصة بني شيبان لملك الحيرة المنذر بن ماء السماء، ما جعلها تستجيب لأمر الحارث الكندي وتنهض معه لإزالة حكم المناذرة في تلك الفترة وتهديد الفرس تهديداً مباشراً[3].

وعلى الرغم من الإجراءات السياسية الحازمة التي قام بها أنوشروان والتي أعادت الهيبة على دولته بعد ما أصابها من ضعف وانحلال في زمن والده تلك الإجراءات التي تمثلت بالقضاء على المزدكية، وإعادة المنذر الحيري إلى ملكه. وعلى الرغم مما تمتعت به الدولة في زمنه من القوة، لم تكف القبائل العربية من تعرضها لأمن الدولة الساسانية، فبينما كانت في المراحل السابقة تشن الغارات على ممتلكاتها، نراها في زمنه تتخذ شكلاً جديداً من النضال ضدها، تمثل بالعمليات التعرضية لقوافلها التجارية.

رُوى عن هشام بن محمد أن عامل اليمن الفارسي وهرز بعث بهدية إلى أنو شروان من اليمن فوثب عليها بنو تميم وأخذوها. وكان أصحاب العير المحملة بالهدية قد توجهوا إلى هوذة بن علي وأخبروه بفعل بني تميم فتوجه معهم إلى كسرى، فبعث

---

(1) ذكر هشام بن محمد أن قباذ بن فيروز ملك فارس بعث إلى الحارث بن عمرو الكندي " أنه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد، وأني أحب أن القاك" الطبري: تاريخ، ج2، ص95.

(2) حمزة: تاريخ سنى الملوك الأرض الأنبياء، ص91-92.

(3) الطبري: تاريخ، ج2، ص95 وما بعد، أبو الفدا:ج1، ص52.

كسرى إلى المكعبر عامله في البحرين للانتقام منهم[1] . وقيل أنه هم بتسيير جيش لقتالهم لولا البيئة الصحراوية وقلة الماء[2] .

وتمت عملية الانتقام من بني تميم بطريقة استبدادية بعيدة عن القيم الإنسانية إذ احتال وأوهمهم أنه يريد أن يوزع عليهم طعاماً في حصن المدينة فأدخلهم وقتل الرجال وخصي الصبيان[3] بعد أن منعهم من دخول الحصن مسلحين[4]، ورُوى أنه أمر بحطب رطب وأضرم النار فيه ليغريهم بالدخان، وحينما دخلوا أصفق عليهم الباب فهلك الكثير منهم[5].

على أن المجازر الدموية التي فعلها الفرس ضد العرب لم تثن القبائل العربية من التعرض لقوافلهم، فتعرض بنو شيبان وبنو تميم لقافلة أخرى فارسية فبعث إليهم كسرى فرساناً من جيشه بقيادة أحد قواده المسمى وهرز فالتقى القبيلتين عند ذي قار، وهزمتهم شيبان وتميم شر هزيمة، حتى أنهم باعوا أحد فرسانه كما يبتاع العبيد وكان صاحب صنعة ماهراً في عمل اليدين متحدين بذلك عظمة دولة الفرس وتاجهم الكبير[6].

ثم ثارت ثائرة قبيلة إياد العربية مرة أخرى، وأخذت تغير على أطراف مملكة الفرس، فروى ابن شبه أنهم أصابوا في غاراتهم امرأة من أشراف الأعاجم مما آثار

---

(1) المقدسي: ج3، ص163، حمزة: تاريخ سنى ملوك الأرض، ص91-92، ابن الأثير: الكامل، ج1، ص411، أبو الفدا: ج1، ص52.

(2) الطبري: تاريخ، ج2، ص169-170، ابن خلدون: العبر، م2، ص360-361.

(3) القرويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص110-11.

(4) الطبري: تاريخ، ج2، ص169-170، ابن خلدون:العبر،م2، ص360-361.

(5) أبو عبيد: الأيام، ص422 فما بعد " لا يدخلها عربي بسلاح".

(6) ابن حبيب: المنمق، ص320.

حفيظة ملك الفرس[1]، فجهز جيشاً للقائهم، فانحازت إياد إلى جانب الفرات ثم عبروه، ودارت بينهم معركة، هزم الفرس فيها هزيمة منكرة بعد أن قتل منهم الكثير، ولم يفلت منهم إلا الشارد وجمعت إياد جماجم القتلى فسميت المعركة بمعركة دير الجماجم[2].

ونلحظ في هذه المعركة وضوح الحس القومي لدى العرب إذ روى ابن شبه أن رجلاً قال لابنه " هل لك أن تهب لقومك نفسك؟"[3] فخرج فقاتل الفرس حتى قتل[4].

وهكذا نرى أن العلاقات بين الفرس والقبائل العربية كانت علاقات ساخنة، وعلى الرغم من الدماء العربية الغزيرة التي سالت، فإن العرب ظلوا في حالة حرب شبه مستمرة مع الدولة الساسانية إلى أن التقى المد العربي الذي مثلته القبائل العربية القومية التي أبداها آخر ملوك المناذرة النعمان بن المنذر (585-613) فرسما صورة النضال القومي ضد الاحتلال الفارسي والسيطرة الفارسية على العراق.

---

(1) قيل أن هذه المعركة حدثت في زمن أنو شروان وقيل في زمن كسرى هرمز ويبدو أنها كانت في زمن الأخير حيث وهن أمر الدولة الساسانية. انظر: البكري: ج1، ص 69-70.

(2) البكري: ج1، ص69-70، " عد المسعودي أن موقعة دير الجماجم هي الوقعة التي أحدثها الفرس بإياد في زمن سابور بن سابور بينما حصلت مذبحة الفرس الأولى لهم في زمن سابور ذي الأكتاف وعلى ذلك يمكن اعتبار رواية ابن شبه هي الأرجح (المسعودي: التنبيه والإشراف، ص175-176.

(3) البكري: ج1، ص69-70.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 69-70.

المبحث الثاني

العلاقات العربية الساسانية في عهد النعمان الأخير

يلاحظ أن العلاقات العربية الساسانية من خلال ملوك المناذرة فد أخذت طابعاً ومنحى جديداً، في عهد النعمان الأخير (585م-613م)، عما كانت عليه الأوضاع في فترة حكم من سبقه من ملوك المناذرة. فإذا كان يجوز لنا أن نقول بأن ملوك المناذرة كانوا يمثلون القوة التي توجهها السلطة الفارسية لرد الغارات العربية وصدها، ويؤدون كل فروض الطاعة لهم، فيبدو أنه لا يجوز لنا مثل هذا القول في فترة حكم النعمان الأخير.

ويبدو أن للأوضاع السياسية التي كانت تمر بها الدولة الفارسية أثراً كبيراً في هذا الاتجاه، إذ أن الفترة التي ابتدأت منذ النصف الثاني من القرن السادس الميلادي كانت تمثل فترة الضعف والانحلال التي تمر بها الدولة الساسانية.

على أن بوادر ضعف هذه الدولة يمكن أن نعتبرها ولدت مع ولادتها ومثلتها الصراعات الحادة على تاج الملك، وما رافقها من ضعف بعض ملوكهم، إضافة إلى طمع جيرانها فيها من عرب وأتراك وروم، وكان سجل الصراعات مع هذه الأمم حافلاً بالمعارك الكثيرة حتى أن فكرة الحرب بينهم أي الساسانيين وبين هذه الأمم، قد استولت على عقول ملوك آل ساسان " فلم يستريحوا منها ولم يريحوا الشعب"[(1)] وإذا كان عصر أنو شروان قد امتاز بنهضة في النواحي الاجتماعية والأدبية والعلمية، وما قام به من إجراءات لتقوية أركان دولته خاصة القضاء على المزدكية، وما قيل

---

(1) آربري: 1، ج وآخرون: تراث فارس، ص15.

عنه من هيبة الأمم له[1]، فإن هذا العصر يمثل في الدولة الساسانية فترة صحوة الموت أكثر مما يمثل نهضة قائمة على أسس متينة من النواحي الاجتماعية والأدبية والعلمية والسياسية قابلة للتطور والتقدم[2].

إن حالة جديدة من الفوضى تسربت إلى بلاد ساسان في زمن ابنه هرمزد (579–590م) مثلتها حالة صراع عنيف على التاج بينه وبين أخيه فيروز الذي هرب إلى بلاط الهباطلة بعد تمكنه منه[3] ولم تمض عشر سنين على حكمه حتى ظهرت طلائع الوهن في دولته وسيطرت على عقله فكرة التآمر عليه من قبل حاشيته وبدأ يشك بمن حوله فقتل الكثير من الشخصيات الفارسية المعروفة بدهائها وكفاءتها ولم يسلم منه حتى الموبذان موبذ[4] الذي قيل عنه بعد قتله " طرح – أي هرمزد قناع الحياء وتشمر لسفك الدماء[5] " حتى قيل أنه قتل زهاء ثلاثة آلاف شخص من أهل الشرف والنباهة[6] وهرب ابنه ابرويز إلى أذربيجان تخلصاً من سيفه[7] وإزاء هذه الحالة لم يكن أمام قادته إلا التآمر عليه فخلعوه وسملوا عينيه[8].

أما فترة حكم ابرويز (590م–628م) فكانت من أقسى فترات الدولة الساسانية اضطراباً، لما اتصف به ابرويز من " عناء وتجبر واحتقر الأكابر وظلم الرعية"[9]

---

(1) انظر حول اهتمام أنوشروان بالنواحي العلمية والأدبية وإجراءاته لتقوية الدولة الساسانية، الطبري: تاريخ، ج2، ص99–102.

(2) اربري: ص16.

(3) اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص184.

(4) الموبذان موبد: الطبقات العليا من رجال الدين تشمل الموابذة، ورئيس الموابذة جميعاً فسمى الموبذان موبذ، وكانت له السلطة العليا في المسائل الدينية، يعين ويعزل الموظفين الدينيين وهو مستشار الملك في المسائل التي تخص الدين.انظر: كريسبس: ص105–106

(5)الفردوسي: ج2، ص176.

(6) الأصمعي: نهاية الأدب، الورقة 3.2 أب.

(7) الطبري: تاريخ، ج2، ص175، الفردوسي: ج2، ص177 فما بعد.

(8) الطبري: تاريخ، ج2، ص175، المقدسي: ج3، ص169.

(9) أبو الفدا: ج1، ص54.

حتى أن سجونه غصت بالناس تنفيذاً لرغبته حتى قيل أنه حبس ستة وثلاثين ألف رجل[1].

أخذت الحرب الأهلية في زمنه نصيبها في إثارة الفوضى في البلاد، تلك الحرب التي اشتعلت بين الملك ابرويز والقائد الفارسي بهرام جوبين، فما أن سمع بهرام بتربع ابرويز على العرش حتى قصده طامعاً في ملكه واتجه نحو المدائن[2]، فاحتلها بعد حرب طاحنة وهرب ابرويز إلى الروم طالباً النجدة منهم[3] .

وإذا كانت الحرب الأهلية قد شلت نصف الدولة الساسانية، فإن الحرب الساسانية- البيزنطية شلت النصف الآخر، والتي ابتدأها ابرويز عام 603 لإرجاع التاج القيصري إلى ابن موريق الذي نقض الروم عهده وقتلوه[4] واستمرت الحرب سجالا بينهما إلى أن حقق هرقل انتصاره على الفرس سنة 628م ثم تلاه عقد الصلح بين الدولتين عام 629م[5]. وذكرها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾.[6]

يبدو أن أوضاع الدولة الفارسية هذه كانت تُراقب عن كثب من قبل النعمان بن المنذر، فبدأ يتطلع إلى قوة القبائل العربية مستغلاً في ذلك تلك الأوضاع وتكاد تلاحظ بوادر التطلع القومي لدى النعمان بن المنذر من خلال حديثه أما ابرويز حيث روى أن النعمان بن المنذر وفد إلى كسرى ووجد في حضرته وفود ملوك الصين والهند والأتراك. وأخا قيصر ملك الروم، فأفاضوا في الحديث عن ذكر بلدانهم والافتخار بأممهم، وبقوة ملوكهم وكثرة جنودهم وخيرات أقاليمهم، وبدأ كسرى يظهر مثالب العرب ويفضل عليهم الأمم الأخرى فأخذ ذلك في نفس النعمان فتكلم وافتخر على

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص54.

(2) الطبري: تاريخ، ج2، ص177، الفردوسي: ج2، ص199 فما بعد.

(3) انظر: حول الحرب بين أبرويز وجوبين، الطبري: تاريخ، ج2، ص177 فما بعد، الفردوسي: ج2، ص199 فما بعد.

(4) الطبري: تاريخ ج2، ص181.

(5) watt: Montgomery, Muhammad prophet and statesman, p.515-518

(6) سورة الروم، الآية: 2-3.

جماعتهم، أي جماعة الفرس من الوفود بالعرب وأفتخر بجودها وشرفها وبحبوحة ذكرها وكرمها وحسن وجوهها ورصانة عقولها وحكمتها في أشعارها، فلم يستثن كسرى ولا أهل مملكته، فأخذت كسرى العزة فقال يا ابن المنذر.." [1] وفي قوله " يا ابن المنذر.." كل دلالات الغضب والتوعد.

على أننا نلمس في موقف النعمان هذا ما يمثل الحياة الجديدة للأمة العربية، وانعطافاً خطيراً في تاريخ العلاقات العربية الساسانية حينما تحدى ملكهم وأمته ووضع العرب وما يتصفون به من الكرامة وآباء النفس وعفتها في موقعها الحقيقي ولم ينس النعمان موقف كسرى وما سمعه من تنقص العرب وتهوين أمرهم حتى كان له وقعه الشديد من نفسه فأرسل إلى بعض رؤساء القبائل العربية، فقدموا إليه واستقبلهم في الخورنق وقال لهم: " قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور، أو يكونأظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولا كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج إليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله فأقتص عليهم مقالات كسرى وما رد عليه[2] .

وتفهم من كلام النعمان أنه لا يريد أن يكون تابعاً ذليلاً، وأحب كذلك ألا يكون العرب تحت سيطرته، وفي هذا إشارة إلى النزعة الاستقلالية والروح التواقة إلى التحرر من السيطرة الساسانية.

---

(1) الأصمعي: نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، الورقة 239 ب فما بعد، وانظر أيضاً ابن عبد ربه: ج2، ص6 فما بعد مع بعض الاختلاف حيث ذكر " أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل..." مع أننا لم نجد استثناء لأمة فارس في رواية الأصمعي، أيضاً: ابن نباته، ص201.

(2) ابن عبد ربه: ج2، ص10، " وكان وفد العرب مشكل من أكثم بن صيفي وحاجب بن زراة التميميين، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين، وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاقة وعامر بن الطفيل العامريين وعمرو بن الشريد السلمي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، والحارث بن ظالم المرى، ابن عبدربه، ج2، ص10.

يبدو أن النعمان بن المنذر قد حسن وأحكم اتصالاته بالقبائل العربية، وأذهب عن نفسه البهرجة الملوكية حيث خاطب رؤساء القبائل العربية عند استقباله لهم " إنما أنا رجل منكم وإنما ملكت وعززت بمكانكم... وما يتخوف من ناحيتكم وليس شيء أحب مما سدد الله به أمركم، وأصلح به شأنكم، وأدام به عزكم"[1] .

ثم أشار إليهم النعمان بالتوجه إلى كسرى وأوصاهم " وإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره، ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه.. ولا تتخذلوا له انخذال الخاضع الذليل..." [2] ثم كتب معهم كتاباً إلى كسرى جاء فيه:

" بسم الله الولي الكريم، أما بعد فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم وأجبته في ذلك ما قد سمع فأحببت أن لا يتخالج من قلب الملك أن أمة من الأمم الذين يغترون بالقوة والجرأة والتدبير فضل لها على العرب في شيء من الأمور..."[3]، توجه وفد العرب إلى المدائن واجتمعوا بابرويز وتحدث كل منهم بما كانت عليه العرب من العز والإباء[4]، وما كانوا يتمتعون به من الفصاحة والبيان والمنطق حتى جن جنونه وقال لمن حوله من وزرائه ورؤساء مرازبته: "ما خفت من

---

(1) ابن عبد ربه: ج2، ص10، الالوسي: ج1، ص151.

(2) ابن عبد ربه: ج2، ص10.

(3) الأصمعي: نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، الورقة 242 ب، وجاء في كتاب النعمان إلى كسرى في العقد الفريد ج3، ص11 " أما بعد فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم أوجبته بما قد فهم بما أحببت أن يكون منه على علم، ولا يتلجج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجزت دونه لمملكتها وحمت ما يليها بفضل قوتها، تبلغها في شيء من الأمور التي يعتز بها ذو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة، وقد أوفدت إليها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم، وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك ولغمض عن جفاء أن ظهر من منطقهم وليكرمني بإكرامهم وتعجيل سراحهم وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائرهم".

(4) انظر: حول الحديث المتبادل بين رؤساء العرب وكسرى: ابن عبد ربه، ج3، ص11 فما بعد.

العرب كخوفي قط منهم كاليوم وأني لأحسب الأمر الذي كنا نخشاه من إفضاء الملك لهم قد دنا..." [1].

ويبدو أن الخوف من العرب قد أخذ موقعه من قلب وعقل كسرى وبدأت شكوكه من النعمان التحررية تتحول إلى حقيقة، وربما انحصر تفكيره وتخطيطه بالكيفية التي بوساطتها يأمن جانب العرب هل يبقى محتفظاً بما تبقى من علاقات مع النعمان ويأمن جانب العرب من خلالها كما كان الحال؟ أم أنه فكر بالتعامل مع القبائل العربية بشكل مباشر دون اللجوء إلى ملك الحيرة.

يبدو أنه اختار الطريق الثاني، لأن فيه ضماناً لتفتيت وحدة العرب فأرسل إلى النعمان بن المنذر مع وفد العرب كتاباً فيه الإشارة إلى ذلك حيث كتب أبرويز "... من الملك كسرى بن هرمز بن كسرى إلى النعمان بن المنذر أما بعد، فقد أتتني وفودك وسمعت أقوالهم وحملت غلظة كلامهم لعلمي أن لا ملوك لهم فينطقون بين أيديهم منطق الرعية الخاصة، فقد رأيت أن توجه إلى من أشراف العرب ممن كانت لهم الأتاوات والرياسات في أيامهم من كل قبيلة رجلاً لنملك كل رجل على قومه واسند إليه أمر قبيلته ليأخذوا على أيدي سفهائهم ويضبطوا لهم قواصيهم ويديروا لهم أمورهم ويكون الحكومات بينهم ويتفقدوا آدابهم فأفعل ما أمرتك وعجل بهم علي والسلام"[2].

وللتدليل على النص أعلاه اقتطاع الأبلة وما جاورها لقيس بن مسعود الشيباني من قبل كسرى أبرويز على أن يضمن له عدم إغارة بكر بن وائل على أرض السواد[3].

---

(1) الأصمعي: نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، الورقة 1245- ب.

(2) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 245ب، 1246.

(3) بن حبيب: المحبر، ص253، وانظر حول الإقطاعات، كستر: الحيرة ومكة، ص17.

نفهم من كتاب كسرى إلى النعمان أن صح ثلاثة أمور في غاية الخطورة أولها انتقاء أبرز رجل من كل قبيلة وممن له هيبة ومكانة، وثانيهما أنه حدد واجبات وصلاحيات كل رئيس منهم مسبقاً، وثالثهما التعامل معهم بشكل مباشر بدون حاجة إلى وساطة ملك الحيرة، وفي ذلك تجريد وعزل كامل بين ملك الحيرة، وقبائل العرب، إذ أن هذا الإجراء لم يتخذ إلا لسلخ النعمان بن المنذر من القبائل العربية ليبطل تحركاته ولشل وحدة العرب، وبالتالي الوصول إلى غايته وهي بعثرة قوة العرب من خلال توزيع التيجان عليهم، وتم بالفعل تتويجهم من قبل ابرويز مباشرة[1]، مما كان له أثر على موقف النعمان.

أسباب اغتيال النعمان بن المنذر:

زعم الاخباريون أن أسباب اغتيال النعمان بن المنذر تعود إلى:

أولاً: غضب أبرويز لاعتقال ومن ثم اغتيال النعمان بن المنذر لأحد تراجمته الذي يدعى عدي بن زيد[2] .

ثانياً: امتناع النعمان من تزويج ابرويز أحد نساء العائلة المالكة الحيرية[3].

إلا أن هذه الأسباب تبدو واهية، ولا يمكن أن تصمد أمام الحقيقة التاريخية، ذلك أن ابرويز لا يمكنه أن يسئ إلى علاقاته مع مملكة الحيرة. السد الأمين للدولة الساسانية طيلة أكثر من ثلاثة قرون، لولا أن هناك سبباً آخر أكثر أهمية.

---

(1) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 245، ب، 1246.

(2) انظر قصة النعمان وعدي بن زيد الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 1247 فما بعد، أيضاً الطبري: تاريخ، ج2، ص193 فما بعد.

(3) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 1247 فما بعد، الطبري: تاريخ ج2، ص 193 فما بعد.

وأن السبب الرئيسي هو ما ذكره الدينوري في الكتاب الذي كتبه ابرويز رداً على كتاب ابنه شيرويه والذي جاء فيه "فإن النعمان وأهل بيته وطأوا العرب، وأعلموهم توكفهم خروج الملك منا إليهم، وقد كانت وقعت إليهم في ذلك كتب فقتلته"[(1)].

ممتلكات النعمان عند بني شيبان:

بدأ ابرويز يتحين الفرصة للقضاء على النعمان بن المنذر فأرسل إليه " أن أقبل فإن للملك إليك حاجة"[(2)] ويبدو أن النعمان عرف نهايته، فتوجه بعد استلامه كتاب ابرويز إلى قبائل العرب، طالباً منها النصرة، فحمل سلاحه وما قوى عليه، وجاء طيء، لما تربطه وهذه القبيلة من علاقات مصاهرة، وطلب منهم المنعة والمساعدة فأبوا عليه، وقالوا له " لولا صهرك لقتلناك فإنه لا حاجة لنا في معاداة كسرى"[(3)].

أن موقف طي السلبي من طلب النعمان لا يمكن أن نفسره إلا لكونها قبيلة تواطأت مع الفرس، ذلك أن مجيء إياس بن قبيصة إلى حكم الحيرة بعد النعمان، لم يكن عملية اختيار عشوائية خالية من المواصفات الولائية للفرس، خاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار علاقاته مع ابرويز وما قدمه له من خدمات أثناء هروبه إلى الروم في الصراع الذي كان قائماً بينه وبين بهرام جوبين، إذ ذكر الأصمعي – أن كسرى حفظ

---

(1) الدينوري: ص108.

(2) الطبري: تاريخ، ج2، ص205، أيضاً المسعودي، مروج، ج2، ص77.

(3) الطبري: تاريخ، ج2، ص205، ابن الأثير: الكامل، ج1، ص487، أيضاً ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص10-11.

له ذلك – وحينما رجع كسرى إلى عرشه، " بعث إلى إياس فأتاه فجعله قائداً على أربعة آلاف فارس من طي وبهر والعباد وأياد وأسنى له الرزق... [1] ".

توجه النعمان بن المنذر بعد رفض طي إلى بني شيبان في ذي قار وأودع مخلفاته عندهم[2]. بعد أن رفض طلب بني رواحة بن سعد من بني عبس بالقتال معه شاكراً لهم جميلهم " لا أحب أن أهلككم فإنه لا طاقة لكم بكسرى"[3] وعندما عرف أن هانئ بن قبيصة الشيباني " مانعه مما يمنع منه نفسه" [4] إذ قال هانئ للنعمان " قد لزمني ذمامك، وأنا مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي إلا دنين رجل"[5] .

مقتل النعمان:

بعد أن أطمأن النعمان بوضع عائلته عند بني شيبان قرر التوجه إلى المدائن، وعند وصوله القي القبض عليه، وسجن وقد اختلفت الروايات في كيفية نهايته، فقيل سجن في بيت الفيلة حتى مات[6]. وروى أنه سجن بساباط[7] المدائن وهناك قضى نحبه[8]، وذكر أنه أرسل إلى خانقين ومات بالطاعون[9]،ومهما اختلفت الروايات في

---

(1) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 249، ذكر الأصمعي إقامة كسرى عند إياس بن قبيصة " حين هرب من بهرام جوبين إلى أرض الروم وكان ذبح له الكبائش وحمله وأصحابه إلى النجائب حتى أوصله إلى العراق" أيضاً الطبري: تاريخ، ج2، ص206، أبو عبيدة: النقائض، ج2، ص640، المسعودي: مروج، ج2، ص77، ابن خلدون: العبر، م2، ص558.

(2) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 349، الطبري: تاريخ ج2، ص205.

(3) الطبري: تاريخ، ج2، ص205. أيضاً، ابن الاثير: الكامل، ج1، ص487.

(4) الطبري: تاريخ، ج2، ص205.

(5) الأصفهاني: ج2، ص126-127.

(6) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 1249.

(7) ساباط: بلدة كانت قرب مدائن كسرى القزويني: ص385.

(8) المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص77-78.

(9)الطبري: تاريخ،ج2، ص206.

نهايته فقد انتهى دوره السياسي كما انتهت حياته منذ اللحظة التي توجه بها إلى البلاط الساساني.

تمليك إياس بن قبيصة على الحيرة:

بعد مقتل النعمان بن المنذر ملك كسرى ابرويز اياس بن قبيصة الطائي على الحيرة، وكان كسرى ابرويز على علم بعدم كفاءة اياس[1]، إلا أنه عينه لكونه عربياً، وجعل إلى جانبه شخصية فارسية اسمه النحيرجان[2]، ليكون الحاكم الحقيقي على الحيرة.

كان كسرى ابرويز على معرفة تامة بشخصية اياس، واخلاصه لهم، قبل قتل النعمان، حتى أنه أظهر له– أي اياس – ما يدلل على ذلك عند هروب كسرى إلى الروم وتخوفه من ملاحقة بهرام له حيث قال له " أنتم في جواري لا يصل إليكم أحد حتى يموت من ترى في هذا الحي فتبسم كسرى..." [3] .

ويبدو أن موقف اياس هذا كان له أثره في تمليك كسرى له، علماً بأن هذه المرة الثانية التي عين فيها أميراً على الحيرة كما ذكرنا، وهكذا أصبح اياس من أنصار الملك. بعد أن تخلى عن عروبته، كما يقول المثل العربي " إذا لم تكن من قربان الأمير فكن من بعدائه"[4].

---

(1) الدنيوري: ص108–109.

(2) ابن حبيب: المحبر، ص260، انظر حول تمليك كسرى لاياس: الطبري: تاريخ، ج2، ص206، أبو عبيدة: النقائض، ج2، ص629، حمزة: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، ص53 فما بعد المقدسي: ج3، ص204 فما بعد.

(3) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 218ب.

(4) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1، ص20.

المبحث الثالث

علاقة بن شيبان السياسية مع الفرس

الصراع المباشر بين بني شيبان والفرس:

معركة ذي قار:

أسبابها:

إن سبب معركة ذي قار المباشر، بين العرب والفرس هو ما جره قتل النعمان بن المنذر لعدي بن زيد[1]، وعد قتل كسرى للنعمان بن المنذر وامتناع هاني بن قبيصة تسليم ودائعه سبباً في قيام الحرب بين الجانبين[2] .

وتكاد تكون هذه الأسباب مقبولة إذا ما نظرنا إلى الحرب من خلال أسبابها المباشرة، ولكننا لا نستطيع أن نعزي أسباب الحرب إلا إلى ذلك الصراع الدامي الطويل بين العرب والفرس، والذي حرك لدى القبائل العربية الشعور والإحساس العربيين بوجودهم، وما ذكرناه من أسباب اغتيال النعمان بن المنذر ينطبق على أسباب قيام هذه المعركة.

---

(1) الأصمعي: نهاية الارب: الورقة 1247، أبو عبيدة: النقائض ج2، ص639، الطبرى: تاريخ ج2، ص193، المسعودي: مروج ج2، ص76-77.

(2) اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص257-258، المقدسي: ج3، ص204 فما بعد، الحميري: ص207.

حوادثها:

موقف بني شيبان من الفرس بعد مقتل النعمان:

اتخذت بنو شيبان[1] وبعض بطون بكر من عجل ويشكر موقفاً موحداً ضد الفرس بعد اغتيال النعمان بن المنذر، فغضب بنو شيبان لاغتياله، وأخذت تشن غاراتها على أطراف مملكة الفرس[2] .

ثم أرسل كسرى إلى اياس بن قبيصة يأمره بأن يرسل إليه تركة النعمان. من خيل وسلاح، فكتب إلى هاني بن قبيصة الشيباني يعلمه بما كتبه إليه كسرى من تسليم تركة النعمان فأبى هاني أن يسلم أمانته[3]. وكان جوابه " إنما أنا أحد رجلين: أما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردها علي من أودعه إياها أو رجل مكذوب فليس ينبغي أن نأخذه بقول عدو أو حاسد"[4] .

أخبر اياس بن قبيصة ابرويز برد هاني بن قبيصة الشيباني الرافض بتسليم ما بذمته من مخلفات النعمان، ويبدو أن ذلك أثار حفيظة الملك فأظهر أنه سيستأصل بكر بن وائل وأمر اياس أن يعد العدة لذلك[5]، وقد أحنقه– أي ابرويز – ما صنعت بكر بن وائل في السواد ومنع هاني إياه ما منعه.. [6]".

(1) باستثناء آل ذي الجدين من بني شيبان كما أوضحناه ذلك.

(2) الحميري: ص261.

(3) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 1250، انظر الطبري تاريخ، ج2، ص207.

(4) الحميري: ص211.

(5) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 250، ب وانظر أيضاً: الطبرى: تاريخ، ج2، ص207.

(6) الحميري: ص261.

استعداد الفرس للحرب:

أرسل كسرى كتبه إلى اياس بن قبيصة وأمراء مسالحه من الفرس وهم جلابزين، والهامرز التستري، بأن يعدوا العدة لحرب بني شيبان، كما أرسل إلى المتخاذلين من العرب، ومنهم قيس بن مسعود الشيباني بالالتحاق بقوات الفرس[1]. وعقد للنعمان بن زرعة التغلبي على تغلب والنمر. وانضمت إلى الفرس من ساومهم من قبائل قضاعة واياد[2] . وأصدر كسرى أوامره بأن يكون إياس قائداً عاماً لجميع القوات[3] .

وكانت خطة الفرس في قتال بني شيبان ومن وقف إلى جانبهم من قبائل العرب، أن يباغتوهم في هجوم كاسح في أيام الصيف القائضة عندما تجتمع القبائل حول ماء ذي قار، وقيل أن خطة الحرب هذه هي من صنيع النعمان التغلبي أشار بها على كسرى ووافق الأخير عليها كرهاً منه لقبائل بكر[4].

ويبدو أن موقف النعمان بن زرعة التغلبي هذا ومن معه من بني تغلب يعود إلى ما كان بين القبيلتين من صراع، وإلى العداوات السابقة التي أثارتها حرب البسوس.

---

(1) الطبري: تاريخ، ج2، ص207.

(2) الأصمعي: نهاية الارب الورقة 250. أ-ب، ابن عبد ربه ج5، ص263، المسعودي: التنبيه والإشراف، ص207-208 ابن الاثير، الكامل، ج1، ص488-489.

(3) أبو عبيدة: النقائض، ج2، ص640، ابن عبد ربه:ج5، ص263.

(4) الطبري: تاريخ، ج2، ص207، ابن الاثير، الكامل،ج1، ص488-489.

وبعد أن استكمل الفرس حشودهم أرسل كسرى شروطه إلى بني شيبان بيد رسوله النعمان بن زرعة التغلبي وهي أما تسليم ودائع النعمان والخضوع التام للتاج الكسروي، وأما مغادرة منازلهم، أو الحرب[1].

ويمكن أن نستنتج من شروط كسرى، أنه أراد التخلص من خطر بني شيبان، بإحدى طريقتين، الخضوع المباشر إلى التاج الساساني مقروناً بإذلالهم بتسليم أمانة النعمان، أو الجلاء عن حدود الفرس وبذا يؤمن حدود دولته.

على أن شروط كسرى هذه لم تثن بني شيبان وحلفاءهم من منازلة الفرس، فاجتمع رؤساء بكر برئاسة هاني بن قبيصة الشيباني فرفضوا الانسحاب خوفاً من الاصطدام بتميم[2]، وقرروا قبول الحرب، وخاطب هاني قومه " أرى أن تجعلوا حصونكم سيوفكم ورماحكم، وتوطنوا أنفسكم على الموت قالوا نعم والله"[3].

ويروى أبو عبيدة أن قرار الحرب أصدره حنظلة بن سيار العجلي لأنه كان قائد بكر وكانت بكر تمتثل إليه وتحترم رأيه[4].

واختلف الرواة فيمن قاد معركة ذي قار هل هو هانئ بن مسعود أم هانئ بن قبيصة حفيده، فذكر أبو عبيدة أن الذي قاد معركة ذي قـــار هو هانئ بن قبيصة واستبعد أن يكون حدوثها في زمن هانئ بن مسعـــود[5]، وأيد البكـــري ما ذكره أبو عبيدة، وقـــآل: " ورئيس بكر يومئذ هاني بن قبيصة بن هانئ بن مســـعود ومن قـــال أنـــه جده هانئ بن مسعـــود فقد خطئ[6]".

---

(1) الطبري: تاريخ، ج2، ص207.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص207.

(3) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة، 250ب.

(4) الطبري: تاريخ، ج2، ص207.

(5) ابن عبد ربه: ج5، ص262.

(6) البكري: ج4، 1043.

وذكر الأصمــعي[1]، واليعقوبي[2]، والمقدسي[3] وأبو الفدا[4] أن قائد بكر في يوم ذي قار هو هانئ بن مسعود، إلا أننا نرجح كون قائدها هانئ بن قبيصة، لأن هانئ بن مسعود لم يعاصر الإسلام، بينما أدركه هانئ بن قبيصة وبقي على نصرانيته ولم يسلم[5] . وذكر ابن سعد في الطبقات [6]، أن عبدالرحمن بن عوف تزوج ابنته بحريه مما يدل على أنه عاصر الإسلام.

استعداد بني شيبان للحرب:

أ- توحيد القبائل العربية ضد خطر الفرس:

بعد أن أصبحت الحرب أمراً واقعاً لا محالة، راسلت بنوشيبان قبائل العرب، وخاصة قبائل بكر للتصدي لهجوم الفرس المرتقب " فراسلت بكر بينها"[7] وكان مكان التحشد العربي بذي قار " وتوافدت – أي القبائل – بذي قار"[8]، وتوافد أناس من عبد القيس وحنيفة[9]، وغيرهم من بكر من اليمامة والبحرين تلبية الواجب للوقوف إلى جانب بني شيبان ضد الفرس[10] "واشتركت قبائل بكر من بني عجل ويشكر ومعظم بطونها وحلفاؤهم في هذه الحرب[11].

---

(1) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة، 250ب، 251.

(2) اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص245.

(3) المقدسي: ج2، ص204-205.

(4) أبو الفدا: ج1، ص81.

(5) انظر الفصل الخاص بإسلام بني شيبان.

(6) ابن سعد: ج3، ص146.

(7) ابن عبد ربه: ج5، ص263.

(8) المصدر نفسه، ج5، ص266-267.

(9) ذكر أبو عبيدة أن معركة ذي قار لم يشهدها أحد من بني حنيفة " وهو الراجح ابن عبد ربه: ج5، ص263، ويبدو أنه اشترك منهم أفراد قلائل ولم تشترك القبيلة باسرها.

(10) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص207-208.

(11) ابن عبد ربه: ج5، ص265 فما بعد.

وبلغ الوعي القومي والمد العربي ذروته في هذه المعركة فتناسى العرب خلافاتهم، أمام العدو المشترك، فبينما عاشت تميم بجوار بني شيبان وكانت علاقاتهم غير طبيعية، تناسى أناس من بني تميم ذلك حينما بدأت حشود العرب تأخذ مكانها استعداداً للقاء الفرس، فطلب أسرى بني تميم عند بني شيبان القتال إلى جانب القوات العربية "نقاتل معكم فإنا نذب عن أنفسنا"(1) وهذا ما يصور لنا مصير العرب المشترك في دفاعهم عن الهوية القومية أرضاً وشعباً.

وفي كل العصور زماناً ومكاناً، تبقى الهوية القومية هي الوازع الأساس لانحياز الشخص إلى بني قومه، ولا يمكن مسخها أو التخلي عنها بأمور زائفة وأطماع شخصية زائلة.

وهكذا بدأت الاتصالات بين الجبهة العربية بقيادة بني شيبان وبين من انحاز من العرب إلى جانب الفرس قبل بدء المعركة بليلة، وأرسل المتخاذلون من طي وبهرا والعباد وإياد وسائر من كان مع العجم من العرب إلى بكر بن وائل رسولا يعلمهم أن انتصارهم على الفرس هو أحب عليهم " وأنهم يعتزلون الحرب فلا يكونون لا لهم ولا عليهم أو ينهزمون إذا التحمت بيننا وبين العجم الحرب"(2).

وذكر أن قيس بن مسعود الشيباني انسل ليلاً حتى وصل معسكر قومه بني شيبان وحلفائهم من القبائل العربية في ذي قار والتقى بهانئ بن قبيصة، وأشار عليه بضرورة توزيع أسلحة النعمان على المقاتلين وأمرهم بالصبر ثم رجع(3).

وهكذا عبرت القبائل التي انحازت إلى جانب الفرس عن رغبتها في انتصار العرب على العجم، بدافع من شعورها القومي، ولو أنها تجاوزت حالة التداعي

---

(1) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 252أ.

(2) ابن عبد ربه: ج5، ص263.

(3) المصدر نفسه: ج5، ص263.

ووقفت إلى جانب بني شيبان والعرب ضد الفرس، لنالت شرف المساهمة في هذه المعركة الحاسمة، على مر الأجيال، كما هو حال بني شيبان ومن شارك معها.

مما تقدم يمكننا أن نقول بأن بني شيبان استطاعت أن تجمع قوة القبائل المبعثرة إلى قوة موحدة، بحيث كان لها دورها الفاعل والمؤثر في تحقيق الانتصار الحاسم وتحطيم قوة العدو.

ب- خطة بني شيبان في الحرب:

بعد أن تكاملت حدود العرب وأمن بنو شيبان وحدة القبائل دعا هانئ بن قبيصة بخيل النعمان وسلاحه ووزعها على فرسان قومه، وكانت ستمائة درع وستمائة قوس[1]، وبعد أن تكامل تسليحهم قطع فرسانهم أكمام أقبيتهم من لدن مناكبهم لتخف أيديهم على حمل السيوف[2] وعمد حنظلة بن سيار العجلي إلى أحزمة رحالات النساء فقطعها وأراد بذلك أن يمنع هروب المقاتلين من ساحة الحرب عند اشتدادها حتى أنه سمي بمقطع الوضين[3].

وقيل أن حنظلة بن سيار ضرب على نفسه قبة ببطحاء ذي قار وقطع عهدا على نفسه ألا يفر حتى تفر القبة[4].

---

(1) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة، 250ب، 151، انظر الطبري: تاريخ ج2ص 208، أبو عبيدة: النقائض: ج2، ص640-641، وكان توزيع تركة النعمان بمشورة من قيس بن مسعود الشيباني، حيث قال لهاني " يا ابن العم أنه قد حل بكم من الأمور ما ترون ففرق خيل النعمان وسلاحه في أشد قومك" الأصمعي: الورقة 250ب.

(2) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 250ب، 251أ.

(3) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 250 ب، 251أ.

(4) الطبري: تاريخ، ج2، ص208، وروى أنما فعل حنظلة ذلك لتخوف هاني بن قبيصة من جموع الفرس ورغبته في الفرار، وبدو أن هذا الخبر مشكوك فيه، ولو رغب هاني بالفرار لما قبل منازلة الفرس وأرسل إلى كسرى بذلك، ولكن إجراءات حنظلة هذه لا يمكننا أن نعزيها إلا كونها جزء من الاستعداد للحرب

ثم قسمت القوات العربية إلى قلب وعليه هانئ بن قبيصة مع قوات من بني شيبان وعلى ميمنته يزيد بن مسهر الشيباني وقيل بشر بن شريك وعلى ميسرته حنظلة بن سيار العجلي[1].

كما نصبت بنو شيبان كميناً بمبادرة من حلفائهم السكون[2] مكوناً من خمسمائة فارس، واتخذ مكانه في منطقة تسمى الجب بذي قار وذلك لمباغتة العدو من الخلف، عندما تشتد المعركة، ولإرباك مؤخرة العدو عند هجومه على معسكر العرب وعين يزيد بن حمار السكوني، قائداً لقوة هذا الكمين[3].

بدء القتال:

بدأت الحرب على طريقة العرب في القتال بإلقاء الخطب الحماسية والأشعار التي تهز رؤوس المقاتلين طرباً للموت، والمبارزات الفردية فخطب هاني بن قبيصة محفزاً المقاتلين لتحقيق النصر قائلاً: " يا قوم مهلك معذور خير من منجي مغرور، إن الجزع لا يرد القدر وأن الصبر من أسباب الظفر، المنية خير من الدنية، واستقبال الموت خير من استدباره، فالجد الجد فما من الموت بد"[4] .

وأنشد حنظلة بن سيار العجلي:

يا قوم طيبوا بالقتال نفسا * أجدر يوم أن تفلوا الفرسا[5]

لتحقيق النصر الحاسم، ما وأن مثل هذه الإجراءات، كان لابد منها في مواجهة عدو متغطرس يملك العدة والعدد ولديه إمكانات دولة، فلن تكون مواجهته بالأمر الهين، وكان لابد من الاستعدادات.

(1) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 751أ، الطبري: تاريخ، ج2، ص209.

(2) انظر حول قبيلة السكون: ابن رسول: ص34، أيضاً زمامة: أبوبكر السكوني ورسالته، مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، العدد الثاني، م17، القاهرة، 1972م، ص237.

(3) الأصمعي: نهاية الارب: الورقة 251أ، الطبري: تاريخ ج2، ص209.

(4) الحميري: ص262، ابن عبد ربه: ج5، ص263-364.

(5) أبو عبيدة: النقائض: ج2، ص642، الطبرى: تاريخ، ج2، ص209.

وأنشد يزيد بن المكسر العجلي:

من فر منكم فر عن حريمه * وجاره وفر عن نديمه[1]

وهكذا لعبت الخطب والأشعار دورها في الهاب نفوس المقاتلين قوة وعزماً وبينما كان الجيشان متقابيلن نادى الهامرز بالفارسية (مردمرد) فقال برد بن حارثة اليشكري ما قول فخبر أنه يريد البراز رجل رجل قال برد وأبيكم لقد انصف وحمل عليه برد فقتله[2]. فكان أول قتيل فارسي يقتل بسيف عربي في معركة نظامية، وكانت تلك بداية النصر.

بعد ذلك التحم الجيشان في الحنو بهجوم من الفرس، فجزعت جموع الفرس عطشاً، فهربت قواتهم فتبعتهم شيبان وسبقتها عجل إليهم، حتى اختفت بين جموعهم، وظن الناس هلاك عجل ثم انقضت شيبان على جموع الفرس فوجدت عجل ثابتة ونساءهم تذمر المقاتلين وتحفزهم للقتال[3] وامرأة منهم تقول:

أن يظفروا يحـــرزوا فينـــا الغــرل * أيهـــا فـــداء لكـــم بنـــي عجـــل

واستمر القتال في الجبايات يوماً كاملاً؛ مالت العجم بعدها إلى بطحاء ذي قار أملاً في الوصول إلى الماء لشدة عطشها، وانهزمت القبائل المتواطئة مع الفرس حسب اتفاقها مع بني شيبان، ثم حملت ميسرة القوات العربية وميمنتها على قوات الفرس، المرتبكة، وخرج الكمين الذي يقوده يزيد بن حمار السكوني، وركزت قوات العرب على قلب هجوم العدو فهجمت عليه، وانهزمت فلول الفرس مذعورة هاربة

---

(1) الطبري: تاريخ، ج2، ص209.

(2) أبو عبيدة: النقائض، ج2، ص642–644، واختلف في روايته حول من بارز الهامرز قيل برد وقيل يزيد.

(3) الطبري: تاريخ، ج2، ص208.

في الفلوات، والعرب يلاحقونهم دون النظر إلى سلب أو غنيمة[1] وحقق بنو شيبان وحلفاؤهم النصر الحاسم على الفرس بعد أن هُزمت قواتهم أمام العرب هزيمة منكرة في هذه المعركة التي تعد واحدة من أبرز معارك التاريخ الحاسمة بين العرب والفرس. يقول كريستنس نقلاً عن ما رسلن: " أن الفرس.. لم يكونوا ذوي بأس في الوغى، فإنهم لم يتعودوا النضال في جسارة إلا أن يكون على مسافة بعيدة عن أعدائهم وإذا أحسوا أن فرقهم تتراجع يتقهقرون سراعا كالريح العاصف مطلقين سهامهم خلفهم كي يخففوا من جرأة عدوهم وهو يقتفي أثرهم[2] ".

ويصور لنا الأصمعي شدة وقع انتصار العرب على الفرس، حالة كسرى بقوله " واغتاظ من ذلك غضباً شديداً، ووقعت الزلزلة والعويل في المدائن والنوح والبكاء فندب كسرى الجنود وفرق فيهم السلاح لمعاودة الحرب لبكر بن وائل" [3].

وإذا كان دور المقاتل العربي واضحاً في هذه المعركة، فإن دور المرأة كان أوضح ذلك أنها لعبت دوراً في تحريض المقاتلين على القتال وتذميرهم على تحقيق النصر في كل أيام المعركة، وهذه ابنة القرين الشيبانية تنشد محرضة الرجال ومذمرتهم على القتال:

ويا بني شيبان صفا بعد صف * إن تهزموا يصبغوا فينا القلف[4]

وقد أكثر الشعراء في مدح بني شيبان لما نالته من شرف تحقيق النصر على الفرس. قال ميمون بن قيس مادحاً إياهم:

فدى لبني شيبان ناقتي * وراكبها يوم اللقاء وقلت

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص208.

(2) كريستنس: ص197-198.

(3) الأصمعي: نهاية الارب- الورقة 252ب.

(4) الأصمعي: نهاية الارب- الورقة 521ب-252أ، أبوعبيدة: النقائض،ج2،ص 642-644، الطبري: تاريخ، ج2، ص210، ابن الثير: الكامل، ج1، ص489-490.

هم ضربوا بالحنو، حنو قراقر * مقدمة الهامرز حتى تولت[1]

وقال أيضاً:

إن كنت ســاقية يومــاً ذوي كــرم * فأسقى الفوارس من ذهل بن شيبانا

واسقى فوارس حاموا عن ذمــارهم * وأعلى مفارقهم مســكا وريحانــا[2]

وقال أيضاً متمنياً لو أن كل القبائل وقفت مثل وقفة بني شيبان وحلفائهم التاريخية لنالت الشرف مثلما نالته شيبان، ويقصد بذلك القبائل التي كانت تمر في حالة التداعي، والتي لم تلب نداء بني شيبان القومي:

لــو أن كــل معــد كــان شــاركنا * في يوم ذي قار ما أخطأهم الشــرف[3]

وقال أبو النجم العجلي في الإسلام مفتخراً بذي قار:

نحــن أبحنــا الريــف للممتــار * يــوم استلينا رايــة الجبــار

بأســـــــفل البطحـــــــــاء *مـــــــن ذي قـــــــــار[4]

وقد عرف يوم ذي قار عند العرب بيوم قراقر ويوم الحنو حنو ذي قار ويوم حنو قراقر ويوم الجبايات ويوم العجرم ويوم العدوان ويوم البطحاء بطحاء ذي قار وكلهن حول ذي قار[5].

ولأهمية هذا اليوم عند بني شيبان وبكر والعرب جميعاً فقد ذكر أبو الريحان البيروني أن العذارى النصرانيات من العرب صمن شكراً لله حيث انتصر العرب علي العجم يوم ذي قار[6].

---

(1) أبو عبيدة: النقائض: ج2، ص644، الطبري: تاريخ،ج2، ص211.

(2) ابن عبد ربه: ج5، ص266-267.

(3) المصدر نفسه: ج5، ص266.

(4) أبو عبيدة: النقائض: ج2، ص645-646..

(5) الطبري: تاريخ، ج2، ص193.

(6) البيروني: الآثار الباقية، ص314.

أهمية معركة ذي قار:

كان لانتصار العرب في معركة ذي قار، أثر حاسم وكبير غير مجرى التاريخ العربي والإسلامي فيما بعد وعلى مدى الأجيال فهي أول صدام مسلح مباشر بقوة منظمة بين العرب والفرس، ولما كانت الفرس تتباهى بعظمة دولتها، وما تملكه من إمكانات بشرية ومادية، إذا ما قيست بإمكانات بني شيبان وحلفائهم، فلا يمكننا أن نعتبر انتصار العرب في ذي قار، إلا تحطيماً لأنفة الفرس وقوتهم القاهرة التي تباهى بها ملوك فارس على مدى أربعة قرون، وهذا ما شجع القبائل العربية على الاستهانة بها والإغارة عليها[1].

كما أن هذه المعركة أفقدت الفرس الثقة بحلفائهم من العرب كما أفقدتهم الثقة بأنفسهم وقوتهم، إذ سرعان ما حكم الفرس الحيرة حكماً مباشراً فعين كسرى أبن ماهان حاكماً عليها[2].

وكانت معركة ذي قار فاتحة خير ومقدمة لعمليات التحرير العربية الإسلامية وربما لو لم ينتصر العرب في هذه المعركة لسارت عملية تحرير العراق بطريق غير الطريق الذي تم به تحريره.

فلا عجب أن يروي عن الرسول ﷺ أنه قال: " هذا أول يوم فض الله فيه جنود الفرس بفوارسهم من ذهل بن شيبان قال هشيم بن بشير بلغني أن النبي ﷺ قال " وبي نصرواً[3].

وروى أن بني شيبان اتخذوا شعارهم باسم رسول الله ﷺ – يا محمد يا محمد يا منصور– وذلك قبل إسلامهم [4]. وهذا تأكيد قوله ﷺ " وبي نصرواً.

---

(1) العلي: محاضرات، ج1، ص71.

(2) الطبري: تاريخ، ج2، ص213، المسعودي: مروج، ج2، ص80.

(3) ابن حنبل: العلل، ج1، ص3.

(4) الأصمعي: نهاية الأرب، الورقة 250ب، 251أ.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص144–145، الحميري: ص262، " وروى المسعودي في التنبيه والإشراف ص207–208 أن الرسول ﷺ التقى بهم في الموسم أثناء عرضه ﷺ الإسلام على قبائل العرب فوعدوه أن نصرهم الله على الأعاجم آمنوا به وصدقوا بنبوته فدعا لهم رسول الله ﷺ ومما يريبنا من رواية المسعودي

وربما اتخذ بنو شيبان اسم رسول الله شعاراً لهم إذ سبق وأن التقاهم أثناء عرضه ﷺ الإسلام على قبائل العرب في موسم الحج.

متى حدثت معركة ذي قار:

اختلف المؤرخون في تحديد زمن حدوث معركة ذي قار فذكر الأصمعي أنها حدثت في العام الذي هاجر فيه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة [(1)]. وأشار أبو عبيدة أنها وقعت عند مبعث الرسول ﷺ[(2)] وذكر الطبري ما أشار إليه أبو عبيدة[(3)]. وأوضح ابن حبيب أنها حدثت قبل الهجرة[(4)]. واعتبرها المسعودي لتمام أربعين سنة من مولد الرسول ﷺ[(5)] أي عند مبعثه، وذكر أبو الفدا مثل ما ذكره المسعودي عن تاريخ حدوثها وروى في عام وقعة بدر [(6)].

ومثلما اختلف الرواة في تحديد زمنها، اختلف المؤرخون المحدثون أيضاً فحدد نولدكه الألماني زمنها بين عامي 604-610.

وميور يقول في سنة 611[(7)]. أما كوسان دي برسيفال فيعتقد أنها حدثت بعد أن أكتمل عمر النبي ﷺ أربعين عاماً أي سنة (611م)، استناداً إلى ما ذكره المسعودي وأبو الفدا، ويرى نكلسون أنها حدثت سنة 610م[(8)]. أما غنيمة فوضع تاريخها في

هذه أنه أدعى بأن لقاءه كان بين قبائل عبد القيس وبني حنيفة، ولم يشر غيره إلى ذلك وأنما أشارت المصادر بوضوح إلى لقائه بذهل وبني شيبان. انظر الفصل الخاص بإسلامهم.

(1) الأصمعي: نهاية الارب، الورقة 250ب، 251أ.

(2) ابن عبد ربه: ج5، ص262.

(3) الطبري: تاريخ، ج2، ص207.

(4) ابن حبيب: المحبر، ص360.

(5) المسعودي: مروج، ج1، ص306-307.

(6) أبو الفدا: ج1، ص81.

(7) غنيمة: الحيرة، ص220.

(8) عبدالعزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، ج1، ص371-371.

السنة الأولى من تولي إياس أمر الحيرة أي سنة 607م[1]. وحدد عبدالعزيز سالم تاريخ حدوثها بين سنتي 609-610م[2] .

إلا أن ابن كثير ذكر في معرض حديثه عن عرض الرسول ﷺ الإسلام على قبائل العرب، أنه حينما عرض الإسلام على بني شيبان خرج إلى مجلس الأوس والخزرج ولم يخرج منهم حتى بايعوه على الإسلام، ويستمر ابن كثير في روايته فيقول: " ولم يلبث رسول الله إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم: " احمدوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبي نصروا"[3]، ويؤكد ابن كثير على غرابة حديثه فيقول: "هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا بقراقر- مكان قريب من الفرات- جعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ فنصروا على فارس بذلك وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام[4] .

ولما كان إسلام الأوس والخزرج قد تم في بيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشرة للبعثة النبوية[5]، وإذا سلمنا بمولد الرسول ﷺ في عام 570م، وكان مبعثه

---

(1) غنيمة: ص220.

(2) عبدالعزيز سالم: المصدر نفسه، ج1، ص371-372.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص 144-145.

(4) المصدر نفسه: ج3، ص144-145.

(5) الطبري: تاريخ، ج2، ص353 فما بعد.

لتمام أربعين من مولده، فيمكننا أن نجعل حدوث وقعة ذي قار بحدود عام 623م[1].

---

(1) أن العملية الحسابية لزمن معركة ذي قار يتم وفق الشكل اللآتي 570م (مولد الرسول)+ (40 سنة تاريخ نبوة الرسول ﷺ + 12) سنة بيعة العقبة = 623م.

الباب الثالث

الدور السياسي والدعوي لقبيلة بني شيبان

في العصر النبوي والراشدي والأموي

الفصل الأول

دور بني شيبان في العصر النبوي

- المبحث الأول: إسلام بني شيبان
- المبحث الثاني: وفد بني شيبان إلى الرسولﷺ

المبحث الأول

إسلام بني شيبان

موقف بني شيبان من الدعوة الإسلامية

أن الموقف السلبي الذي اتخذته قريش من الدعوة الإسلامية جعل الرسول الكريم ﷺ يبحث عن أنصار يؤمنون بها ويدافعون عنها من قبائل العرب[1]، فكان الرسول ﷺ قد خرج في أحد مواسم الحج عارضاً نفسه على قبائل العرب داعياً إياهم إلى الإسلام، ويذكر ابن اسحق (152هـ-769م) أنه ﷺ عرض نفسه على كندة وعلى بطن من كلب وعلى بني حنيفة، فلم يك أحد من العرب أقبح رداً عليه من بني حنيفة، كما عرض نفسه على عامر بن صعصعة[2]، وذكر الوافدي أنه دعا بني عبس وكذلك بني غسان وبني محارب[3]، وحينما لم يجد استجابة لدعوته ﷺ منهم واصل عمله يعرض الإسلام على قبائل العرب الأخرى فروى ابن عباس حديث الخليفة علي رضي الله عنه أن الرسول ﷺ خرج وبصحبته أبوبكر وعلي رضي الله عنهما إلى منى وربما كان ذلك في موسم الحج والتقوا ببني شيبان لغرض دعوتهم إلى الإسلام[4].

الرسول ﷺ في مجلس بني شيبان:

---

(1) انظر حول مقاومة قريش للدعوة الإسلامية: ابن هشام: ج2، ص31-32، الطبري: تاريخ، ج2، ص348 فما بعد.

(2) ابن هشام: ج2، ص32 و 33، انظر أيضاً سيد الناس: عيون الأثر: م1، ص188-189.

(3) ابن سيد الناس: م1، ص188-189.

(4) أبو نعيم: ص237.

تشير الرواية إلى أن المجلس كان مهيباً عليه السكينة والوقار رجاله مشايخ لهم هيئات وأقدار، فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وقال: ممن القوم؟ قالوا من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى الرسول ﷺ فقال: " بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما وراء هذا القوم عز وهؤلاء غرر قومهم"[1] . ويذكر ابن كثير ليس وراء هؤلاء عذر في قومهم[2]. وكان في المجلس مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً كما تصوره الرواية، وكان مجلس أبي بكر رضي الله عنه إلى جانبه، فكان من الطبيعي أن يبدأ الحوار معه وأن يكون الحوار حول قوتهم وعددهم ومنعتهم[3] وهذا ما كان يطمح الرسول ﷺ التعرف عليه لنشر الرسالة الإسلامية، فسأله أبو بكر: " كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق أنا لنزيد على ألف، ولن يغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر وكيف المنعة فيكم؟ قال مفروق إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقي، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة ويديل علينا أخرى"[4].

ومن نص ابن عباس يظهر أن بني شيبان كانوا قد سمعوا بخبر الرسول ﷺ، ويدلنا على ذلك تتمة الحوار الذي دار بين مفروق وأبي بكر إذ سأل مفروق أبا بكر: "لعلك أخو قريش. قال: إن بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا، قال: بلغنا أنه يقول ذلك"[5]. وبعد أن تعرف مفروق على الرسول ﷺ كان من الطبيعي أن يتعرف مفروق

---

(1)ابن عاصم: ص237–238، ابن حبان: ج1، ص84–85، أبو نعيم: ص240، ابن سيد الناس، م1، ص188–189.

(2)ابن كثير: البداية، ج3، ص143.

(3)ابن كثير: البداية، ج3، ص143، هامش رقم (4).

(4)ابن حبان: ج1، ص84–85، ابن عاصم، ص237–238، أبو نعيم، ص240، ابن كثير: البداية، ج3، ص143، ابن سيد الناس:م1، ص188–199.

(5) ابن عاصم: ص238.

وقومه على فحوى الديانة الجديدة وشخصية رسولها مثلما تعرف هو على مجمل ظروفهم أثناء حوار أبي بكر معهم فسأل مفروق الرسول ﷺ فإلى ما تدعو يا أخا قريش قال: رسول الله ﷺ، أن الله أرسلني إلى خلقه، وأني أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تؤوني وتنصروني فإن قريشاً ظاهرت عن أمر الله وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل على الحق، وأن الله هو الغني الحميد قال: وإلى ما تدعو أيضاً فتلا:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

قال وإلى ما تدعو أيضاً فتلا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2][3]، ويبدو أن مفروقاً قد أعجب بحديث الرسول الكريم ﷺ وربما صدق بقرارة نفسه بدعوة محمد ﷺ دون أن يعلن إسلامه للرسول ﷺ لما تضمنه حديث الرسول ﷺ من التأكيد على الأخلاق الحميدة والأعمال الجليلة، فقال مخاطباً الرسول ﷺ " دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن

---

(1) سورة الأنعام الآية 151.

(2) سورة النحل الآية 90.

(3) ابن عاصم: ص238، وانظر ابن حبان: ج1، ص85-86، أبو نعيم، ص240-241، ابن الأثير، أسد الغابة، م5، ص251، ابن كثير: البداية، ج2، ص143-144، ابن سيد الناس، م1، ص189.

الأعمال"[1] كما وقد اعتقدوا أيضاً بأن هذا " ليس من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم لعرفناه"[2]، وفي ذلك إشارة واضحة لتصديقهم بالدعوة الإسلامية، ولكن هل أسلم بنو شيبان أو بعضهم؟ هذا ما لم تذكره المصادر التاريخية.

ولكن مجلسا كالذي حضره رسول الله ﷺ وصاحباه ﷺ في بني شيبان يقوده رؤساء القوم وسادتهم، لم يكن ليستجيب لما قيل بهذه السرعة وقد اتخذت الفترة التي سبقت الإسلام دوراً فاعلاً ومؤثراً، في تثبيت عقائدهم وبلورتها في أذهانهم حتى ولو صدقوا وآمنوا بما سمعوه من الرسول ﷺ وأبي بكر ﷺ وقد تمثل ردهم للرسول الكريم ﷺ بكلام هانئ بن قبيصة الشيباني شيخ بني شيبان فقال مخاطباً الرسول ﷺ : " يا أخا قريش، قد سمعت مقالتك وأنا نرى ترك ديننا واتباعك على دينك لمجلس واحد جلسته معنا، ننظر في أمرك ولم نتثبت من عاقبة ما تدعونا إليه زلة في الرأي وإعجالاً في النظر"[3]. إذن كم كان للتريث والعقلانية والمشورة في حياة العرب قبل الإسلام دور كبير في صياغة القرار واتخاذه، ولم يكن رد هانئ هذا يعني رفضهم للإسلام وعدم قبوله كدين وعقيدة بل طلب من الرسول ﷺ أن يعطيه متسعاً من الوقت للنظر في هذا الأمر قال هانئ: " ترجع ونرجع وننظر وتنظر"[4]. إضافة إلى ذلك يبدو أن للأسباب السياسية والظروف المحيطة بهم، كان لها أثرها في اتخاذ بني شيبان لهذا الموقف وذلك بسبب الخطر الفارسي الذي كان يهددهم من جانب الدولة الساسانية، وهذا ما أفصح عنه المثنى بن حارثة الشيباني إذ قال: "وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً ولسنا نأمن أن يكون الذي تدعونا إليه مما

---

(1)ابن عاصم: ص238، وانظر ابن حبان: ج1، ص85-86، أبو نعيم، ص240-241، ابن الأثير، أسد الغابة، م5، ص251، ابن كثير: البداية، ج2، ص143-144، ابن سيد الناس، م1، ص189

(2) ابن كثير: البداية، ج3، ص143-144.

(3)ابن عاصم: ص238، وانظر ابن حبان: ج1، ص86-87، أبو نعيم، ص241،، ابن كثير: البداية، ج3، ص144، ابن سيد الناس، م1، ص190

(4) ابن عاصم: ص238-239.

يكرهه الملوك"[1] ولكن على الرغم من ذلك فقد تعهد بنو شيبان للرسول ﷺ بأنهم على استعداد لأن يؤوه ﷺ مما يتهدده من مخاطر العرب وأن ينصروه " فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا.." [2] .

يبدو أن الرسول ﷺ قد أعجب برد بني شيبان لما كان فيه من الصراحة والصدق والأمانة إذ قال لهم " ما أسئتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق"[3] .

وهذا الحوار ذو المعاني العميقة والشمولية والصراحة، كان يمثل الأساس لأخلاق العرب قبل الإسلام، فيه كانوا يحسمون مشاكلهم وبه يتدبرون أمورهم، ولعل الحديث الذي تلاه رسول الله ﷺ حينما نهض وهم بالخروج من مجلس بني شيبان يمثل الصورة الصافية لما قلناه عن حياة العرب قبل الإسلام فقال مخاطباً أبا بكر وقيل علياً[4]: " آية أخلاق في الجاهلية بها يكف الله بأس بعضهم عن بعض ويتحاجزون في هذه الدنيا"[5].

نستنتج مما تقدم أن إسلام بني شيبان على الرغم من أنه تم من الناحية الرسمية إذا جاز التعبير في السنة التاسعة للهجرة أو التي تليها كما سنوضح ذلك، إلا أنهم لم يكونوا بعيدين عن فهم مبادئه وعن مجمل الظروف التي أحاطت به، كما وأنهم لم يقاوموا الإسلام كمبدأ والإيمان بالوحدانية كما اتضح ذلك من حوار مفروق وهانئ والمثنى مع الرسولﷺ، بل العكس من ذلك فإننا نرى نعمان بن شريك حينما قال

---

(1) ابن عاصم: ص238 –239، وانظر ابن حبان: ج1، ص86–87، أبو نعيم، ص241،، ابن كثير: البداية، ج3، ص144، ابن سيد الناس، م1، ص190

(2) ابن حبان: ج1، ص87–88.

(3)ابن عاصم: ص238 –239، وانظر ابن حبان: ج1، ص86–87، أبو نعيم، ص241،، ابن كثير: البداية، ج3، ص144، ابن سيد الناس، م1، ص190

(4)ابن حبان: ج1، ص88.

(5) ابن عاصم: ص239، وانظر ابن حبان: ج1، ص88، أبو نعيم، ص241،، ابن كثير: البداية، ج3، ص144، ابن سيد الناس، م1 ص189–190.

رسول الله ﷺ: " أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه" قال: اللهم لك ذاك[1] . ولا نستبعد أن يكون رهط من شيبان قد فكروا باعتناق الديانة الإسلامية، لو أن المصادر لم تشر على ذلك صراحة، والسؤال الذي يطرح نفسه متى حصل لقاء الرسول ﷺ ببني شيبان.

ذكر أبو نعيم [2] وابن سيد الناس[3] والسهيلي[4] وابن كثير[5] أن الرسول ﷺ حينما خرج من بني شيبان أتي إلى مجلس الأوس والخزرج وذكروا أن الرسول ﷺ وأبا بكر وعلياً رضي الله عنهما لم ينهضا حتى بايع الأوس والخزرج الرسول ﷺ على الإسلام. وإذ صح ما ذكره أبو نعيم وغيره فإن ذلك لم يكن إلا بيعة العقبة الثانية التي تمت في السنة الثالثة عشر للبعثة النبوية[6] . وبناء على ذلك يمكن اعتبار السنة الثالثة عشر للبعثة هي السنة التي تم فيها لقاء الرسول ببني شيبان.

قال ابن كثير: " فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيراً (بعد مبايعة الأوس والخزرج) حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم " أحمد الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبي نصروا"[7] ويكمل ابن كثير قوله بأن هذه الوقعة كانت بقراقر إلى جنب حنوذى قار. ويؤكد بأن شعارهم كان اسم محمد ﷺ فنصروا على فارس بذلك وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام"[8] وإذا صحت رواية ابن

---

(1) ابن كثير: البداية، ج3، ص144، ابن سيد الناس، م1، ص189، ص19.
(2) أبو نعيم، ص241.
(3) ابن سيد الناس، م1، ص919.
(4) السهيلي، الروض الأنف، ج1، ص265.
(5) ابن كثير: البداية، ج3، ص144-145.
(6) حسن إبراهيم حسن: ج 1، ص 94فما بعد.
(7) ابن كثير: البداية، ج2، ص144-145.
(8)المصدر نفسه، ج3، ص144-145.

كثير فإن معركة ذي قار وقعت في السنة الثالثة عشر للبعثة النبوية 623م[1]، كما أوضحنا ذلك.

(1) انظر الفصل الخاص بنضالهم ضد الفرس.

المبحث الثاني

وفد بني شيبان إلى الرسولﷺ

تذكر كتب السيرة الأولى وفد بكر بن وائل إلى الرسولﷺ[1] إلا أنها لا تذكر بصورة واضحة وفد بني شيبان، إلا أن مصادرنا المتأخرة تشير إلى أفراد وتصفهم بأنهم كانوا ضمن وفد بني شيبان، إذ أشارت إلى أن المثنى وفد إلى الرسول ﷺ في السنة التاسعة للهجرة، وقيل في السنة العاشرة[2] مع وفد قومه[3]. وأشار اليعقوبي إشارة عابرة إلى وفد بني شيبان إلى الرسول ﷺ[4]. بينما أشارت المصادر العربية بوضوح إلى وفد بكر بن وائل، القبيلة الأم، وعرفت بشخصيات الوفد ورئيسه، فقد ذكر أن وفد بكر بن وائل قدم إلى الرسول ﷺ في عام الوفود سنة 9هـــ- 630م وأعلن إسلامه[5].

وأمر الرسول ﷺ على هذا الوفد المنذر بن ساوى وكذلك علي عبد القيس[6]، وكان في الوفد بشير بن الخصاصية وعبدالله بن مرتد وحسان بن خوط[7]. وقال رجل من ولد حسان شعراً مفاخراً فيه أن حسان كان رئيس وفد بكر كلها:

---

(1)ابن سعد: ج1، ص215، ابن كثير: البداية، ج5، ص93.

(2) ذكر العسقلاني في الإصابة، ج3، ص392، وابن عبدالبر في الاستيعاب قسم4، ص1456-1457، أن وفود المثنى مع قومه إلى الرسول كان في سنة 9هــ وقيل في سنة عشرة. أما ابن الأثير: فقد ذكر في أسد الغابة، م5، ص59-60 أن قدومه مع وفد قومه كان في سنة 9هــ.

(3) ابن عبدالبر: ق4 ص1456-1457، ابن الأثير: أسد الغابة، م5، ص59-60، العسقلاني:ج3، ص392، أيضاً دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج1، ص74.

(4) اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص86.

(5) بن سبك، ج1، ص315، ابن كثير: البداية، ج5، ص93، وانظر أيضاً سعد زغلول: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص263.

(6) انظر عن تحليل المصادر العربية لإسلام بكر، دائرة المصارف الإسلامية "مادة بكر" بقلم شليفر، الترجمة العربية.

(7) بشير بن الخصاصية: هو بشير بن معبد من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة كان اسمه زخم فسماه الرسول بشير، أما حسان بن خوط فهو من بني ثعلبة وهو حسان بن محدوج بن بشر بن خوط بن سعنه بن عتود بن مالك بن الأعور بن مالك بن ثعبية بن ذهل ابن عامر بن ذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل.

أنا ابن حسان بن خوط وأبي * رسول بكر كلها إلى النبي

وقدمت لنا المصادر أيضاً جانباً من حديث وفد بكر مع الرسول ﷺ فقد ذكر الواقدي أنهم لما قدموا سألوا الرسول ﷺ عن قس بن ساعده فقال " ليس هو منكم رجل من اياد تحنف في الجاهلية فوافى عكاظ والناس مجتمعون فيكلمهم بكلامه الذي حفظه عنه"[1] ومن النص أعلاه هل يمكن أن نستنتج أن وفد بكر بن وائل كان يضم في شخصياته من مثل بني شيبان لاعلان إسلامهم أمام الرسول ﷺ ؟أم أن وفد بكر كان مستقلاً عن وفد بني شيبان؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نرى من المناسب عرض رواية ابن سعد عن وفد بني شيبان إلى الرسول ﷺ.

ذكر ابن سعد أن امرأة تميمية اسمها قيلة بنت مخرمة خرجت إلى أخت لها كانت قد تزوجت في بني شيبان تروم الذهاب إلى رسول الله ﷺ طالبة الصحبة منه[2]. وعندما وصلت بيت أختها كان وفد بكر بن وائل برئاسة حريث بن حسان الشيباني قد تهيأ للذهاب إلى رسول الله ﷺ عارضاً إسلامه[3] وعند وصول الوفد إلى الرسول ﷺ كان الوقت لصلاة الغداة وقد اجتمعت مع بزوغ الفجر، وحينما انتهى الرسول ﷺ وصحبه الكرام من أداء فريضة الصلاة، جلس القرفصاء، قالت قيلة " فلما رأيت رسول الله ﷺ متخشعاً في الجلسة أرعدت من الفرق، فقال جليسه: يا رسول الله أرعدت المسكينة فقال رسول الله ﷺ ولم ينظر إلي وأنا عند ظهره، يا

انظر : ابن حزم: ص316-318.

(1) ابن سعد: ج1، ص315، ابن كثير: البداية، ج5، ص93.

(2)ابن سعد: ج1، ص315، ابن كثير: البداية، ج5، ص93.

(3)ابن سعد: ج1، ص317-318.

مسكينة عليك السكينة، فلما قالها رسول الله ﷺ، اذهب الله ما كان ادخل قلبي من الرعب، وتقدم صاحبي أول رجل فبايعه على الإسلام عليه وعلى قومه"[1] .

ويضيف ابن سعد أن حرملة بن عبدالله – يبدو أنه كان ضمن وفد بني شيبان، خرج حتى أتى رسول الله ﷺ " وكان عنده حتى عرفه رسول الله ﷺ، ثم ارتحل، قال: فلمت نفسي فقلت: والله لا أذهب حتى ازداد من العلم عند رسول الله ﷺ فأقبلت حتى قمت فقلت يا رسول الله ما تأمرني أعمل؟ فقال: يا حرملة ائت المعروف واجتنب المنكر وانظر الذي تحب أذنك إذا قمت من عند القوم أن يقولوه لك فأته، والذي تكره أن يقولوه لك إذا قمت من عندهم فأجتنبه"[2].

مما تقدم يصعب علينا الإجابة فيما إذا كان وفدا بكر وشيبان وفداً واحداً يمثل القبيلة لكافة بطونها أم لبعض بطونها؟ أم أنهما كانا وفدين مستقلين، والذي نراه أنه كان هناك وفدان ولكن لم يكونا في آن واحد وفد لبني شيبان وآخر لبكر. ذلك أن بني شيبان بطن من بكر بن وائل وأشارت كتب السير الأولى إلى وفد بكر بن وائل مع أن حريثا كان رئيساً للوفد على رواية بن سعد وهو من بكر ومن شيبان في آن واحد، فلم تهتم المصادر الأولى بالتفريق بين وفدي شيبان وبكر إلا أن ابن سعد لاحظ الفرق بين الوفدين فأعطى لكل وفد عنواناً خاصاً. على أن رواية ابن كثير لا تؤيد ما ذكره ابن سعد حيث ذكر ابن كثير بأن حريث ذهب إلى الرسول ﷺ، يشكو العلاء الحضرمي إليه[3] . ومن المحتمل أن رواية ابن كثير تشير إلى ما بعد إسلام بكر. وعلى أية حال فإن إسلام بني شيبان كما ذكرت بعض المصادر كان في السنة

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص318–319، وانظر أيضاً: ابن عبد ربه: ج2، ص42–47.

(2) ابن سعد: ج1، ص320–321، انظر أيضاً مغنية: مجموعة سيرة العرب تحت عنوان وفد بني شيبان، م2، ص419–420.

(3) ابن كثير: البداية: ج5، ص84.

التاسعة أو العاشرة سواء أكان ذلك بوفد يمثلهم أو ضمن وفد بكر بن وائل، مع عدم نكران احتمال إسلام بعضهم قبل الهجرة إلى المدينة كما تم توضيحه سلفاً.

ومما هو جدير بالذكر أن بني شيبان بقوا محط أنظار الصحابة حتى ساعة إعداد جيش فتح مكة، فقد روى الواقدي أن رسول الله ﷺ خرج " في أثني عشر ألفاً من المسلمين عشرة آلاف من أهل المدينة، وألفين من أهل مكة فلما فصل[1] قال رجل من الصحابة: لو لقينا بني شيبان ما بليناه لا يغلبنا اليوم واحد من قلة..."[2].

---

(1) خرج. لا نهتم من شيء.

(2) الوافدي: ج3، ص889.

الفصل الثاني

دور بني شيبان في العصر الراشدي

- **المبحث الأول: دور بني شيبان في حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه**
- **المبحث الثاني: دور بني شيبان في الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه**
- **المبحث الثالث: دور بني شيبان في الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان وعلي رضي الله عنه**

المبحث الأول

دور بني شيبان في حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق ﷺ

المواقف السياسية لبني شيبان من الخلافة الراشدة:

من أبرز المواقف السياسية في صدر الإسلام هي ردة بعض القبائل العربية عن الإسلام، ولكي نقف على موقف بني شيبان منها بوضوح لابد لنا من أن نتعرف على أسباب الردة بشكل عام وردة بكر بن وائل بشكل خاص.

دوافع الردة:

من الواضح أن الإسلام كدين وكمبدأ كان دعوة عالمية جديدة، وهذه الدعوة التي جاءت بالجديد ظهرت في بيئة قبلية متمسكة بعادات وتقاليد الآباء والأجداد لفترات طويلة، بحيث أصبحت جزءاً من حياتها بل من نظامها الاجتماعي، فكان من الطبيعي أن يكافح الإسلام جاهداً ومجاهداً لتلك الاتجاهات القبلية الخاطئة، خاصة التعصب القبلي منها لكي يحل رابطة جديدة تحمل قيماً ومثلاً جديدة هي عقيدة الإسلام محل رابطة الدم[1] على الرغم من بقاء القبيلة كوحدة اجتماعية قائمة، كما وأن الرسول ﷺ ادخل فكرة الدولة والقانون إلى العرب ليقابل فكرة القبيلة والعرف[2]. ويبدو أن القيام بهذه المهمة كان من الأمور الصعبة ولصعوبة الاتصال بين أنحاء الجزيرة وقتذاك كان من العثرات التي أثرت في هذا الاتجاه (نشر الإسلام)[3]. انتشر الإسلام ولكن لم يكن هناك الوقت الكافي لانتشاره بحيث يعم الجزيرة

---

(1) الدوري: ص39.

(2) نفس المصدر: ص39.

(3) حتى، فيليب وآخرون، ج1، ص191-192.

العربية كلها [1]. وما ذكرته المصادر عن وفود القبائل إلى الرسول وإسلامها يبدو أنه لم يكن يمثل القبيلة بأسرها بل ربما مثل زعماء القبائل[2] وفي أحسن الأحوال الوفد ومن يرأسه، ومهما يكن الأمر فإن دوافع دخول الإسلام أيضاً كانت مختلفة فبعضهم دخل لإيمان صميمي بالعقيدة الإسلامية راغباً طائعاً، وبعضهم طمعهم في الامتيازات وبعضهم الآخر قبل الإسلام خوفاً من قوة الإسلام[3]. ولعل كتاب أبي بكر رضي الله عنه. إلى القبائل المرتدة قد أوضح ذلك " فهدى الله بالحق من أجاب إليه وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه، حتى صار الإسلام طوعاً وكرهاً"[4].

والمعروف أن الدعوات الجديدة تحتاج إلى وقت لتفهم[5]، إذ ليس من السهولة أن يفهم الإسلام من اعتنقه قبل وفاة الرسول بسنة أو بسنتين.

وعليه فإن خروج تلك القبائل وتمردها عن الإجماع العربي الإسلامي والسلطة الشرعية، كان لدوافع مختلفة مثلما كانت دوافع إسلامهم مختلفاً أيضاً، يقول الدوري معللاً دوافع ردة القبائل: " فقد نشأت الردة عن خوف القبائل الوثنية من توسع سلطان المدينة، وعن معارضة قبائل مسلمة لفكرة الخضوع للمدينة، وعن رغبة البعض الآخر في إنهاء هيمنة المدينة المتمثلة في معاهدات عقدتها مع الرسول، وعن العصبية القبلية بصورة عامة "عن المحافظة الدينية"[6].

---

(1) الدوري: المصدر السابق، ص37.
(2) حتى، ج1، ص191-192.
(3) الدوري، ص37.
(4) الطبري: تاريخ ج3، ص250.
(5)الدوري، ص39.
(6) المصدر نفسه: ص42.

فكانت بعض القبائل ترى في دفع الزكاة عملاً مهيناً لها واعتبرتها ضريبة خضوع أو أتاوة[1]. فرضوا " أن يقيموا الصلاة وعلى ألا يؤتوا الزكاة.." [2] وامتنعوا عن دفع الزكاة"[3]. إلا أن أبا بكر رضي الله عنه كان دقيقاً في ملاحظة النزعة التعصبية القبلية حينما اعتبر عدم دفع الزكاة تمرداً على الأمة وخروجاً على سلطة المدينة "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والذي نفس أبي بكر بيده: لو منعوني عقالاً – أو عناقاً – كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه حتى آخذها"[4].

وكانت قبائل أخرى قد قدمت ولاءها السياسي للرسول، واعتبرت هذا الولاء شخصياً بحسب التقاليد والأعراف ينتهي بوفاة الرسول ﷺ إذ ليس هناك من رابط حسب اعتقادهم بتقديم الولاء لأبي بكر، وكان لبعض هذه القبائل وخاصة في شمال الحجاز معاهدات، تنتهي بوفاة الرسول، عليه اعتبرت نفسها في حل من الخضوع لأبي بكر[5] .

ويؤكد ذلك قول الشاعر:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا * فيا لعباد الله ما لأبي بكر[6]

أيورثنا بكراً إذا مات بعده * وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

على أن هناك قبائل لم تخضع سياسياً ولا دينياً للرسول ﷺ كبني حنيفة، فمسيلمة الكذاب طلب في كتابه إلى الرسول ﷺ أن يشاركه النبوة وأن يشاطره السلطة

---

(1) المصدر نفسه: ص42، أيضاً أحمد أمين: يوم الإسلام، ص55.

(2) الطبري: تاريخ، ج3، ص244.

(3) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية: ص74.

(4) ابن حبان، ج2، ص165، انظر أيضاً اختلاف في الرواية البلاذري، فتوح البلدان، ص103، الطبري، تاريخ، ج3، ص244.

(5) الدوري، ص42، انظر حول المعاهدات مع الرسول، البلاذري: فتوح، ص71 فما بعد.

(6) الطبري: تاريخ، ج3، ص246.

مناصفة. فكتب إلى الرسول ﷺ " من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. أما بعد فإني اشتركت في الأمر معك وأن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم لا يعتدون".

فأجابه الرسول " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين[1] ".

على أن هناك من أسلم ولم يؤمن بالإسلام إطلاقاً فعيينه بن حصن زعيم غطفان الذي أسر وجيء به إلى أبي بكر تشير إليه الرواية " أخبرني من نظر إلى عيينة بن حصن مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ينخسه غلمان المدينة بالجريد يقولون: أي عدو الله أكفرت بعد إيمانك فيقول: والله ما كنت آمنت بالله قط"[2] .

ويرى الدوري أن نجاح الرسول ﷺ والوعي الذي كونته دعوته ووجود العصبية القبلية مسؤولة كثيراً عن ظهور الأنبياء الكذابين مثل طليحة في بني أسد والأسود العنسي الذي خرج في حياة الرسول في اليمن وذو التاج لقيط بن مالك الأزدي في عمان، وربما كان للناحية القبلية الأثر الأول في ظهورهم"[3] .

وكان للعصبية القبلية أثرها المباشر في ردة بعض القبائل أن لم نقل في أغلب من ارتد منها، وتمثلت تلك النزعة في رغبة القبيلة بعدم الخضوع لسلطة خارجية، وفي تحزب بعض القبائل على سلطان المدينة ولعل الدليل على ذلك ما فعله عيينة بن حصن زعيم غطفان المذكور حينما قام في قومه فقال: " ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين أسد، وأني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة،

---

(1)الطبري: تاريخ، ج3، ص146، ابن الأثير: الكامل، ج2، ص300.

(2) الطبري: تايخ، ج3، ص260.

(3) الدوري: ص43.

والله لأن نتبع نبياً من الحلفين[1] أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش وقد مات محمد، وبقى طليحة فطابقوه على رأيه"[2].

فالردة إذن هي حركة سياسية اجتماعية هدفها الخروج عن سيادة المدينة وسلطانها وكان للتعصب القبلي أثر واضح فيها ولا نرى فيها أي دافع اقتصادي فحتى من امتنع عن دفع الزكاة فكان الخروج عن السلطة الشرعية للمدينة لاعتقاده أنها جزء من إذلاله وامتهانه. وكانت حروبها سياسية دينية، الغرض منها إخضاع من لم يخضع لسلطة المدينة وتمرد عليها وإخضاع من لم يخضع سابقاً من العرب وضمه إلى الإسلام.

ردة بكر بن وائل:

حدثت ردة بكر بن وائل في البحرين، بعد وفاة الرسول ﷺ وسبق للجارود بن المعلى العبدي زعيم عبد القيس أن وفد على الرسول ﷺ وتفقه ورده إلى قومه عبد القيس وكذلك المنذر بن ساوى العبدي. وبعد وفاة الرسول ﷺ بفترة قليلة توفي المنذر بن ساوى وارتد بعده أهل البحرين[3].

ويذكر أن عبدالقيس ثبتوا على إسلامهم بجهود الجارود[4] بينما بقيت بكر ومن تبعها على ردتها.

---

(1) كان بين أسد وغطفان وطي حلف قبل الإسلام ويقصد عيينة بالحليفين اسد وطي. الطبري: تاريخ، ج3، ص257.

(2) الطبري: تاريخ: ج3، ص257.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص301، انظر ابن الأثير: الكامل، ج2، ص268، ذكر اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص147 أن من ارتد في البحرين النعمان بن المنذر بن ساوى التميمي وكان قد وضع التاج على رأسه فوجه أبو بكر إليه العلاء الحضرمي فقتله.

(4) خليفة بن خياط: تاريخه، ج1، ص297-98، انظر أيضاً ابن الأثير: الكامل، ج2، ص368.

أسبابها:

لم تكن بكر بن وائل تخرج عن الدوافع التي ذكرناها عن ردة القبائل بشكل عام، فهي ردة سياسية بالدرجة الأولي الغرض منها التخلص من " سلطة المدينة السياسية يدلنا على ذلك قول بعض بكر بن وائل لبعضهم تعالوا حتى نرد الملك في دار النعمان بن المنذر[1] فإنه أحق بهذا الأمر من ابن أبي قحافة"[2]، يروى أن الحطم بن ضبيعة أرسل إلى الغرور بن سويد شقيق النعمان بن المنذر[3]، وقيل ابنه[4]. فبعث إليه خطاباً من أرض البحرين وقال له: " أثبت فإني أن ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان في الحيرة"[5] وهذا دليل آخر يؤكد أن ردة بكر كانت سياسية، وتوجت بكر بن وائل الغرور وأمرته عليها.

موقف الفرس من ردة بكر:

لم يكن تأمير الغرور سويد عملية اعتباطية ولا من قبيل الصدفة فحينما استقر رأي بكر بن وائل على الردة – هم ومن اجتمع إليهم من هنا وهناك، من غير المرتدين ممن لا زال كافراً[6]، وبعد استيلاء الحطم بن ضبيعة على القطيف وهجر والخط[7] شكل وفدا من رؤساء بكر وقدموا على كسرى ملك الفرس، وكان غرض وفادتهم هو اختيار الشخص الذي سيؤمر على بكر بن وائل لأن كسرى شارك في

---

(1) ابن أعثم: ج1، ص45 (ويرى ابن أعثم أن سبب ردة بكر هو أن نفراً من بكر بن وائل كان يعادون قبائل عبد القيس، وعبد القيس يومئذ بالبحرين متمسكين بدين الإسلام.

(2) الطبري: تاريخ، ج3، ص303-304.

(3) الأصفهاني: ج15، ص256-257.

(4) الطبري: تاريخ، ج3، ص303-304.

(5) المقدسي: ج3، ص206-207.

(6)الأصفهاني: ج15، ص256.

(7)الطبري: تاريخ، ج3، ص302- 304.

عملية الاختيار، فكان المنذر بن النعمان بن المنذر أو كما يسمى (الغرور) هو الشخص الذي وقع عليه الاختيار[1]. ولعل كسرى أراد من وراء ذلك زيادة شدة وضراوة الصراع بين العرب بحيث يجعل القتال بين جبهتين عربيتين. لإضعاف كلا الجانبين ويجني هو ثمرات هذا الضعف، فلم يرسل قوة فارسية مستقلة لئلا تثير الشبهات بل توج الغرور وأرسل معه سبعة آلاف فارس وراجل مجهزين بعدة القتال الكاملة. وربما تراجع كسرى عن إجرائه هذا بعد تنفيذه، لأن من توجه لم يبلغ مبلغ الرجال وأنه ندم على عمله هذا لأنه لم يجن منه إلا الفشل والخذلان، قال كسرى لوزرائه" أني لم أصنع شيئاً عمدت إلى غلام حدث لا معرفة له بالأمور فجعلته رأساً للعرب"[2].

موقف الخلافة من ردة بكر بن وائل:

وسواء كان مجيء الغرور وترؤسه بكر بن وائل، بطلب من بكر أو من تدبير ملك الفرس، فإن دار الخلافة اتخذت التدابير اللازمة لمواجهة خطر هذه الردة المدعومة من قبل الفرس، فحينما أمر أبوبكر العلاء بن الحضرمي بالمسير إلى البحرين قال له" أنظر يا علاء ألا تمرن بحي من أحياء العرب ألا استنهضتهم إلى محاربة بني بكر بن وائل فإنهم قد أتوا بالمنذر بن النعمان من عند كسرى ملك الفرس وقد عقدوا التاج على رأسه وقد عزموا على إطفاء نور الله وقتل أولياء الله فسر وقل لا حول ولا قوة إلا بالله"[3].

وبغض النظر عن تفاصيل الطريقة التي تم بها القضاء على المرتدين فقد استطاع العلاء بن الحضرمي أن يقضي على ردة البحرين بعد أن قتل وسبي من

---

(1)ابن أعثم: ج1، ص46.

(2)ابن أعثم: ج1، ص46، يلاحظ أن تمليك الغرور كان بعد مقتل النعمان بن المنذر.

(3) ابن أعثم: ج1، ص48.

خرج مع بكر من العرب والعجم[1]. وكتب العلاء إلى أبي بكر يخبره بهزيمة المرتدين وقتل الخطم بن ضبيعة[2] قائدهم[3] .

أما الغرور فقد اختلفت الروايات في مصيره فقيل أنه قتل وقيل لحق بمسيلمة الكذاب وقتل معه وزعم أنه استأمن ثم هرب فلحق فقتل[4] وذكر أنه أسر وأوتى به للعلاء فأسلم وبقي بهجر[5]. وسواء أن قتل أو هرب فإن دوره انتهى بنهاية الردة في البحرين وإعادة البحرين إلى حُصن الإسلام، يقول الدكتور العلي معلقاً على نهاية الغرور "ودخلت البحرين حُصن الإسلام ولم نعد نسمع منذ ذلك الوقت عن المناذرة شيئاً"[6].

على أن الموقف الإنساني للخلافة قد تجلى حينما قدم أهل البحرين على أبي بكر يفتدون سباياهم فخطب في الناس قائلاً " أيها الناس ردوا على الناس سباياهم، لا يحل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يغضب عنه أحد[7] "

أما بطون بكر بن وائل التي ارتدت فهي عجل وتيم اللات وعنتزة وقيس[8].

موقف بني شيبان من ردة بكر:

يذكر ابن عثم أن بني شيبان وعلى رأسهم المثنى بن حارثة قد أغضبهم موقف بعض بني بكر بن وائل من إقبالهم على الردة: فكتب إليهم المثنى بن حارثة يعنفهم

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص94.

(2) الحطم بن ضبيعة من بني قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل.

(3) ابن الأثير: الكامل: ج2، ص371-372.

(4) البلاذري: فتوح: ص95.

(5) الأصفهاني: ج15، ص260-261.

(6) العلي: محاضرات، ج1، ص72.

(7) ابن حبان: ج2، ص181.

(8) الطبري: تاريخ، ج3، ص308، انظر أيضاً الأصفهاني: ج15، ص258-259.

على فعالهم وينهاهم عما قد أزمعوا عليه من حربهم لإخوانهم عبدالقيس ويهددهم بالمهاجرين والأنصار[1] .

وبدلاً من أن تتعظ بكر بن وائل بنصيحة المثنى نرى بعضهم يقول لبعض " حسدنا المثنى بن حارثة على ثلاث خصال: على ملك المنذر بن النعمان وعلى صلحنا لكسرى وعلى التوسع في البحرين والله لا قبلنا منه ما أشار به علينا"[2] ولم تستجب بكر بن وائل واستمرت على ردتها، فلم يكن لشيبان من خيار بعد هذه المحاولة الجريئة إلا أن تقف بوجه من ارتد من بطون بكر بن وائل فبينما كان العلاء بن الحضرمي يقاتلهم أنضم إليه المثنى بن حارثة وسار بقواته شمالاً حتى استولى على القطيف[3] وبعد تطهيرها تركها واستمر في سيره حتى وصل إلى مصب دجلة والفرات وهناك قضى على الفرس وعمالهم ممن قدموا العون والمساعدة للمرتدين في البحرين[4]. ويشير ابن الأثير إلى أن العلاء بن الحضرمي أمر المثنى ومعه عتيبة بنصب كمائن للمنهزمين من المرتدين وقطع الطرق عليهم[5]. فأقام المثنى وصاحبه في الطريق، فكانا يعترضان من انهزم منهم فمن تاب قبلوا توبته ومن أصر وبقي على غيه قطع عليه الطريق ورجع من حيث آتى[6]. وعلى كل فإن انضمام

---

(1) ابن أعثم، ج1، ص47.

(2) المصدر السابق: ج1، ص47.

(3) القطيف إحدى مدينتي البحرين والأخرى هجر، والي القطيف انحاز الجارود بعبد قيس حين ارتدت واشتد حصار بكر للقطيف وجواثا.البكري: ج4، ص1084، أنظر خريطة رقم (3).

(4) علي إبراهيم حسن، ص223.

(5) ابن الأثير: الكامل: ج2، ص371.

(6) الطبري: تاريخ، ج3، ص310-311.

جيش المثنى إلى جيش العلاء قد ساهم مساهمة فعالة في نصر العلاء على المرتدين في البحرين[1].

مما تقدم يمكننا أن نستنتج أن بني شيبان حاولوا جاهدين منع إخوانهم من بكر بن وائل من الردة، ومن قتال أبناء قومهم العرب وخاصة من عبد القيس وحذرهم المثنى بأن إقدامهم على مثل هذا العمل سيعرضهم إلى قوة المهاجرين والأنصار. ولكن زعماء بكر اعتبروا موقف بني شيبان هذا موقف الحاسد لهم لما حصلوا عليه من الخصال الثلاث المشار إليها سابقاً. لذلك لم يكن أمام بني شيبان من خيار إلا الانحياز إلى جانب الحق – العرب المسلمين– فكانت مشاركتهم بجيش العلاء في القضاء على المرتدين من الأمور التي عجلت في حسم الموقف لصالح العرب المسلمين. وربما كان موقف بني شيبان هذا من الردة بسبب الموقف العدائي الذي اتخذته الفرس منهم مما كان له الأثر في إنماء العامل القومي والوعي القومي لديهم، وهذا ما حدا بهم إلى الالتزام بالشرعية وتأييد ومساندة سلطة المدينة المركزية. وبقي السؤال الذي يطرح نفسه، هل أن هناك من ارتد من بني شيبان.

الحقيقة أن موقف بني شيبان هذا من الردة لا يعني أنه لم يكن هناك إفراد قد ارتدوا عن الدين الإسلامي، وفي رأينا أن ارتداد هؤلاء لا يضعف من موقفهم الموضح إزاء الردة.

إن ما ورد عن ارتداد بعض الشيبانيين يكاد يكون إشارات عابرة في ثنايا الكتب، فقد ذكر الطبري، بعد أن قضى العلاء على ردة البحرين وأعيدت إلى حظيرة الإسلام "أقبل الذين في قلوبهم ما فيها على الإرجاف، فأرجف مرجفون، وقالوا: هاذاك مفروق قد جمع رهطه شيبان وتغلب والنمر، فقال: لهم أقوام من المسلمين: إذا

---

(1) بخيت: عصر الخلفاء الراشدين، ص79، انظر أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية، مادة بكر، الترجمة بالعربية.

تشغلهم عنا اللهازم- واللهازم يومئذ قد استجمع أمرهم على نصر العلاء وطابقوه"[1] ويمكن أن نفهم من نص الطبري أن مفروق لم يقم بعمل مباشر ضده الخلافة ولم يرتد، كما وأن المسلمين لم يهتموا بأمره ولو كان من القوة بحيث شكل خطراً على المسلمين لما اكتفوا بمقاومة اللهازم له وهم حديثو عهد بالردة كما يستدل من نص الطبري أعلاه، وحتى كتاب أبي بكر الذي وجه إلى العلاء لا يمكننا أن نستشف منه ارتداد بني شيبان عن الإسلام وإنما نستشف منه حث الخليفة أبي بكر العلاء بأن يبعث إليهم جنداً إذا كان الخبر الذي قد وصله عن ارتداد بني شيبان صحيحاً، كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى العلاء "أما بعد فإن بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة تمام على ما بلغك، وخاض فيه المرجفون، فأبعث إليهم جنداً فأوطئهم وشرد بهم من خلفهم[2] "ويقطع الطبري هاجس الشك عن ارتداد بني شيبان حينما يقول: " فلم يجتمعوا، ولم يصر ذلك من إرجافهم إلى شيء"[3]، وهذا دليل واضح على عدم ارتدادهم وعدم قيامهم بفعل ضد الخلافة. أما ما ورد عن بني شيبان من أنهم كانوا ضمن من سار من ربيعة مع سجاح بنت الحارث المتنبئة، والتي أقبلت من الجزيرة، وكانت ورهطها في بني تغلب تقود ربيعة ومعها الهذيل بن عمران في بني تغلب، وعقه بن هلال في النمر وزياد في اياد، والسليل بن قيس في شيبان"[4] فلم ترد إشارة في الفعاليات والحروب سواء مع سجاح أو مع مسيلمة الكذاب بعد لقاء المتنبئين ودمج قواتهما إلى أن بني شيبان كانوا ضمن من ارتد، بينما ورد ذكر الأقوام التي اشتركت من تغلب والنمر واياد وأشير لدورها بشكل واضح في ردة اليمامة[5] ولعل عدم اشتراكهم في ردة اليمامة يؤيده عدم ذكر رئيس شيبان مع رؤساء قبائل النمر

---

(1) الطبري: تاريخ، ج3، ص311.

(2) الطبري: تاريخ، ج3، ص313

(3) المصدر نفسه: تاريخ، ج3، ص313

(4)المصدر نفسه: تاريخ، ج3، ص269، انظر أيضاً ابن الثير: الكامل، ج2، ص354.

(5) الطبري: تاريخ، ج3، ص267 فما بعد.

واياد الذين خصتهم سجاح باستلام نصف غلات اليمامة التي استلمتها بعد صلحها مع مسيلمة حينما قفلت راجعة إلى الجزيرة، " وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف وتترك عنده من يأخذ النصف، وانصرفت إلى الجزيرة، وخلفت الهذيل وعقه وزياد لأخذ النصف الثاني"[1].

يبدو مما تقدم أن ما ذكر عن ردة بعض من بني شيبان ليس له ما يؤكده، وإن كنا نؤمن بأنهم ربما أرجفت قلوبهم للخروج عن الإسلام، لكنهم من الناحية العملية لم يفعلوا شيئاً ولو أنهم فعلوا شيئاً لأشارت إليه المصادر التاريخية التي لم تشر إليهم إلا ما ذكرناه، على أن هذا لا يعني أن هناك أفراد وشخصيات قد ارتدوا وشاركوا مع المرتدين في حروبهم ضد المسلمين ضمن من ارتد من قبائل العرب وخاصة قبائل اليمامة والبحرين.

ومهما يكن فلم يثبت تاريخياً أن زعماء بني شيبان قد ارتدوا أو حملوا راية العصيان ضد الخلافة الاسلامية، بل ثبتوا على إسلامهم وحاربوا مع جيش المسلمين ضد المرتدين، وهذا ما جعل دورهم في الفتوح الإسلامية عظيماً ومشرفاً.

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج2، ص354.

المبحث الثاني

دور بني شيبان في الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب

فكرة تحرير العراق:

يلاحظ أن الاتجاه العام لعمليات التحرير خارج الجزيرة العربية كان نحو بلاد الشام منذ حياة الرسول ﷺ حيث تمثل ذلك الاتجاه بالغزوات أو السرايا التي قادها أو أرسلها ﷺ(1).

هذا الاتجاه لم نلاحظه علي جبهة العراق في حياة الرسول ﷺ فيمكننا أن نرجح سبب هذا الاهتمام بالشام إلي ما يلي:

أولاً: معرفة أهل الحجاز عموماً والرسول ﷺ خصوصاً ببلاد الشام من خلال اشتغالهم بالتجارة حيث أن الرسول ﷺ نفسه وطأت أقدامه أرض بلاد الشام مرتين وهو بين التاسعة والثانية عشرة من عمره(2) كما انه زارها في تجارة خديجة رضي الله عنها قبل زواجه منها(3)، وربما زارها أكثر كما كان جل تجارة أهل مكة مع بلاد الشام وقد أشار القرآن الكريم إلي ذلك في سورة الإيلاف. (الآية 2-3).

ثانياً: أن القبائل الحجازية كانت قد عاشت في رحم الإسلام وروحه منذ هجرة الرسول ﷺ من مكة إلي المدينة وربما كانت هذه الفترة (زمن عمر رضي الله عنه) كافية لتعميق

---

(1) انظر حول غزوات الرسول وسراياه، الواقدي،ج2 ص 440 فما بعد، بن هشام،ج3 ص 427169 فما بعد، الطبري، تاريخ، ج3 ص 30،32، أبن المسعودي: التنبيه والإشراف، ص23، المقدمي: ج4 ص 230،232، أبن الاثير: الكامل،ج2 ص 234 فما بعد، أبو الفدا: ج1 ص 148، أبن الوردي: ج1 ص128.

(2) الاصمعي: نهاية الارب، الورقة 174، ب، ابن سعد: ج1 ص120،121، المسعودي: مروج: ج2 ص 282، المقدسي: ج4 ص 137.

(3) ابن هشام: ج1 ص 203.

إيمانهم بالإسلام واستبدلت تعصبها القبلي إلي ولاء تام للأمة، مقرون بالتضحية في سبيلها ولعل عدم ارتدادها لخير دليل علي ذلك.

ثالثاً: كانت بلاد الشام خاضعة من الناحية السياسية للبيزنطيين الذين يدينون بالنصرانية، وقد أثر هذا الاتجاه الديني (النصرانية) روحياً في إحداث انكسار نفسي خطير لدي القيادة البيزنطية، إذ أجمع المؤرخون تقريباً علي أن قيصر، وربما المقصود به الحاكم البيزنطي في سوريا قد احترم رسول النبي ﷺ وهو دحية بن خليفة الكلبي، وتذكر المصادر أن هرقل اهتم بكتاب الرسول ﷺ إليه ورد عليه رداً طيباً، وآمن به، وانه طلب من قومه ذلك، لو لا موقفهم السلبي[1] الذي أدي إلي تراجعه كما نستشف من رده علي كتاب الرسول ﷺوالذي نصه (من قيصر ملك الروم إلى محمد بن عبد الله، جاءني كتابك مع رسولك وإني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسي بن مريم، وإني دعوت الروم إلي أن يؤمنوا بك فأبوا ولو أطاعوني لكان خيراً[2].

وإن كان من الصعب أن نقبل نص هذا الكتاب،إذ يفترض إيمان القيصر واعترافه بالنبي وهذا مخالف لما جاءت به الوقائع.

علي أن ابن خلدون ذهب إلي أبعد من ذلك فروي عن بن إسحاق أن القيصر بعد عدم موافقة قومه علي الإسلام طلب منهم أن يعطي الجزية للمسلمين فأبوا ثم عرض عليهم أن يصالحوا بأرض سوريا فأبوا ذلك[3].

---

(1) انظر حول موقف هرقل من الدعوة الإسلامية الواقدي: ج3 ص1019.

(2) اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص83،84، انظر حول رسول النبي إلي قيصر، أبن حبيب: المحبر، ص 75،76، المقدسي: ج4، ص 228.229، أيضا، أبن الاثير: الكامل،ج2، ص212، أبو الفدا: ج1، ص 141، ابن سيد الناس: م1، ص 84،85، أبن الوردي:ج1،ص 127.

(3) ابن خلدون: العبر، م2، ص789.

أما من ناحية العراق فنلاحظ:

أولاً: عدم معرفة أهل الحجاز عموما والقيادة العربية خصوصاً بمسالك العراق وأهله لضعف علاقاتهم التجارية، يدلنا علي ذلك أن الخليفة عمر ﷺ طلب من كعب الأحبار أن يصف له العراق حين هم بالتوجه إليه قبل انتداب سعد بن أبي وقاص لقيادة الجيوش العربية الإسلامية[1] في العراق.

ثانياً: أن قبائل شرق الجزيرة لم تعلن إسلامها إلا في عام الوفود (سنة 9هـ) وكان قد مضي علي الإسلام أكثر من (22 سنة) وذلك زمن طويل بالقياس إلي القبائل التي أسلمت في زمن مبكر وبعد الهجرة مباشرة وهذا ما يجعلنا نعتقد أن إسلامها ليس بعمق إسلام القبائل أنفة الذكر ودليلنا علي ذلك ارتداد اغلب هذه القبائل[2].

ثالثاً: كان العراق خاضعاً من الناحية السياسية لأسرة ساسانية لا تؤمن بالشرائع السماوية بل تدين بالمجوسية المناهضة للإسلام والمعادية لقيمه وأعرافه[3] ودليلنا علي ذلك موقف كسري من رسول ورسالة الرسول ﷺ إليه حين دعاه إلي الإسلام فحينها قرأ كتاب الرسول ﷺ غضب وزمجر وتجبر واعتبر ذلك إهانة له ومزق كتاب الرسول ﷺ المرسل بمعية عبد الله بن حذافة السهمي، علي أن الرسول ﷺ حينما وصله الخبر اكتفي بالدعاء إلي الله بتمزيق ملك فارس[4].

---

(1) المسعودي، مروج،ج2،ص 38.

(2) انظر حول عام الوفود، الطبري: تاريخ،ج3،ص 96 فما بعد.

(3) انظر حول ردة القبائل، المصدر نفسه ج3، ص 249 فما بعد.

(4) اليعقوبي: تاريخ، ج2 ص 83، انظر أيضا ابن حبيب: المحبر ص 77، المسعودي التنبيه والإشراف، ص 225، ابن الاثير: الكامل ج2،ص 213 فما بعد، ابن خلدون، العبر، م 2، ص 792، ابن الوردي:ج 1 ص127.

وقد تفسر لنا سورة الروم (30 الآية،1-2) موقف المسلمين العدائي الواضح من المجوسية[1].

وإذا أضفنا إلي ذلك تهيب المسلمين من قوة الساسانيين وجهتهم لظهر لنا جلياً سبب التوجه نحو بلاد الشام[2].

رابعاً: في الوقت الذي عاشت فيه قبائل الحجاز بعيدة عن النفوذ الأجنبي نجد النقيض لذلك عند قبائل شمال وشرق الجزيرة العربية إذ مارس النفوذ الفارسي ضرباً من السيادة علي بعض مناطق شرق الجزيرة وخاصة في الفترة التي أعقبت اغتيال النعمان بن المنذر ملك الحيرة من قبل كسري ابرويز وتوزيع التيجان من قبله علي اغلب رؤساء المناطق[3].

وعلي ضوء ذلك أفمن المنطق أن تتجه القيادة العربية الإسلامية نحو بلاد الشام أم نحو العراق ؟ بالتأكيد نحو الشام.

أذن كيف وجهت القيادة جيوشها نحو العراق بعد كل ما ذكر من العوامل الدافعة إلي التوجه نحو بلاد الشام.

---

(1) أنظر: ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج 5 ص341- 342، كذلك القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 14 ص 1-2، القرطبي: جامع البيان، ج21 ص16 -22، أبو نعيم: ص296 -297، المقدسي البدء والتاريخ، ج 4 ص158، أبن الأثير: الكامل ج1 ص479، أبن حيان: تفسير البحر المحيط، ج 7 ص161 -162، أبن خلدون: العبر، م 2 ص365، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1 ص135، وأنظر حول موقف المسلمين من المحبوسية كستر: ص9 فما بعد.

(2) أنظر حول تهيب المسلمين من جهة فارس وموقف بعض قبائل العرب كبجيلة والأزد من التوجه إلي العراق: البلادي فتوح البلدان: ص 253- 254، وأيضاً الدينور: ص114، أبن الطقطقي: ص78 حيث ذكر: (كان ثغر فارس من أثقل الثغور علي العرب وأعظمها في نفوسهم وأكثرهم هيبة، وكانوا يكرهون غزوه ويجنبون عنه استعظاماً لشأن الأكاسرة.

(3) أنظر: الفصل الخاص بنضال بني شيبان ضد الفرس.

من المعلوم عندنا أن القوة العربية الضاربة في ربوع العراق والتي عاشت حالة صراع دائم مع الفرس هي قوة بني شيبان بشكل خاص وبطون بكر الأخرى بشكل عام وحلفائهم وعلي وجه التحديد القريب للإحداث منذ انتصارها في ذي قار[1]، واستمر الحال كذلك إلي قدوم المثني بن حارثة الشيباني إلي الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ حينما أراد منه أن يجيزه بقتال الفرس فأجازه[2].

وعلي مر الزمن ولحد زيارة المثني لحكومة المدينة لم تتجه أية قوة عربية إسلامية من الحجاز باتجاه العراق وهذا ما جعل بني شيبان يتبنون قضية الوقوف بوجه الفرس والدفاع عن العراق.

واستمر الحال كذلك، أذا ما استثنينا قدوم خالد إلي العراق بقوة عربية الغرض منها في رأينا القيام بعمليات استطلاعية في العراق ثم لتكون مددا لجيش العرب في الشام القريب من العراق وليس هدفها المباشرة بعملية تحرير شاملة للعراق، إلي أن وهن أمر الفرس واضطربت أحوالهم، بحيث أصبحت الفرصة مواتية حسب تقديرات المثني للموقف للقيام بعملية تحرير شاملة، فتوجه المثني إلي حكومة المدينة واجتمع مع الخليفة الراشد (أبوبكر) وهو يحتضر وشرح له موقف الفرس المهزوز وهون له أمرهم، وطلب منه تقدم الجيوش نحو العراق فوافقه أبوبكر إلا أن المنية عاجلته فندب خلفه عمر بناء علي تأكيد الخليفة الراحل ﷺ الناس مع المثني فترددت أغلب القبائل في الذهاب إلي العراق فقام المثني فيهم خطيباً فقال:**(أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد تبحبحنا ريف فارس وغلبناهم علي خير شقي السواد وشاطرناهم ونلنا منهم وأجترأ من قبلنا عليهم ولها أن شاء الله ما بعدها)**[3].

---

(1) أنظر: الفصل الخاص بنضال بني شيبان ضد الفرس.

(2) أنظر المبحث الخاص بدور بني شيبان في حروب التحرير.

(3) الطبري: تاريخ، ج3، ص444-445، وأنظر أيضاً ابن الأثير: أسد الغابة، م5 ص59-60، ابن حبان: ج2 ص 199- 200.

فكان لهذه الخطبة أثر في أذكاء الروح الدينة الإسلامية عند القبائل فاقبل أفواج المتطوعين استعداداً للذهاب لنجدة المثني في العراق وتحرير أرضه[1].

وهكذا لعب بنو شيبان دوراً مهماً في توجيه القوة العربية الإسلامية من الحجاز نحو العراق وبذلك ساهموا مساهمة فاعلة في إنضاج فكرة الفتح قولاً وفعلاً.

دور بني شيبان في فتح أرض العراق:

لم يكن العراق وخاصة أطرافه المتاخمة للجزيرة العربية بغريبة علي بني شيبان، إذ كانوا يتاخمون العراق، وكثيراً ما شنوا الغارات علي أطرافه، كما وان معركة ذي قار وقعت عملياتها العسكرية في صحراء العراق بقيادة بني شيبان الذين كانوا في نزاع دائم مع الفرس[2].

ولم تكن معركة ذي قار إلا حافزاً لبني شيبان والعرب للإغارة علي الفرس والجرأة علي ممتلكاتهم واستمرت غاراتهم حتى أيام أبي بكر الصديق ﷺ[3].

ورأينا كيف أن المثني بن حارثة الشيباني سار في العام الحادي عشر للهجرة لمطاردة المرتدين حتى دخل جنوب العراق[4].

ولذلك فان قرب منازل بني شيبان من دول آلا ساسان بالإضافة إلي جولاتهم الاستطلاعية وغاراتهم القوية علي أطراف العراق، كانت عاملاً أساسياً في معرفة بني شيبان لمسالك العراق، وثغرات القوة والضعف فيها، وفي كيفية الدخول في صراع مع الفرس، فلا غرابة إذن في أن يكون بنو شيبان هم أول من ألف الحروب من العرب مع العجم[5].

---

(1) أنظر المبحث الخاص بدور بني شيبان في عمليات التحرير.

(2) غلوب، الفتوحات العربية الكبرى، ص 199 – 200.

(3) البلاذري: فتوح، ص242، ابن خلدون: العبر، م 2 ص887 – 888.

(4) أنظر: المبحث الخاص بمواقفهم السياسية مع الخلافة الراشدة.

(5) ابن اعثم: ج 1 ص88.

توجه المثني إلي المدينة المنورة:

تم القضاء علي حروب الردة واستقرت الأوضاع في الجزيرة العربية، وبنو شيبان بقيادة المثني بن حارثة لازالوا يمارسون دورهم في الصراع ضد الفرس بدون إشراف مباشر من حكومة المدينة.

ولما سمع الخليفة الراشد أبو بكر بخبر بني شيبان بقيادة المثني علي الفرس قال للمسلمين (ويحكم من هذا الذي تأتينا أخباره ووقائعه قبل معرفة خبره؟ قال: فوثب قيس بن عاصم النقري فقال: يا خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم، هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول الحسب ولا بقليل العدد والمدد، هذا المثني بن حارثة الشيباني[(1)].

أقبل المثني بن حارثة الشيباني إلى المدينة بغية الحصول على تصريحة منها للمباشرة بعملية تحرير العراق تحت إشرافها، فاتصل بالخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ فقال له: (يا خليفة رسول الله استعملني على من أسلم من قومي أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس)[(2)] فأجازه أبو بكر ﷺ بقتال الفرس[(3)]. وكانت قوته مؤلفة من ثمانية آلاف مقاتل من بني شيباني وربما من بكر[(4)]. إلا أن المصادر لم تذكر بأن الخليفة زوده بجند أو مال.

---

(1) ابن اعثم: ج 1 ص89، ابن عبد البر، ق4 ص1456 –1457، ابن خلدون: العبر، ص 882–883.

(2) البلادري: فتوح، ص242، أيضاً أبن أعثم، ج 1، ص89، الطبري: تاريخ، ج 3 ص344، رواية عن أبي مخنف.

(3) ابن أعثم: ج 1، ص89، ابن الأثير: الكامل، ج 2 ص385.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج 2 ص384، ابن عبد البر: ق4 ص1456.

الموقف على جبهة العراق بعد رجوع المثنى الشيباني:

وعند رجوع المثني بن حارثة الشيباني من الحجاز قاد بني شيبان، وبدأ غاراته على الفرس في المنطقة القريبة من الكوفة فلم يترك للفرس (سارحة ولا رائحة إلا استاقها)[1] واستمرت غاراته على هذه الحالة عاماً كاملاً أو أكثر[2].

ولم يكتف المثنى بما قال به بنو شيبان من غارات على الفرس في تلك الناحية، بل دعا البكريين إلى ذلك فروى أنه دعا ابن عم له يقال له سويد بن قطبة السدوسي أو قطبة بن قتادة السدوسي، فضم إليه جيشاً ووجهه لقتال الفرس من ناحية الابلة وما يليهم من الفرس[3].

واستمر قتال بني شيبان للفرس من جهة الحيرة بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني يعاونه قطبة السدوسي من ناحية الابلة[4]، بدون هوادة، مما أثر ذلك تأثيراً كبيراً على معنويات الفرس وزرع الرعب في قلوبهم، فحشدوا لهم أعداداً هائلة من جيوشهم[5] الأمر الذي اضطر المثنى بن حارثة الشيباني إلى إرسال أخيه مسعود بن حارثة إلى دار الخلافة طالباً منها لمواجهة قوة الفرس، فأمده أبو بكر ﷺ بخالد بن الوليد[6].

---

(1) ابن أعثم: ج 1ص 90.

(2) ابن أعثم: ج 1ص 90.

(3) الطبري: تاريخ، ج 3 ص593.

(4) الطبري: تاريخ، ج 3 ص593، الدينوري، ص111.

(5) ابن أعثم: ج 1 ص90.

(6) العسقلاني: ج 3 ص 361 – 362.

مسير خالد إلى العراق:

صدرت الأوامر إلى خالد بن الوليد بالتقدم إلى العراق حسب الخطة التي رسمتها القيادة الإسلامية لتحريره[1]، وهو باليمامة بعد أن قضى على ردتها[2].كانت خطة الخليفة أبي بكر لتحرير العراق يتضمنها كتابه الموجه إلي خالد (كتب أبو بكر إذ أمره علي حرب العراق إن أدخلها من أسفلها. وإلي عياض إذ علي حرب العراق أن يدخلها من أعلاها، ثم يستبقا إلي الحيرة، فأيهما سبق إلي الحيرة فهو الأمير علي صاحبه، وقال: إذا اجتمعنا بالحيرة، وقد فضضتما مسالح فارس، وأمنتما أن يوُتى المسلمون من خلفهم، فل يكن أحدكما رداء للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الأخر علي عدو الله. وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم، المدائن.[3]

واختلف في الطريق الذي سلكه خالد إلى العراق، فقيل أنه سار من اليمامة إلى العراق[4] وقيل بل سار من اليمامة إلى المدينة ثم من هناك إلى العراق والراجح أنه توجه من اليمامة إلى العراق عن طريق الابلة لقصر المسافة.

سار خالد بن الوليد إلى العراق، ونزل في منطقة النباج[5]. بجيش عربي إسلامي، يحب الموت كما أحب الفرس الحياة[1]. وكان لابد من اللقاء بالمثنى بن

---

(1)الطبري: تاريخ، ج 3، ص347، وأنظر أيضاً حول خطة أبي بكر لتحرير العراق: الهاشمي: طه: خالد بن الوليد في العراق: ص 231، فما بعد، مجلة المجمع العلمي العراق: م 2، ج 2 سنة 1955م.

(2) وحول عمليات خالد العسكرية في العراق: الهاشمي: ص 231 –269.

(3)أبن الأثير: الكامل، ج 2 ص 384.

(4) أنظر الطبري: تاريخ، ج 3 ص 343، عن الواقدي، وأنظر أيضاً:

- أبن خلدون: العبر، م2 ص 887.
- أبن الكازوروني: ص 63.

(5) قال أبو منصور وفي بلاد العرب نباجان أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر وهو بحذاء فيد والآخر نباج بني سعد بالقريتين وقيل النباج بين مكة والبصرة ونباج أخر بين البصرة واليمامة بينه وبين اليمامة غبان لبكر بن وائل والغب مسيرة يومين، وقال أبو عبد الله السكوني النباج من البصرة على عشرة مراحل وثيتل قريب من النباج وقيل (قرية في بادية البصرة على النصف من طريق البصرة إلى مكة).

حارثة الشيباني الذي اتخذ خفان[2] معسكراً لجنده[3]. وأرسل الخليفة الصديق إلى المثنى بن حارثة الشيباني كتابا بتوجه خالد صوب العراق ويأمره باستقباله وتقديم الطاعة له، فكانت فرحة الشيبانيين كبيرة بمدد الحجاز، فجمعهم المثنى بن حارثة الشيباني وخطب فيهم قائلاً (بكامل التعظيم والتكريم بلغتنا رسالة الصديق، وبمجيء خالد ستكون البشرى، فعلينا التريث حتى مجيء خالد)[4].

معركة ذات السلاسل (محرم 12هـ - آذار 633م):

ومن النباج كتب خالد إلى المثنى بالالتحاق به فانفض إليه مسرعا حتى لحق به[5].

ويبدو أن المثنى بن حارثة كان متلهفاً للقاء خالد، وأنه في لقائه معه، قدم له وصفاً جغرافياً عاماً ودقيقاً لطبيعة المنطقة لخبرته وقومه شيبان بها، ويظهر أيضاً أنهما اتفقا معاً ما ينبغي أن يعملاه للمباشرة بعملياتهم العسكرية.

وبعد أن اكتملت تعبئة الجيش العربي الإسلامي الذي وزعه خالد إلى أربع فرق[6]، زحف من النباج إلى الحفير[1]، تتقدمه فرقة بني شيبان بقيادة المثني بن

---

(1) ابن سلام: الأموال، ص 42.

(2) خفان: موضع قرب الكوفة وفوق القادسية: ياقوت: معجم، ج2 ص 456.

(3) الطبري تاريخ، ج3 ص 344 – 345، في رواية عن هشام وأبي مخنف.

(4) ابن أعثم: ج1 ص 91، (النص هنا بالفارسية).

(5) ذكر هشام وأبو مخنف: أن بني عجل زعمت (أنه كان خرج مع المثني بن حارثة رجل منهم يقال له مذكور بن عدى، نازع المثنى بن حارثة فتكاتبا إلى أبي بكر. فكتب أبو بكر إلى العجلي يأمره بالمسير مع خالد إلى الشام. وأقر المثني على حاله) انظر: الطبري: تاريخ، ج 3، ص 345.

(6) وزع خالد جيشه إلى الفرق التالية (فرقة بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني ودليله ظفر، وفرقة بقيادة عدي بن حاتم ودليله سالم بن نصر، وثالثة بقيادة عاصم بن عمرو ودليله مالك بن عبادة، والفرقة الرابعة بقيادة خالد نفسه ودليله رافد، انظر: الطبري: تاريخ، ج3 ص 397).

حارثة الشيباني التي وصلت هدفها قبل الفرق الأخرى بيومين[2]. ويبدو أن إرسال فرقة المثني كان لأغراض استطلاعية لمعرفة موقف العدو العسكري قبل وصول القوات الأخرى، ولعدم كشف القوة العربية إذا ما سارت دفعة واحدة نحو هدفها.

وبعد تكامل الحشود الإسلامية بوصول الفرق الأربع أرسل خالد إلى القائد الفارسي هرمزد أن يختار واحدة من ثلاث بعد أن كتب له كتاباً قال فيه (اسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة، وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك. فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)[3].

وبدلاً من الاستجابة لمطالب المسلمين، عبأ هرمزد قواته وجعل علي ميمنته وميسرته قباذوانوشوجان، واستعد لدخول المعركة بعد أن قيد جنده بالسلاسل[4]، لتخوفه من هروبهم أمام قوة العرب المسلمين العادلة.

بدأ القتال بين الطرفين في معركة حامية عند كاظمة[5]، وأبلي فيها المسلمون بلاء حسناً، قتل خلالها قائد الفرس هرمزد، ولم تتمكن الحشود الفارسية من الصمود بعد ذلك والوقوف أمام القوات الإسلامية الضاربة، فولت مدبرة، وتبع المسلمون فلولهم، وأوكلت مهمة متابعة فلولهم إلى المثني بن الحارثة الشيباني[6]، الذي عرف

---

(1) الحفير: ماء لباهله بينه وبين البصرة أربعة أميال، ياقوت: معجم ج2 ص 297.

(2) الطبري: تاريخ، ج3 ص348، ابن خلدون: العبر: م2 ص887 – 888.

(3) ابن سلام: ص 42.

(4) الطبري: تاريخ، ج3 ص 347–348.

(5) كاظمة: موضع على ساحل الخليج العربي في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان. ياقوت: معجم، ج4، ص228، وقيل مسير يومين من البصرة، اليعقوبي: البلدان، ص 79.

(6) الطبري: تاريخ، ج3 ص 347–348، ابن الأثير: الكامل ج2، ص 385.

بحزمه وشجاعته وعبقريته في مقارعة الفرس[1]فتابع شراذمهم وتبع فلولهم التي ولت هاربة أمامه[2]. وبعث خالد إلى أبي بكر بأخبار النصر والأخماس[3].

وبينما تقدم خالد نحو البصرة وعسكر في منطقة المجر الأعظم استمر المثني بزحفه نحو مسالح الفرس حتى انتهي إلى النهر وحاصر حصنه، وحينما أدرك مناعته، ترك أخاه المعني بن حارثة الشيباني لمحاصرته ومضي هو إلى حصن الرجل فحاصره ثم حرره واستنزل من به عنوة فقتلهم واستفاء أموالهم. ولما علمت المرأة بسقوط حصن الرجل استسلمت وصالحت المثني وأسلمت فتزوجها أخوه المعني بن حارثة الشيباني[4].

معركة المذار (صفر 12هـ - 17 نيسان 633م):

وبينما كانت قوات بني شيبان تطارد فلول الفرس المنهزمة أمامهم، من بقايا معركة ذات السلاسل تجمعت قواتهم وفلولهم مرة أخري في المذار[5] بقيادة قارن الذي أرسله كسرى لتعزيز قوة هرمز، ولكنه حينما سمع بهزيمة هرمز، جمع الفلول المنكرة مع ما جاء به من مدد وجعل على ميمنته قباذ وعلى ميسرته أنوشجان واستعد للقاء المسلمين[6].

---

(1) العسقلاني: ج3 ص 361-362.

(2) الطبري: تاريخ، ج3 ص 349 عن سيف .

(3) الطبري: المصدر نفسه، ج3 ص 349.

(4) المصدر نفسه: ج3، ص 349.

(5) المذار: موضع في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينهما وبين البصرة مقدار 4 أيام، ياقوت، معجم، ج4، ص468.

(6) الطبري: تاريخ، ج3 ص 351، السري عن شعيب عن سيف.

حينما علم المثني والمعني الشيبانيان بخبر تجمع الفرس في المذار أسرعا وأرسلا بخبرهم إلى خالد بن الوليد[1]. فتقدم خالد نحو عسكرهم.

التقي الجيشان الإسلامي والفارسي في معركة حامية أنتهت بهزيمة الفرس هزيمة منكرة بعد أن قتل قادة الفرس قارن وقباذوأنوشوجان وقتلت الفرس مقتلة عظيمة بحيث لم يفلت منهم إلا (عراة أو أشباه العراة)[2] وكذلك فعلوا بهم في معركة الولجة في 22 صفر 12هـ - 3 أيار 633م[3].

وبتعاون مثمر بين القائدين خالد والمثني وبمداهمة من المثني إلى مسلحة أليس اضطر حاكمها جابان من طلب المصالحة مع المسلمين واشترط عليه أن يكون أهل أليس عيوناً وأدلاء للمسلمين[4].

صلح الحيرة:

لم يكن النصر الذي أحرزه المسلمون في المعارك السابقة إلا مقدمة لمداهمة العدو في مراكز السيطرة الفارسية الأساسية المتمثلة بالحيرة والمدائن والتي تحكم السيطرة على الأطراف، فكان سحق المسالح أنفة الذكر مقدمة ترهيبية للفرس الغرض منها كسر شوكتهم وتقويض أنفتهم وتعزيز معنويات المقاتل العربي للانقضاض بقوة لطرد الغزاة المتجبرين من أرض العراق بحكم المبادئ الجديدة.

فبعد أن تم تحرير امغيشية في (28 صفر 12 هـ - 14 أيار 633م) بدون قتال، كان من الطبيعي أن تتقدم الجيوش المسلمة نحو الحيرة[5].

---

(1) المصدر نفسه: ج3 ص 351.

(2) المصدر نفسه: ج3، ص352.

(3) لم يرد دوراً لبني شيبان في معركة الولجة، أنظر الطبري: تاريخ، ج3 ص 353 فما بعد.

(4) البلاذري: فتوح البلدان، ص 245، خليفة بن خياط: ج1 ص 100-101.

(5) أنظر حول تحرير أمغيشيا، الطبري: تاريخ، ج3 ص 238.

لقد أدرك مرزبان الحيرة بعد أن حققت القوات العربية الإسلامية انتصارها وسحقها للمصالح الفارسية أنفة الذكر، أن المواجهة القادمة ستكون معه لذلك تهيأ لقتال المسلمين. فعبأ قواته بفرقتين فارسيتين قاد هو أحداهما وقاد الثانية أبنه الذي سرعان ما لقي حتفه بخطة مباغتة من خالد عند فم فرات بادقلي[1].

وبعد أن علم المرزبان بمقتل ابنه وموت الملك الفارسي اردشير هرب من مجابهة الجيش المسلم وبقيت الحيرة بدون مقاومة فارسية[2].

عسكر خالد بعد هروب ازاذبة في مكان معسكره بين الغريين والقصر الأبيض، وتحصن أهل الحيرة داخل أسوارها[3]. وبخطة رائعة قسم خالد قواته إلى أربعة فرق كل فرقة أوكلت لها مهمة محاصرة قصر من قصور الحيرة الأربعة، وكانت مهمة بني شيبان بقيادة المثني بن حارثة محاصرة قصر ابن بقيلة وبعد مقاومة فاشلة ابداها أصحاب القصور وتحت ضغوط شديدة من سكان الحيرة، طلب أصحاب القصور الصلح من المسلمين وقيل أن أول من طلب الصلح عمرو بن بقيلة من المثني الشيباني[4].

صالح خالد أهل الحيرة بعد استسلامها وقبول أهلها الجزية علي مائة ألف درهم عن كل سنة وارسل بخبر تحريرها وما صالحهم عليه من مبالغ إلى الخليفة الراشد أبي بكر ﵁[5].

---

(1) الطبري: تاريخ، ج3 ص 238.

(2) الطبري: تاريخ، ج1 ص 238، أيضاً: ابن الأثير: الكامل، ج2، ص 290.

(3) الدينوري: ص 111-112.

(4) الطبري: تاريخ، ج3 ص 361، رواية عن السري عن شعيب عن سيف.

(5) الدينوري: ص 111-112، ابن سعد: ج7 ص 396، أنظر أيضاً الطبري: تاريخ، ج3 ص 361 فما بعد، وذكر اليعقوبي أن صلح الحيرة تم على سبعين ألفاً، اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص 137، أما ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 391-392، وذكر ابن البطريق إن الصلح تم على سبعين ألف درهم: ابن البطريق: ص9 وأنظر أيضاً ابن حبان: ج2، ص182-183.

وبعد أن استقرت أوضاع العرب المسلمين في الحيرة عين خالد أمراء الثغور لضبط الأراضي المحررة في السيب ولشن الغارات على الفرس والتوغل في أرض العراق بعمق كبير، فمخروا السواد إلى ما وراء الفرات حتى شاطئ دجلة، ولم يبق للفرس أي نفوذ فيما بين الحيرة ودجلة[1].

وعين المثني بن الحارثة الشيباني علي أحد الثغور باتجاه المدائن[2] ومن هناك وبتعاون مع قائده خالد نجحت غاراتهم ووجه خالد المثني بن حارثة الشيباني إلى تجمع معاد من قضاعة وبكر وشتتهم، حتى دوخ أهالي مسكن[3] وقطربل[4] وتل عقرقوف[5]وبادوريا[6] بغاراته[7].

وكان لغارات المثني بن حارثة الشيباني في تلك المناطق أثر كبير في زرع الرعب في نفوس الفرس، وشجعت المسلمين بعد تهيب كبير من ملاقاتهم والاستهانة بهم كما في قول الشاعر:

وللمثني بالعال معركة * **شاهدها من قبيله بشر**

كتيبة افزعت بوقعتها * **كسري وكاد الإيوان ينفطر**

وشجع المسلمين إذا حذروا * **في صروف التجارب العبر**

سهل نهج السبيل فاقترفوا * **آثاره والأمور تقتفر**[8]

---

(1) الطبري: تاريخ، ج3 ص 369.

(2) الطبري: تاريخ، ج3 ص373.

(3) مسكن: موضع على نهر دجيل، ياقوت: معجم، ج4، ص 529.

(4) قطربل: موضع بين بغداد وعكبرا، وهناك موضع أخر في ديار بكر يحمل نفس الاسم مقابل مدينة آمد، ياقوت: معجم، هـ4،ص133-135.

(5) تل عقرقوف: قرية من نواحي نهر عيسي ببغداد، ياقوت: معجم، ج1، ص 867.

(6) بادوريا: طسوج من كورة الاستان في الجانب الغربي من بغداد.
ياقوت: معجم، ج1، ص460.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج2، ص400.

(8) ابن الأثير: الكامل، ج ص 400.

المثني قائد عام لقوات تحرير العراق:

صدرت الأوامر إلى خالد بن الوليد من الخليفة أبي أبكر الصديق ﷺ بالتوجه إلى الشام لدعم وتعزيز القوات الإسلامية ضد البيزنطيين[1].

وأمره الخليفة أبو بكر أن يأخذ نصف القوة التي معه في العراق ويبقي النصف الأخر على أن (لا يأخذون من فيه نجدة إلا ويترك عند المثني مثله)[2] ويبدو أن خالدا استأثر بأصحاب الرسول ﷺ فالتحقوا معه ولم يبق مع المثني من له صحبة، الأمر الذي جعل المثني يعترض عليه وأصر على تنفيذ أمر الخليفة فنزل خالد عند رغبته وأرضاه[3].

ودع المثني بن حارثة الشيباني القائد خالد بن الوليد في قراقر، ثم رجع المثني إلى الحيرة[4].

ومن المعلوم أن مهمة المثني بعد رحيل خالد أصبحت صعبة، ومسؤوليته كبيرة، إذ أصبح عليه واجب مضاعف، أولهما أن يحافظ على الأراضي المحررة في خطته الجديدة، وثانيهما الاستمرار في إنجاز خطة التحرير في ظل المبادئ التي حكمها الدين الجديد.

وكان المثني أهلاً لهذه المسؤولية فلم يصب بالغرور بعد كل الانتصارات السابقة على الفرس، كما وأنه لم يغتر بمنصبه الجديد، فعند رجوعه إلى الحيرة بعد

---

(1) الطبري: تاريخ، ج3 ص 415، عن ابن اسحق، المقدسي ج 5 ص 166.

(2) الطبري: تاريخ، ج3 ص 411، ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 407.

(3) الطبري: تاريخ، ج3 ص 411، ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 407.

(4) الطبري: تاريخ، ج3 ص 411، رواية عن السري عن شعيب عن سيف.

وداع قائده، وضع في المسلحة التي كان أميراً عليها أخاه المعني الشيباني ثم نظم الحاميات الإسلامية واستعد استعداداً كاملاً لملاقاة الفرس[1].

معركة بابل (اواخر ربيع الأول 13هـ - أواخر أيار 634م):

ظن الفرس بعد رحيل خالد أن موقف الجبهة الإسلامية أصبح ضعيفاً وكعادتهم في زج الآلاف من البشر دون التفكير بمصيرهم حشد الفرس جيشاً كبيراً[2] عليهم القائد الفارسي هرمز جاذوية قدر بعشرة ألف مقاتل يتقدمه فيل. وكتب أمراء المسالح إلى المثني بخبر تحشد الفرس، وخرج المثني من الحيرة نحو حشود الفرس بعد أن ضم إليه المسالح ونظم جيشه فجعل علي ميمنته أخاه المعني الشيباني وعلى ميسرته أخاه الأخر مسعودا واتخذ معسكره في بابل[3].

وأقبل جيش الفرس بقيادة هرمز جاذوية وعلي ميمنته الكوكيد وعلى ميسرته الخركبذ وكعادتهم الاستهانة بالأمور كتب هرمز إلى المثني بن حارثة الشيباني (من شهر براز إلى المثني، إني قد بعثت إليك جندا من وخش أهل فارس، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير وليت أقاتلك إلا بهم)[4].

فأجاب المثني على غرور الفرس وعنجهيتهم (من المثني إلى شهربراز إنما أنت أحد رجلين إما باغ فذلك شر لك وخير لنا، وإما كذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس والملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي، فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد الله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير)[5].

---

(1) الطبري: تاريخ، ج3 ص 411، رواية عن السري عن شعيب عن سيف.

(2) ابن اعثم: ج1 ص 161.

(3) الطبري: تاريخ، ج3، ص411- 412، أنظر أيضاً ابن اعثم: ج1، ص161.

(4) الطبري: تاريخ، ج3، 411-412، ابن الأثير، الكامل، ج2، ص415.

(5) الطبري: تاريخ، ج3، ص 411 -412، ابن الأثير، الكامل، ج2، ص415.

وكان لجواب المثني على رسالة هرمز وقع كبير على الفرس وعظيم فارس حتى أنهم اتهموا هرمز بالشؤم وقالوا له (جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم)[1]

وتقدمت جحافل الفرس يتصدرها فيل ضخم ارهب خيول العرب وأربكها فعالج المثني بن حارثة الشيباني أمره بنفسه فاستل سيفه وقتله بعد أن قطع خرطومه، وعلى الرغم من ضراوة المعركة إلا أن الفرس لم يصمدوا بعد مقتل الفيل طويلا، إذ سرعان ما ولت فلولهم هاربة، وقواتالمسلمين تلاحقهم حتى وصلوا بهم إلى المدائن ثم عادوا[2]، وفي ذلك يقول الفرزدق:

وبيت المثني عاقر الفيل عنوة ببابل إذ في فارس ملك بابل[3]

ويبدو أن هذا الانتصار الرائع الذي حققه الشيبانيون ومن معهم من العرب والمسلمين بقيادة المثني بن حارثة الشيباني قد نبه المسئولين من حكام الفرس، وادركوا أن الملاحم البطولية التي انتصر فيها العرب، ليست بالغارات العابرة والتقليدية كما كانت في الفترات السابقة للإسلام. وإنما هي معارك من طراز جديد تحكمها المبادئ الجديدة، وسيكون لها نتائجها الكبيرة والخطيرة عليهم، والتي ستغير مجري التاريخ، فراحوا يتأهبون لمعارك فاصلة غير التي الفتها حشودهم السابقة.

أما من جانب المسلمين فقد أدرك المثني بن حارثة الشيباني أن تحرير العراق، وطرد النفوذ الفارسي من أرضه العربية في معارك قادمة يحتاج إلى تقوية جيشه وتغذيته بدماء جديدة، فقصد الحجاز سراً بعد أن خلف على المسلمين بشير بن الخصاصية، وقابل الخليفة الراشد أبا بكر ﷺ وهو على فراش الموت، وأوضح له موقف المسلمين، وموقف الفرس المهزوز، بعد موت كسرى شهبراز وما ترتب عنه

---

(1) الطبري: تاريخ، ج3، ص 411 –412، ابن الأثير: الكامل، ج2، ص415.

(2) الطبري:تاريخ، ج3، ص 412.

(3) الفرزدق: ديوانه، ج، ص112.

من اضطراب أمرهم حول من يتولى عرش فارس، وأقنعه بان الفرصة مواتية لإرسال جيش كبير يضطلع بمهمة التحرير، فاهتم أبو بكر ﷺ برأي المثني وأرسل إلى عمر ﷺ وخاطبه (فإن أنا مت فلا تسمين حتى تندب الناس مع المثني وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثني ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت)[1].

دورهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ:

توفي الخليفة الراشد أبو بكر من يومه، وقام عمر فندب الناس مع المثني لقتال الفرس فتثاقلوا ذلك، لما كان يحسب لجيوش فارس من حساب، ولما رأي المثني ذلك قام فيهم خطيباً وقال: (أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبجبحناريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم ونلنا منهم، واجترأ من قبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها)[2].

وكان لخطبة المثني وتهوينه أمر فارس تأثير كبير على إقبال الناس للجهاد فما إن قام عمر بعد المثني خطيباً محفزا الناس على الجهاد نادباً إياهم للطوع حتى أقبل ألاف المتطوعين، وأمر عليهم عمر ﷺ أول المتطوعين أبا عبيد بن مسعود الثقفي،

---

(1) الطبري: تاريخ، ج3، ص 414، أيضاً ابن الأثير، الكامل، ج2، ص416، ابن خلدون، العبر، م2، ص 906-907، وذكر ابن أعثم، أن المثني بن حارثة وفد المدينة في خلافة عمر ﷺ، انظر: ابن الأعثم، ج1، ص163-164.

(2) الطبي: تاريخ، ج3، ص 444-445، السري عن شعيب عن سيف باسنادهما، أيضاً: ابن حبان: ج2، ص 199-200، ابن الأثير: أسد الغابة، م5، ص 59-60.

ولم تأب نفس المثني من الانضمام تحت لوائه والعمل بإمرته تحقيقاً للهدف المشترك في تحرير الأرض ونشر الرسالة[1].

العمليات العسكرية قبل الجسر:

خرج أبو عبيدة من المدينة إلى العراق قائداً لأربعة ألاف من المهاجرين والأنصار ومعه سعد بن عبيد، وسليط بن قيس[2]. وعند قدوم أبي عبيد إلى العراق، استقرت الأوضاع الداخلية لبلاد فارس، وانتهي صراع العرش باعتلاء بوران بنت كسري التي جعلت من رستم أحد دهاقين الفرس قائداً لحربها[3].

أما المثني الشيباني فإنه وصل الحيرة قبل وصول أبو عبيد بشهر فأقام بالحيرة خمسة عشرة يوماً، وكان الفرس طيلة فترة غياب المثني مشغولين بتصفية حساباتهم الداخلية والتي في مقدمتها اختيار من يتولى عرش فارس[4] وربما كان لهذا أثر في عدم شن الفرس هجوماً علي المسلمين خلال فترة غياب المثني.

واستعد الفرس استعداداً كاملا لملاقاة المسلمين، فكتب رستم إلى دهاقين السواد بالتمرد على المسلمين، وأمر على كل رستاق رجلاً يثور بأهله، فبعث جابان إلى البهبقاد الأسفل وبعث نرسي إلى كسكر، وأرسل قوة لمجابهة المثني بن حارثة[5].

ويبدو أن رستم أراد من وراء خطته هذه إرباك القوات الإسلامية المنتشرة علي المسالح من خلال تعدد بؤر التمرد، فلما أدرك المثني بن حارثة الشيباني ذلك، أمر بانسحاب مسالحه وضمها إليه، وأخذ يرتب الأوضاع بحذر تام وحين زحف

---

(1) الطبي: تاريخ، ج3، ص 444-445، ابن خلدون: العبر، م2، ص 907.

(2) ابن أعثم: ج1 ص 165، أيضاً الطبري : تاريخ، ج3 ص 446.

(3) الطبري: تاريخ، ج3 ص 446-447، ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 434.

(4) الطبري: تاريخ، ج3 ص 447-448، ابن الأثير: الكامل ج2 ص 434-435.

(5) الطبري: تاريخ، ج3 ص 448-449، ابن الأثير: الكامل ج2 ص 434-435.

جابان إلى النمارق[1]، وتمردت الرساتيق الفارسية على طول نهر الفرات، انسحب المثني إلى خفان لكي لا يؤتي من خلفه بشيء يكرهه إلى أن أقدم إليه أبو عبيد[2].

وبعد استراحة في خفان عبأ خلالها أبو عبيد جيشه، فجعل المثني على الخيل وعلى ميمنته والق بن جيدارة وعلى ميسرته عمر بن الهيكم بن الصلت بن السلمي، ثم تقدمت جموع المسلمين إلى حشود الفرس بالنمارق التي استعدت للحرب بقيادة جابان يساعده القائدان الفارسيان جشنسومردانشاة[3].

بدأت المعركة بقتال شديد أبلي فيه المسلمون بلاء الأبطال وصمدوا صمود المقاتلين المؤمنين الأفذاذ، الأمر الذي أدي إلى هزيمة الفرس واسر قائدهم جابان ومقتل مساعده مردانشاة[4]. وولت جموعهم إلى كسكر[5]. يبغون الحماية من نرسي حاكمها الفارسي[6].

وقد اثر انتصار بني شيبان والمسلمين تأثيراً كبيراً على معنويات الفرس ملكاً وشعباً فأرسلوا إلى نرسي بشحنة تشجيع أن (اشخص إلى قطيعتك فاحميها من عدوك وعدونا وكن رجلاً)[7] ولم يكن الرجل اسعد حظاً ممن سبقه، فصدرت الأوامر إلى

---

(1) النمارق: موضع قرب الكوفة من أرض العراق نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق فقال المثني بن حارثة الشيباني: غلبنا على خفان بيداً وشيخة إلى النخلات السمر فوق النمارق. أنظر: ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص 812.

(2) الطبري: تاريخ، ج3 ص 448–449، ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 434–435.

(3) الطبري: تاريخ، ج3 ص 448–449.

(4) المصدر نفسه ج3 ص 448–449.

(5) كسكر: موضع بين الكوفة والبصرة قصبتها خسرو سابور وعندما مصر الحجاج واسط أصبحت واسط قصبتها: ياقوت: معجم، ج4 ص274.

(6) الطبري: تاريخ، ج3 ص 450.

(7) الطبري: المصدر نفسه ص 450.

المثني بن حارثة الشيباني بملاحقة من قصد نرسي من فلول الفرس الهاربة ليدخلهم عسكر نرسي وهم مدحورين، أو يبيدهم فيما بين النمارق إلى بارق ودرنا[1].

وبينما كانت قوات بني شيبان تلاحق المذعورين الفرس، قصد أبو عبيد معسكر نرسي جنوب كسكر، وبخطة محكمة بين القائدين أبو عبيد والمثني تقدم فيها المثني بن حارثة الشيباني على تعبئته في بني شيبان التي قاتل بها جابان، وتقدما بهجوم خاطف في السقاطية[2] (12 شعبان 13هـ 11 ت 634م) نحو قوات نرسي قاتلوهم فيها قتالاً شديداً شهدته صحاري ملس، لم يكن بعده أمام الفرس إلا أن يلوذوا بالفرار جنداً وقائداً يجرون أذيال الهزيمة بعد أن كانوا ينتظرون مدد الجالينوس الذي أرسل لمساعدتهم فخذل كما خذل أصحابه بعد وصوله مباشرة[3].

لم يترك الشيبانيون قوات الفرس المنهزمة، وإنما لاحقهم المثني بن حارثة الشيباني إلى باروسما فحررها وسير الكثير من أهل القرى المجاورة وخاصة زندوردوبسوسيا[4]. وحينما اثخن سيف المثني وبنو شيبان فيهم خرج إلى المثني اثنان من دهاقين الفرس وهم فروخ حاكم باروسماوفرنداذ حاكم نهر جوبر طالبين الصلح منه فأرسل إلى أبي عبيد فقبل صلحهم. ولم يكن استسلام هذين الدهاقين إلا خوفاً ومهابةً من القوة المسلمة بعد ما رأوا اكتساحهم لويلاتهم العديدة[5].

---

(1) المصدر نفسه ج3 ص 450.

(2) السقاطية: ناحية بكسكر من أراضي واسط ياقوت، معجم، ج3 ص 100.

(3) خليفة بن خياط: ج1 ص 108-109 ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 436-437.

(4) الطبري: تاريخ، ج3 ص 450-451 .

(5) المصدر نفسه، ج3، ص 451 452.

معركة الجسر[1]:

بعد هزيمة الفرس، عين رستم قائداً جديداً هو بمهن جاذويه فقاد جيشاً قوامه ثمانين ألف مقاتل وعدد من الفيلة عليهم رماة السهام[2].

تقابل الجيشان في قس الناطف، يفصل بينهما نهر الفرات وجانبهما جسر صالح للعبور[3].

أرسل بهمن جاذوية إلى أبي عبيد (أما أن تعبروا إلينا... وأما أن تدعونا نعبر إليكم)[4] وكان رأي أبي عبيد العبور إليهم فقال له المثني بن حارثة الشيباني: (أيها الأمير لا تقطع هذه اللجة، فتجعل نفسك ومن معك عرضا لأهل فارس)[5] وأشار عليه سليط بن قيس بمثل ما أشار عليه المثني بن حارثة فاتهمه بالجبن فقال له المثني (والله ما جبن ولكن أشار عليك بالرأي فإياك أن تعبر إليهم فتلقي نفسك وأصحابك وسط أرصهم فتنشب بك مخاليبهم)[6].

رفض أبو عبيد مشورة أصحابه وقال (لا يكونون أجرأ على الموت منا، بل نعبر إليهم)[7] وأمر بالعبور فأدار عليهم الفرس رحي حرب شديدة لم يجد المسلمين فيها متسعاً للكر والفر، وهو أمر طالما تعودوا عليه في حروبهم وذلك لضيق ساحتهم

---

(1) يقال لها أيضاً القس وقس الناطف والجسر والمروحة ووقعت القرقس أنظر الطبري: ج3 ص 454.

(2) ابن اعثم : ج1 ص 166 -177 وذكر خليفة بن خياط، ج1 ص109، عدد قوات الفرس إثنى عشر ألفاً.

(3) ذكر البلاذري أن الجسر كان قديماً لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضياعهم فاصلحه أبو عبيد بعد أن كان معتلاً مقطوعاً. البلاذري: فتوح البلدان، ص252، أما ابن أعثم فذكر أن أبا عبيد عقد الجسر بواسطة رجل من دهاقين الفرس يدعى برصلوبا. ابن أعثم: ج1 ص 167-168.

(4) خليفة بن خياط: ج1 ص 109-110، وأنظر أيضاً الطبري: تاريخ، ج3 ص 454، السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة باسنادهما. ابن الأثير : الكامل، ج2 ص 438-439.

(5) الدينوري: ص 113.

(6) ابن العبري: ص 100.

(7) الطبري: تاريخ، ج3 ص 454.

القتالية، وانحصروا بين النهر والفيلة الغاضبة التي أرهبت خيولهم، فتراجعوا نحو الجسر فوجدوه قد قطع، قطعه رجل من ثقيف ليشد من عزيمة المقاتلين. وكان عمله من الأخطاء الجسيمة التي ساهمت في إدبار الجيش الإسلامي فاقتحم بعضهم النهر فغرق منهم عدد كبير، وحاول أبو عبيد أن يعزز من صمود المقاتلين وأن يخفف من حشود الفرس، فصمد في ميدان المعركة بين الفرسان والفيلة إلي أن قتل، وقتل من بعده عدد كبير من أولاده وأخوته وهم يحملون الراية دفاعاً عن الإسلام، الأرض والمبادئ الواحد تلو الأخر وسيوف الفرس تأكل بهم مستغلة الفرصة لإرواء ظمأهم من دماء المسلمين[1].

وفي هذه اللحظة الحاسمة والموقف الصعب برز دور القائد الشيباني المثني بن حارثة، الذي استلم الراية حسب وصية أبي عبيد فزمر بني شيبان على القتال، فلبوا النداء والتفوا حوله ومن معهم من المسلمين ووقفوا صفاً واحد أمام العدو مانعين سيوف الفرس من أن تصل إلى إخوانهم الذين أخذهم الفزع، وأمر المثني جماعة من قومه، فقعدوا الجسر وأصلحه ثم أخذ ينادي (أنا دونكم فاعبروا على هنيتكم، ولا تدهشوا، فأنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ولا تغرقوا أنفسكم[2]؟!! فعبر الناس بحماية المثني الشيباني إذ اكتمل عبورهم، تراجع من بقي من صحبه، تحت السيوف والرماح فأصيب اثناء عملية الانسحاب بطعنة رمح رهيبة قاصت لها بعد حلقات درعه في جنبه فجرحته جرحاً بليغاً وخطيراً[3].

---

(1) أنظر الطبري: تاريخ، ج3 ص 454 فما بعد، أيضاً، المسعودي، مروج الذهب، ج2 ص 308.

(2) الطبري: تاريخ، ج3 ص 457، ابن الأثير: الكامل ج2 ص 439–440، أيضاً ابن حبان، ج2 ص 201.

(3) الطبري: تاريخ، ج3 ص 457–458، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2 ص9.

ويذكر المسعودي وابن الأثير أن من غرق فيها من العرب كان أكثر ممن قتل[1]. وإن من نجا منهم غادر العسكر يريد النجاة، بحيث لم يبق مع المثني إلا جماعات قليلة من شيبان، وقليل ممن أصر على الثبات في جهاده[2].

وأرسل المثني بن حارثة رسولاً إلى الخليفة الثاني عمر ﷺ ليخبره بخبر هذه المعركة[3]، وكان ﷺ متلهفاً لسماع أخبار العمليات العسكرية في العراق لانقطاعها عنه فترة من الزمن فلقيه رسول المثني في مسجد المدينة وأخبره بأمر المسلمين حيث قال له (يا أمير المؤمنين أنعي إليك أبا عبيد، رحمة الله عليه! وأنعي إليك بنيه الثلاثة.. وأنعي إليك سليط بن قيس الأنصاري وفلان وفلان. فلم يزل يعد وجوه المهاجرين والأنصار.. فقاطعه عمر ﷺ فقال له المثني بن حارثة الشيباني؟ قال تركته جريحاً يا أمير المؤمنين فأظلمت الدنيا في عيني عمر ﷺ وبكي وأبكي معه من في المسجد[4].

نهض عمر ﷺ من مكانه في المسجد داعياً الناس للتطوع لإتمام الرسالة وتحرير العراق، ولتعزيز قوة المثني. فوجه ﷺ جرير بن عبد الله البجلي مع قومه إلى العراق حيث قال له (ويحك يا جرير إنا أصبنا بالمسلمين مصيبة عظيمة والمثني بن حارثة في وجه العدو غير أنه جريح لما به فسر نحو العراق...)[5] كما كتب ﷺ إلى أهل الردة بالتوجه إلى المثني[6].

---

(1) المسعودي: مروج الذهب، ج2 ص308، ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 440.

(2) الطبري: تاريخ، ج3 ص 457 –458، ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 440 –441، ابن خلدون: العبر، م2 ص 910.

(3) البلاذري: فتوح البلدان، ص 253.

(4) ابن أعثم: ج1 ص 171.

(5) ابن أعثم: ج1 ص171.

(6) ابن خلدون: العبر، م2، ص912 –913.

أما عن الوضع في المدائن فعلي الرغم مما حققه الفرس من تقدم في هذه المعركة والتي يفترض أن توحد كلمتهم وتزيد من معنوياتهم، ثار الناس على رستم فانقسموا قسمين، قسم معه والأخر مع أحد دهاقين الفرس واسمه الفيرزان وحينما وصلت أخبار انشقاقهم وفوضاهم إلى بهمن جاذوية ترك جبهة القتال منسحباً بجيوشه نحو المدائن[1].

ويبدو أن أمراء المسالح الفارسية عاشوا نشوة النصر المؤقتة في الجسر وخاصة جابان أمير أليس، حيث خرج ومعه مردانشاة في بعض خيلهم، فلم يعلموا بفوضي المدائن وانسحابهم من جاذويه المفاجئ، واتت عيون المثني تخبره بذلك، فخلف على الناس عاصما بن عمرو وخرج مع جماعة من فرسانه متعقباً أثرهم، وحينما رأوه ظنوا أنه (أي المثني) هارباً فاعترضا طريقه وهو قاصدهم فساقهم أسيرين وخاطبهم (أنتما غررتما أميرنا وكذبتماه واستفززتماه) فضرب أعناقهما ورجع إلى عسكره[2].

معركة البويب:

لم تفتر همة المثني بعد الجسر فبعث وهو بألس ورغم جرحه العميق إلى من يليه من المسلمين، لنيل شرف القتال ضد الفرس، فتوافدوا إليه من شتي القبائل العربية في جموع كثيرة، لم تقتصر على القبائل العربية المسلمة وحسب، بل بعض العشائر العربية التي لم تعتنق الإسلام، وكانت على النصرانية لكنها أرادت نصرة قومها حمية منها.

---

(1) الطبري: تاريخ، ج3 ص 459–460، أيضاً أين الأثير: الكامل، ج2 ص 441.

(2) الطبري: تاريخ، ج3 ص 4059 –460، ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 441.

ولما وصلت أخبار تجمع المسلمين إلى الفرس أعدوا جيشاً ضخماً على رأسه مهران الهمداني بلغ تعداده اثني عشر ألفاً وتوجه لملاقاة المسلمين[1].

وحينما علم المثني بخبر جيش الفرسوكان قد عسكر بمرج السباخ بين القادسية وخفان[2]، بعث إلى من تأخر لنجدته من العرب وأرسل إلى جرير بن عبد الله البجلي بسرعة اللحاق به، عند البويب[3].

وحينما تكاملت الجيوش المسلمية في البويب عبأ المثني قواته فجعل على ميمنته بشير بن الخصاصية وبشر ابن أبي رهم، وعلى مجردته أخاه المعنى وعلى الرجل أخاه الأخر مسعود وعلي الردء مذعور[4]. وجيوش الفرس أمامهم في الضفة الأخرى من الفرات، واستشار المثني المقاتلين المسلمين بضرورة الإفطار لأن الصوم مرقة ومضعفه وهم يقابلون عدو متغطرساً فاستجابوا لذلك[5].

وقبل بدء المعركة لعب المثني بن حارثة الشيباني دوراً ريادياً في قيادة المسلمين وتشجيعهم لقتال الفرس، فركب فرسه الشموس وهو في أعلي درجات الحرص والحماسة لإحراز النصر على عدوه، ووقف على الرايات راية راية يحثهم على القتال، ويرفع من معنوياتهم مؤكداً لهم بإطاعة الأوامر وتنفيذها بحرص تام وهو يقول لهم (إني لأرجو ألا تؤتي العرب اليوم من قبلكم، والله ما يسرني لنفسي شيء إلا ويسرني لعامتكم فيجيبونه بمثل ذلك. وأنصفهم المثني في القول والفعل،

---

(1) الطبري: تاريخ، ج3 ص 460-464، أنظر أيضاً حول عدد الجيش الفارسي، البلاذري : فتوح البلدان، ص 254.

(2) ذكرها الحميري: ص116 (مرج السباع).

(3) الطبري: تاريخ، ج3 ص 461.

(4) الطبري: تاريخ، ج3 ص 465، ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 442.

(5) الطبري: تاريخ، ج3 ص 461.

وخلط الناس في المكروه والمحبوب، فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً)[1].

أرسل مهران إلى المثني إما أن تعبر إلينا وإما أن نعبر إليكم فأخبره المثني أن يعبروا إليهم[2]. وتقابل الجيشان في حرب ضروس، أبلي فيها بنو شيبان و المسلمين بلاء الصناديد الأبطال فردوا كيد الفرس إلى نحورهم. وقاتل المثني بن حارثة وقومه قتال المنتقم الموتور لهزيمة سابقة. وأصيب مسعود الشيباني أخو المثني ولما رأي مسعود تضعضع من معه خاطبهم وهو يعاني من إصابته (يا معشر بكر أرفعوا رفعكم الله ولا يهولنكم مصرعي)[3] واستشهد رحمه الله فقال المثني في استشهاده مقولته المشهورة التي أراد بها إثارة حمية المقاتلين نحو عدوهم وان الاستشهاد هو طريق التحرير مهما كانت مكانة صاحب الشهادة فقال (يا معشر المسلمين لا يروعنكم مصرع أخي فإن مصارع خياركم هكذا)[4].

وأندفع المثني في قلب جيش العدو يساعده أنس بن هلال النمري (النصراني) لإرباك تنظيم جيشهم، والمجنبات تقاتل ببسالة فائقة وتمكن غلام نصراني من قتل مهران قائد الفرس فارتبكت قواتهم وولت هاربة تبتغي عبور الجسر إلى الضفة الأخرى من الفرات وسيوف المسلمين تلاحقهم إلى أن قطع المثني عليهم الجسر فولوا هاربين صعوداً ونزولاً على صفة الفرات والمسلمون يقتلونهم حتى تكدست جثثهم (وما كانت بين العرب والعجم وقعة ابقي رمة منها)[5] حتى بولغ عدد قتلاهم فقيل مئة ألف قتيل[6].

---

(1) المصدر نفسه: ج3 ص 465.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج2، ص442.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج2، ص 443-444.

(4) البلاذري: فتوح البلدان، ص254، أيضاً الدينوري: ص 114-115.

(5) الطبري: تاريخ، ج3 ص 461 فما بعد، أنظر أيضاً:

- ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 443-444.
- ابن خلدون: العبر، م2 ص 912 -913.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 444.

وكانت معركة البويب معركة جهادية قاتل فيها العربي النصراني قتال الأبطال دفاعاً عن أبناء قومه، جنباً إلى جنب مع أخيه العربي المسلم وحينما قدم زعيم قبيلة النمر أنس بن هلال في جمع كبير من قبيلته إلى المثني بن حارثة الشيباني قال (نقاتل مع قومنا)[1].

وكذلك فعل نصاري تغلب[2]. في هذه المعركة الإسلامية الخالصة التي تساوى في بلائها وتحقيق انتصارها المسلم والمسيحي[3].

قال الأعور العبدي الشني يصف معركة البويب وبطولات المثني:

هاجت لأعور دار الحي احزانا	*	**واستبدلت بعد عبد القيس خفانا**
وقد أرانا بها والشمل مجتمع	*	**إذ بالنخيلة قتلا جند مهرانا**
أزمان سار المثني بالخيول لهم	*	**فقتل الزحف من فرس وجيلانا**
سما لمهران والجيش الذي معه	*	**حتى ابادهم مثني ووحدانا[4]**

---

(1) المصدر نفسه: ج2، ص442.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج 2 ص 443.

(3) من المفيد أن نذكر موقف الخليفة العادل عمر بن الخطاب (رض) من النصارى وخاصة نصاري تغلب إذ استطاع بعبقرتيه الفذة أن يكسب ودهم إلى جانب العرب المسلمين فذكر البلاذري (حدثنا شيبان بن فروخ قال حدثنا عوانه عن المغيرة عن السفاح الشيباني، أن عمر بن الخطاب (رض) أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بني تغلب فانطلقوا هاربين فلحقت طائفة منهم ببعد من الأرض، فقال النعمان بن ذرعة: أنشدك الله في بني تغلب فإنهم قوم من العرب يأنفون من الجزية وهم قوم شديدة نكايتهم فلا يعن عدوك عليك بهم فأرسل عمر في طلبهم فردهم وأضعف عليهم الجزية... البلاذري: فتوح البلدان، ص 185 –186، وهكذا نلاحظ أن الخليفة الفذ بمجرد علمه أن بني تغلب انفوا الجزية لكونها جزية لأغير ضاعفها عليهم وابدل اسمها بالصدقة فكسب ودهم ويمكننا أن نعزي مشاركتهم في البويب إلى موقف الخليفة عمر هذا منهم الذي ابدي فيه احترام عروبيتهم بعبقرتيه النادرة وعقليته المتطورة.

(4) الطبري: تاريخ، ج3، ص 471، وقيل أن الشعر لعروة بن زيد الخيل.
أنظر: الدينوري : ص 115.

العمليات التأديبية للمسالح الفارسية بعد البويب:

لم يكن أمام الشيبانيين والعرب المسلمين بعد هزيمة مهران في البويب قوة فارسية تستطيع التعرض لهم، فش القادة عصمة وعاصم وجرير بعد أن استأذنوا المثني الشيباني الغارات على القرى المجاورة لساباط حتى وصلوا إليها (ساباط) التي تحصن فيها أهلها ودخل القادة الثلاثة حصن ساباط وعادوا إلى المثني في محاولة لزرع الرعب في نفوس الفرس[1].

ثم مخر المثني أرض السواد وراح يحتل القرى والدساكر بدون مقاومة لا بل أن الفرس تركوا مسالحهم، واعتصموا بساباط، وكانوا مسرورين جداً لترك ما وراء دجلة للمسلمين ظناً منهم أن عجلة التحرير ستقف عند هذا الحد وان تحصنهم بساباط ستنقذهم مما يحمله لهم التاريخ من قدر محتوم على يد المسلمين في تحرير الأرض ونشر المبادئ[2].

ثم اتجه المثني بن حارثة نحو الأنبار وخلف بالحيرة بشيرا بن الخصاصية وأرسل جريرا بن البجلي إلى ميسان وهلال بن علقمة التيمي إلى دست ميسان وأذكى مسالحه وحثهم على اليقظة، فبدأ بأليس وهي قرية من قرى الأنبار، وتعاون عرب الأنبار مع المثني في غزوة نسوخ الخنافس، وكان سوقاً يفدي إليه تجار ربيعة وقضاعة، فأغار عليه المثني وانتسف ما فيه ثم رجع إلى الأنبار فتحصن دهاقنتها منه ولما عرفوه نزلوا إليه وقدموا له الأعلاف والغذاء وبعض الادلاء فأغار على عدة أسوق وفعل بها مثل ما فعل بسوق الخنافس، وهكذا لعبت غارات قوات

---

(1) الطبري: تاريخ: ج3، ص 470، أيضاً :
ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 444.

(2) الطبري: تاريخ: ج3، ص 470، ابن الأثير: الكامل، ج2، ص 444.

المسلمين بالسواد، والمثني بالأنبار إلى غرس الخوف في نفوس الفرس وضربت قواتهم طوقاً على المناطق (فيما بين أسفل كسكر وأسفل الفرات وجسور مثقب إلى عين التمر وما والاها من الأرض في أرض الفلاليج والعال)[1].

ومن الأنبار صعد المثني بجيشه إلى تكريت لتأديب من سلك بلاد وانتجع شاطئ دجلة من الفرس بعد أن علم بخبر تجمعهم فيها[2]. ورافق المثني حذيفة بن محصن الغلفاني، والنعمان بن عوف بن النعمان ومطر الشيبانيان[3].

أما الفرس فقد اجتمع أمرهم على أحد أبناء العائلة الكسروية وهو يزد يزدجر شهر بار، فقدموا له الولاء والطاعة واستعدوا للقاء المسلمين. ولما بلغ المثني ذلك سحب قواته وعسكر بذي قار[4].

قدوم سعد إلى العراق ووفاة المثني:

وكتب المثنى إلى الخليفة عمر ﷺ يعلمه كثرة حشود الفرس طالباً منه المدد، ولما علم الخليفة بموقف المسلمين هم أن يقود جيش المسلمين بنفسه إلى العراق لولا معارضة مشايخ المسلمين من كبار الصحابة، ثم حشد ﷺ جيشاً كبيراً أمر عليه الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص الذي سار نحو العراق وأقام بالثعلبية ثلاثة أشهر لاستكمال وصول المتطوعين، ثم اتجه منها إلى العذيب وهناك استقبله المثني بن حارثة الشيباني الذي كان مريضاً حيث اشتد وجعه بعد انتقاض جراحه ومات

---

(1) الطبري: تاريخ: ج3، ص 473.

(2) الطبري: تاريخ: ج3، ص 476- 478، ابن الأثير: الكامل، ج2، ص 447-448.

(3) الطبري: تاريخ: ج3، ص 476- 478، ابن الأثير: الكامل، ج2، ص 447-448.

(4) الطبري: تاريخ: ج3، ص 476- 478، ابن الأثير: الكامل، ج2، ص 447-448.

رحمه الله. وذكر الواقدي أن المثني توفي قبل نزول سعد القادسية[1] سنة 14 هجرية[2]، وهو الأرجح.

مات المثني بن حارثة الشيباني[3]، ولم ينس رسالته المقدسة في التحرير وهو على فراش الموت فقد ترك وصيته التعبوية المشهورة إلى القائد سعد بن أبي وقاص (ألا يقاتل عدوه وعدوهم –يعني المسلمين – من أهل فارس، إذ استجمع أمرهم وملؤهم في عقر دارهم، وان يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من ارض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم، فإن ينصر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم وان تكن الأخرى فاءوا على فئة، ثم يكونوا اعلم بسبيلهم، وأجرأ على أرضهم، إلى أن يرد الله الكرة عليهم)[4].فترحم سعد ومن معه على المثني، فجاءه إلى سعد وصية عمر ﷺ بمثل ما أوصاه المثني[5].

لم ينتهي دور بني شيبان في النضال ضد الفرس من أجل تحرير العراق بعد وفاة المثني بل انضمت كتائبه التي قادها أخوه المعني بن حارثة الشيباني إلى الجيش الإسلامي القادم من الحجاز وساهمت في عملية استكمال التحرير ونشر الرسالة[6]. وحينما التحمت القوات المسلمة في العراق مع الحشود القادمة من الحجاز أصبح من الصعب علينا أن نبرز دور بني شيبان فيها كما وأن مصادرنا العربية وابتداءً من معركة القادسية لم تنفرد بذكر دور قبيلة من القبائل وإنما أشارت إلى دور القوات الإسلامية المشتركة جميعاً في عملية التحرير. لذلك فمن الصعب تتبع دور بني

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص254، ابن عبد البر: ق4، ص 1456 – 1457.

(2) خليفة بن خياط: ج1 ص 116.

(3) أنظر: حول المثني بن حارثة: القيسي : المثني بن حارثة، مجلة الأجيال، العدد 4 سنة 1980م، عدد خاص بالمعركة ص 129 –130.

(4) الطبري: تاريخ، ج3، ص490.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص490.

(6) الطبري: تاريخ، ج3 ص 489 –490 السري عن شعيب سيف عن مجالد وعمر باسنادهما، أيضاً ابن خلدون: العبر، م2 ص 918.

شيبان في الفتوحات الإسلامية بصورة واضحة كما كانت عليه في بداية الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس التي برز فيها دور بني شيبان.

المبحث الثالث

دور بني شيبان في الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان وعلي ﷺ

الفتوحات في عهد عثمان وعلي ﷺ:

لم نجد الكثير من المعلومات عن تلك الحقبة لإنشغال المؤرخين المسلمين بالفتن في تلك الفترة، ولكن هنالك فتوحات في بلاد السند وفارس للمثنى بن حارثة الشيباني في خلافة علي بن أبي طالب ﷺوحين قدم قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم كانت بلاد السجستان وبلاد السند قد وصلها الإسلام ولهذا لم تتوقف الفتوحات في عهد الخليفة ﷺ ونتيجة لإنشغال المؤرخين بالفتنة الكبرى الأولى والفتنة الثانية في عهد علي رضي الله عنه لم يوثقو إلى الفتوحات الإسلامية في تلك الفترة.

لقد فتحت سجستان في عهد علي بن طالب ﷺبعد وقعة صفين وعودة الإمام علي ﷺ إلى الكوفة حيث طلب الجند منه أن يسمح لهم بالجهاد في سبيل الله فوافقهم على ذلك وأرسل جيشاً بقيادة الحارث بن مرة العبدي إلى بلاد السند شمال الهند وهي باكستان وكشمير وسجستان ففتحوا تلك البلاد وأنتشر الإسلام واخذت الجزية. وأستفتى الحارث بن مرة العبدي الإمام ﷺ عن ما يفعل بالأرض والخراج، قال الإمام علي ﷺ: تبقى الأرض في أيدي أصحابها على أن يدفعوا عنها خراجاً نهاية كل عام.[1]

---

(1) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 205.

الفصل الثالث

دور بني شيبان في العصر الأموي

- المبحث الأول: المعارضة الشيبانية من (41هـ-99هـ/ 661م-717م)
- المبحث الثاني: المعارضة الشيبانية من (99-127هـ/ 717م-744م)
- المبحث الثالث: سمات حركات المعارضة الشيبانية

المبحث الأول

المعارضة الشيبانية من (41هـ- 99هـ/ 661 – 717م)

أولاً: حركة مصقلة بن هبيرة:

أسهمت بنو شيبان بدور فعال خلال الخلافة الأموية، في المجالات الإدارية والعسكرية وغيرها، وكان من الطبيعي أن تكون لها مواقف ايجابية، وأخرى سلبية بنظر الخلافة الأموية، وفي الأعموالأغلب كانت وقفاتها ايجابية وفيما يخص المواقف السلبية فإنها انطلقت من مصالح شخصية على مايبدو، وكان لها تأثيراً على الدولة الأموية ولاسيما في العراق، وعموم المشرق، ومن تلك الشخصيات لم تسعفنا المصادر بمعلومات عن أحواله أو نشأته الأولى وكل الذي نعرفه هو:

مصقلة بن هبيرة بن شبل[1]، احد بني شيبان[2]، بن ثعلبة بن عكابة بن صعب أبن علي، وينتمي إلى قبيلة بكر بن وائل العدنانية[3]وكان لاسمه معنى عند العرب[4].

---

(1) البلاذري، انسابالأشراف، تحقيق: محمد باقرالمحمودي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، (1394هــ/1974م)، 416/2.

(2) ينظر: ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت276هــ/899م)، المعارف، تحقيق: محمد إسماعيل عبدالله، القاهرة، المطبعة الإسلامية (1353هــ/ 1943م)، 177، أيضا: البلاذري، ن.م، 2/ 416.

(3) ينظر: ابن الأثير، اللباب، 2/ 36– 37، ابن حزم، جمهرة انساب العرب، 302، ابن منظور، لسان العرب، مادة (شيب) 2، كحالة، معجم القبائل، 622/2.

(4) وكلمة مصقل عند العرب تعني، الخطيب البليغ، ابن منظور، لسان العرب، مادة (مصقل).

ويشير (الأصفهاني)[1]، إن مصقلة كان متأثراً بشخصية القائد العربي المعروف المغيرة بن شعبة [2]. و كان كثير الوصف له، ومن وصفه انه كان نافعا لصديقه صابراً لعدوه أي انه لايستخدم السرعة في مجابهة عدوه[3].

من جانب آخر، فقد كانت المروءة صفة عامة يتحلى بها الشيبانيون، ومنهم مصقلة فكان دائم الحديث عن المروءة، والسؤدد لدى العرب، ومن صفاته أيضا انه كان لين الكلام متودداً للصغير، والكبير[4].

ولما كانت للشيبانيين علاقة طيبة مع الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[5] فقد اختار من بينهم من يدير الشؤون الإدارية لبعض المدن، فرشح مصقلة ليكون (عاملاً) على أردشير خرة [6]، ثم عاملاً على إقليم الأحواز[7].

---

(1) الأغاني، 14/ 139.

(2) المغيرة بن شعبة: الثقفي، اسلم عام الخندق وولى العراقين (الكوفة والبصرة)، وكان من رجال الدهرعزماً، وحزماً، ورأياً وكان من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولهدار بالكوفة (ت 50هـ).

ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ / 1347م) العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبوهاجرمحمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(بلا.ت)، 1/ 56، ايضاً: البغدادي، تاريخ بغداد، 1/ 193.

(3) الاصفهاني، م.ن، 140.

(4) البلاذري، انساب الأشراف 2/ 418، المسعودي، مروج الذهب، 1/ 52.

(5) ابن عبدربه، العقد الفريد، 3/ 121.

(6) اردشير خرة: هي إحدىالمدن التي تقع في بلاد فارس وقريبة من البحر العربي تتميز بمناخ حار وقليلة الإنتاج.

ينظر: ابن حوقل أبي القاسم ابن حوقل النصيبي (ت 367هـ/ 977م)، صورة الأرض، دارصادر، بيروت، ط2، 1928م، 2/ 267، أيضا: المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، 1909م 422، الحموي، معجم البلدان، 290/1.

(7) ابن اعثم، ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت 314هـ / 926م)، الفتوح، دارالندوة، ط1، مطبعةالمعارفالعثمانية،(بيروت، 1968م)، 4/ 78.

ومن الجدير بالذكر إن علاقة مصقلة مع الخليفة كانت على درجة من التوافق والفهم المتواصل، مما اظهر كفاءة وقدرة للإعمال المناطة به.

ولكن عندما حاول بعض الواشين تفريق تلك العلاقة باتهامه اختلاس أموال من بيت مال اردشير خرة، وجه الخليفة إليه كتاباً جاء فيه:(أما بعد: فقد بلغني عنك أمر كبرت إنأصدقه انك تقسم فيء[1]، المسلمين ومن اعتراك السألة والاحزاب وأهل الكذب، في قومك كما تقسم الجوز، فوالذي خلق الحبة،وبرأ النسمة لأفتشن عن ذلك تفتيشاً شافياً،فان وجدته حقاً لتجدن بنفسك علي هواناً...)[2].

نستنتج مما تقدم، ان الخليفة علي ﷺ قد وجه في كتابه تهديداً مباشراً الى عامله ولكنه لم يكن يمتلك معلومات مؤكدة عن اقتسامه فيء المسلمين وكان السبب الرئيسي في محاسبته. هو إن الفيء يعود لبيت مال المسلمين وفي ذات الوقت نجد أن الخليفة أشفق عليه بدلالة قوله: (فلا تكونن من الخاسرين أعمالاً الذين أخذتهم الضلالة وكانوا يظنون أنهمأحسنوا صنعاً)[3]. ولاريب أن قوله مستوحى من قول الله تبارك و تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[4].

وكانت إجابته، بتبرئة نفسه من التهمة الموجهة إليه، واستعداده للتخلي عن منصبه إن ثبت ذلك عليه. مؤكداً انه لم يأخذ شيئاً من أموال المسلمين مادام هو عاملاً

(1) الفيء: لغة من أفاء يعني أفاء ووفاء الأمر أما اصطلاحاً: هو كلما وصل من المشركين عفواً من غير قتال كمال الهدنة ومال الجزية وهكذا لكل المسلمين فيه حق ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، 153، أبويعلي، محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي (ت 458 هـ/ 1065)، الأحكام السلطانية، تحقيق محمود حسن، دارالفكر، بيروت، 1994، 182، رمضون، الجهاد سبيلنا، 285.

(2) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واهب بن واضح (292هـ/904م)، تاريخ اليعقوبي، دارصادر، (بيروت، بلا.ت 2)/201-202.

(3) اليعقوبي، م.ن، 202.

(4) سورة الكهف الآية 104.

عليها بدلالة إقراره: (مارزئت من عملي ديناراً، ولادرهماً، ولاغيرهما منذ أن وليتها ..)[1].

ولم يكن من الخليفة بد إلاإعلان تبرئة عامله فقال: (ما أظنأبا الفضل إلا صادقاً)[2].

ردة بني ناجية[3] واعتاق مصقلة لسباياها:

شارك بعض أعراب بني ناجية مثلهم مثل الآخرين في الردة عن الإسلامأما هؤلاء فكانت ردتهم على عهد الإمام علي ﷺ واعتناق النصرانية.

ففي عام (38هـ/ 658م) واجهت بنو ناجية جيش الخلافة فسبى عدداً من نسائهم، واسر عدداً أخر من رجالها[4].

وكان أمراً قد صدر إلى معقل بن قيس لقتال هؤلاء المرتدين، فقاتلهم وسبى حريمهم، وذرياتهم واخذ رجالاً كثيراً. وأما من تمسك بالإسلام فخلا عنه وعن عياله، ثم توجه بتلك السبايا إلى مدينة اردشير خرة[5].

وفي معسكرهم الجديد، بدأت السبايا ترتجي عطف الوالي، ومروءته لشرائهم، ومن ثم عتقهم وقد تحقق لهم ماطلبوه[6].

---

(1) البلاذري، انساب الأشراف، 416/2، اليعقوبي، تاريخ، 2/ 203.

(2) أبوالفضل يقصد به مصقلة نفسه، ينظر: ابن اعثم، الفتوح، 4/ 81. اليعقوبي، ن.م، 203.

(3) بنو ناجية: هي إحدى القبائل التي تنسب إلى ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وناجية بنت الحارث بن سامة بن لؤي وكانت مساكنهم في البصرة وفي الكوفة ينظر: ابن الأثير، اللباب، 2/ 217.

(4) ينظر: الطبري، أبوجعفرمحمد بن جريرالطبري (ت 310هـ / 922م) تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، 1407هـ، بيروت، ط1، 145/3، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، (1385هـ/1965م)، 369370/3.

(5) البلاذري، انساب الأشراف 2/ 415، الطبري، ن.م، 3/ 145، ابن الأثير، ن.م، 3/ 370.

(6) تقدر بعض الروايات ثمن الاعتاق ب (500000) درهم ويبدو أن الرقم مبالغ فيه إلى حد ما. وإن كان المبلغ قد سحب من بيت المال وسببله حرجاً كبيراً أمام الخليفة كما سيتضح، ينظر: الطبري، تاريخ 3/ 145، ابن

ومايمكن قوله من هذا الموضوع إن المبادئ والأخلاق التي جبل عليها العربي من النخوة والإيثار، والعفو عند المقدرة كانت ربما عاملا في دفع مصقلة إلى تحرير تلك السبايا. وفوق هذا وذاك ابتغاء وجه الله تعالى، فهو القائل: (اقسم بالله لاتصدقن عليهم أن الله يجزي المتصدقين ...)[1].

ازداد موقف مصقلة حرجاً بعدما طالبه الخليفة بتسديد مبلغ الدين المتبقي بذمته إلى بيت المال الأمر الذي دعاه إلىأن يستعين بأحدأصدقائه لتسوية المسألة[2].

أما عن هروبه من العراق إلى بلاد الشام نتيجة للضغوط التي تعرض لها مصقلة اخذ يفكر بطريقة يتخلص بها من عقاب الدولة وكانت وجهته بلاد الشام وأراد بذلك أن يحقق شيئين:

أولهما: التخلص من دفع الديون، وهو غير قادر على تسديدها، علماً بأنه سدد قسماً منها[3].

ثانيهما: حسب أن مركز معاوية بمثابة الملجأ الآمن له.

وبعد أن استقر في بلاد الشام راسل أخاه نعيماً[4]، وربما حرر الرسالة على علم من معاوية ليشعره بقوة بني شيبان ومن ثم محاولة كسب تأييدها إلى جانبه.

كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هــ / 1372م)، البداية والنهاية، بيروت، 1966، (بيروت، ط10، 3/17).

(1) البلاذري، انساب الأشراف، 2/ 415، الطبري، تاريخ، 3/ 147، ابن كثير، م.ن، 7/ 310.

(2) البلاذري، انساب الأشراف، 2/ 416، ابن اعثم، الفتوح، 4/ 81، ابن الأثير، الكامل 3/ 317.

(3) تشير بعض المصادر إلى انه سدد مبلغاً قدره (100000) درهم، وبقي بذمته (400000) درهم. ينظرالطبري، تاريخ، 3/147، أبن اعثم، الفتوح، 4/81–82.

(4) نعيم: هو نعيم بن هبيرة وكان من أتباع الإمام علي(ع) ينظر :، أبو نعيم احمد بن عبدالله (ت430هــ)، ط4، حلية الأولياء، دارالكتاب، بيروت، ط4، 1405، 2/ 113، الذهبي، سيرالأعلام النبلاء، 3/ 177، الأصفهاني.

وبعد أن رصدت عيون الخلافة ما كان يخبئه مصقلة من مراسلته لأهل بيته فقصدت الشرطة (رسول) مصقلة وقتلته، وقد استوفى أهل الرسول ديته من بني شيبان بعد أدانتهم[1].

ويبدو أن بني شيبان شعرو بالمهانة، والضعف بسبب تصرف احد وجوهم تصرفاً لايليق بمكانتهم المعهودة أمام الخليفة. وإزاء كتلة الإمام علي (رضي الله عنه)، وكذلك التمس الشيبانيون الإمام علياً (رضي الله عنه) بالسماح لعودة ابنهم متعللين بان حياءه من الخليفة كان وراء عدم عودته، ورجوه أن يرسل رسولاً باسمه يدعوه للعودة ففعل[2].

حمل الرسول كتاباً على لسان بني شيبان تضمن عبارات اللوم والتوبيخ لأنهم مع استخدام عبارات الترغيب بالعودة غير أن مصقلة لم يستجب لندائهم[3]. ويبدو ان رفضهِ لنداء عشيرته كان للأسباب الآتية:

1) اعتبر تركهِ العراق بمثابة خيانة لأنه تجرأ على ترك الخليفة هذا من جهة.
2) ومن جهة أخرى، يعد نفسه قد نقض عهداً وخان معاوية الذي استضافه في بلاد الشام، وان صفة الغدر والخيانة لا تليق على رجل عربي مثل مصقلة.

ولايته على إقليمي فارس[4] وطبرستان[1].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، 3/ 317، النجفي، السيد حسين بن السيد احمد البراقي (ت 1332 هـ) تاريخ الكوفة، استدراك السيد محمد صادق آلبحرالعلوم (ت1399 هـ) تحقيق: ماجد احمد العطية، المكتبة الحيدرية، النجف ط1، 1424م، 23.

(2) ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ / 898م)، الإمامة والسياسية، تعليق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط8، (1141هـ/1997م) 78، البلاذري، انساب الأشراف، 2/، 417 ابن اعثم، الفتوح، 4/ 82.

(3) ابن اعثم، م.ن، 4/ 82.

(4) فارس: هو إقليم جبلي يحيط به من جهة الشرق كرمان، أما من ناحية المغرب في حده كورخزستان، ومن الشمال المضازة ومن ناحية الجنوب الخليج العربي. وتميز ذلك الإقليم بكثرة الخيرات والمعادن الكثيرة. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، 2/ 260، المقدسي، أحسن التقاسيم، 1/ 430.

شهدت تلك البلاد نوعاًمن الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي، ويظهر إن المزايا التي كان عليها مصقلة شجعت الخليفة معاوية (رضي الله عنه) لاختياره واليا عليها إذ تم ضبط البلاد وإدامة استقرارها[2].

وفي عام (44هـ/664م) ترسخ مركز مصقلة الإداري والسياسي والعسكري، وذلك عندما عهد إليه بتسنم ولاية فارس علـــى عهد زياد بن أبي سفيان[3].

وخصص له معاوية أيراداً جيداً من المال[4]، وربما أراد من ذلك تعويضه عما لحق به من ضرر بسبب انتقاله من مكان إلى آخر.

ومن المؤسف أننا لم نعثر على معلومات تخص هذه الفترة أكثر مما ذكر ولعلها فقدت أوأهملت كما أهمل غيرها.

أما عن ولايته لإقليم طبرستان فذكر صاحب كتاب (فتوح البلدان)[1]، انه في العام (54هـ/673م) تقرر نقله عن ولاية الكوفة وتقليده منصب والي طبرستان بعد أن جهزته الخلافة بعشرين ألفا من المقاتلة[2].

---

(1) طبرستان: هي منطقة جبلية يغلب عليها المياه والشجر، وإقليم طبرستان كثير الأمطار ويتميز بسقوط المطر عليه طوال أيام السنة فلايرون فيها شمساً، ينظر: ابن حوقل، ن.م، 2/ 381. الحموي، معجم البلدان، 4/ 110.

(2) الطبري، تاريخ، 3/ 148، ابن الأثير، الكامل، 3/ 202.

(3) زياد بن أبي سفيان: هو زياد بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس اخو الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، وكان يضرب المثل بدهائه ولاهم عاوية العراقين (ت 53هـ) ينظر: الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحيين العماد الحنبلي (ت 1089)، شذرات الذهب في أخبارمن ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350، 1/ 59. أيضاً: الزركلي، خيرالدين، الأعلام، 3/ 38.

(4) كان المبلغ بحدود (20000) درهماً. والدرهم هو عملة فضية كانت تستعمل عند الفرس قبل الإسلام وبعده حتى خلافة عبدالملك بن مروان وكان وزنها أثنى وعشرون قيراطاً والقيراط أربع حبات، البلاذري، فتوح، 451، أبويعلى، الأحكام، 196–197.. أبوالفرج، عبدالرحمن بن محمد بن علي بن محمد أبوالفرج (ت 597هـ)، تلبيس إبليس، دارالكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405 هـ / 1985م، 1/ 476.

وان اختيار مصقلة لمثل هذه المهمة لم تكن لولا الكفاءة التي كان يتمتع بها في الإدارة، والقيادة ولاسيما أن تلك البلاد كانت كثيرة الاضطرابات وبعيدة عن الاستقرار، وتحتاج فيما تحتاج إليه نموذجاً من هؤلاء الرجال.

ومع ذلك، فالواقع يشير إلىإخفاقه في استتباب الأمن حيث شارف جيشه على الهلاك خصوصاً بعد أن توغل في أرض العدو، إذ لم يستطع إدامة عسكره فيصف لنا (البلاذري)[3] صعوبة سير المعارك التي خاضها ولعــل ذلك يعود إلى جملة أسباب منها:

1) لم يكن على دراية تفصيلية بتضاريس الأرض، وطبيعتها، ولم يكن هو من أهلها.

2) لم تكن لديه رؤية بالعمليات العسكرية إذأن مثل تلك الطبيعة الجغرافية تحتاج إلى امدادت بشرية ومئون حسبما يقتضيه الموقف العسكري علماً بأن خطوط الإمداد بعيدة سيما وان العراق الكوفة والبصرة، ومن الطرف بالذكر في مهمة الشيباني التاريخية إن فشله في تحقيق ماكانت تطمح إليهاالإدارةالأمويةأصبح مثلاً لمن يئس من عودته، فقيل حتى يرجع مصقلة من طبرستان[4]، وهذا يفسر صعوبة المهمة الموكلةإليه وهو (المسئول عن فتوحات الشرق كله).

ثانياً: حركة شبيب ين يزيد الشيباني:

---

(1) البلاذري، 1/ 330.

(2) ينظر: ابن خياط، أبوعمروخليفة بن خياط (ت 240هــ/854م)، تاريخ خليفة، حققه أكرم ضياء العمري، ط1، مطبعةالآداب، النجف، 1386هــ / 1967م، 1/ 223، ابن اعثم، الفتوح، 4/ 88.

(3) فتوح البلدان، 1/ 330.

(4) ابن خياط، تاريخ خليفة، 224/1، ابن قتيبة، المعارف، 177، اللاذري، انساب الأشراف، 417/2.

هوشبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن مرة بن ذهل بن شيبان ولد في عام (26 هـ/646م)[1]، نشأ بالكوفة، وكان خطيباً مفوهاً، وبليغاً، متفوقاً في الفروسية، والشجاعة، في الكر والفر، وكان لنشأته أثر في تطلعه إلى منصب القيادة[2]. وكان يكنى (بابي الصحارى أو أبي الضحاك)[3].

ويظهر انه كانت لشبيب طموحات فردية منذ نعومة أظفاره، فهروبه من مضارب أهلهإلى الشام يعد مؤشراً لطموحاته. بغض النظر عن مشروعيتها، ثم السعي للحصول على مركز يؤهله على موقع سياسي ويبدو أن الخليفة عبد الملك كان يرى فيه رأي الشراة[4].

ومن الشام اخذ يراسل ويخاطب أهلهوأصدقاءه في العراق لكسب تأييدهم[5]، ومن المعلوم أن حركة الخوارج[6]. نشطت أبان تلك الفترة بزعامة صالح بن

---

(1) ابن قتيبة، المعارف، 180، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 20/9، النص، القبائل، 1/ 472، المنجد في اللغة والأعلام، 330.

(2) الديوهجي، سعيد، تاريخ الموصل، ط1، (1402 هـ / 1982م)، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1/ 46، النجفي، تاريخ الكوفة، 1/ 120.

(3) ابن كثير، م.ن، 9/ 20، ابن قتيبة، م.ن، 180.

(4) الشراة: هي الفرقة العاشرة من فرق الخوارج، وسموا أنفسهم بهذا الاسم لأنهم شرو أنفسهم لطاعة الله وكانت هذه الفرقة تكفر أصحاب المعاصي، الأشعري، علي بن إسماعيل أبوالحسن (ت 324 هـ)، مقالات الإسلامين واختلاف المصلين، تحقيقه لمونريتر ط3، بيروت، (بلا.ت) 127/1. الشافعي، التنبي هو الرد على أهل الأهواء والبدع، 1/ 177.

(5) ابن اعثم، الفتوح، 7/ 85.

(6) الخوارج: هوكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين والأئمة في كل زمان ينظر: الشهرستاني، أبوالفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكرأحمد (ت 548هـ/1153م)، المللوالنحل، أشراف صدقي جميل، دارالفكرللطباعة، بيروت، لبنان، ط1، (1419 هـ/ 1999م)، 92، ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد الطاهري أبومحمد (ت 548 هـ /1135م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، (بلا.ت)، 4/ 119، ايضاً: الرازي، محمد بن عمر بن الحسين أبوعبدالله (ت 606هـ/1209م)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تحقيق سامي النشار، دارالكتب العلمية، بيروت، ط2، 1402 هـ، 1/ 46.

مسرح[1]. وبدأ صالح نشاطه في شمال العراق في الوقت نفسه حاول شبيب الاتصال بزعيم تلك الحركة اثر دعوته للثورة على الأمويين، وكان صالح قد ترأس فرقة الصفرية[2]. وتوحد الطرفان واشتدت شوكتهم في عام (76هـ/695م)[3]، وللتدليل على نشاط وفعالية شبيب العسكرية،عقد شبيب اجتماعاً لإتباعه في (دارا)[4]. وحثهم على الثورة فوجه قسماً منهم إلى الجزيرة الفراتية لتنفيذ بعض المهام الموكلة إليهم[5] وكانت بداية أعمالهم السيطرة على مؤن وميرة عسكرية من فيل ودواب تعود للوالي (محمد بن مروان) والي الجزيرة الفراتية يومئذ[6] عالج الوالي تحركهم بشيء من السخرية، لكنه جد في الأمر بعد شعوره بقوتهم، إذ هاجموه في أكثر من موضع[7].

ومن القادة الذينَ أرسلهم (والي الجزيرة) لقتال الخوارج هو عدي بن عميرة[8]، الذي أصبح تحت قيادته (500) مقاتل ثم سار بهم لمواجهة صالح

---

(1) صالح بن مسرح هوصالح بن مسرح التميمي كان رجلاً ناسكاً، وصاحب عبادة، وكان يقرأ القرآن والفقه، ينظر: ابن الأثير، الكامل، 4/ 396، ابن قتيبة، المعارف، 180.

(2) فرقة الصفرية: هي فرقة من الخوارج اشتهروا بحروبهم مع الحجاج بن يوسف الثقفي، وقيلإنتلكالحركةنسبتإلىعبداللهبنالصفار، وكانيقالبالزياديةنسبةإلىزيادبنالأصفر، البغدادي، عبدالقاهر عبد طاهر بن محمد البغدادي (ت 429هـ / 1037م)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977، 90/1، أبن خلدون، تاريخ، 152/3، الشهرستاني، الملل والنحل، 94، الشهرستاني، الملل والنحل، 94. أيضا ابن خلدون، تاريخ 3/ 152.

(3) الطبري، تاريخ، 8/ 808، حسن، تاريخ الإسلام، 1/ 386.

(4) دارا: هي بلدة تقع بين نصيبين وماردين من ارض الجزيرة. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، 1/ 214، الهمذاني، صفة جزيرة العرب، 123.

(5) الطبري، تاريخ، 8/ 886. ابن الأثير، الكامل، 4/ 396، أيضا: ابن كثير، البداية، 9/ 94.

(6) ابن خياط، تاريخ خليفة، 1/ 351، دكسن، عبدالأميرعبد حسين، الخلافة الأموية 65–86هـ / 684م–705م، ط1، 1973، دارالنهضة العربية، 1973، 291.

(7) دكسن، ن.م، 291.

(8) عدي بن عميرة: هو عدي بن الحارث بن معاوية بن ثور، وكان من قادة الجيش الأموي البارزين، وقتل من قبل جيش صالح في عام (77هـ/696م)، الحنبلي، شذرات، 54/1، الذهبي، سير إعلام النبلاء، 1/ 171، الزركلي، الإعلام، 2/ 150.

وأتباعه،ولما لم يكن في الأمر بد من مقاتلة الخوارج فقد شاركت قوات الحجاج المركزية وتبعتهم حتى الموصل[1].

وفي الموصل التقى الطرفان في معركة (المدبج)، حيث نهاية صالح فقتل فيها في 13 جمادي الأولى سنة (76هـ/695م) بعد أن خسر من أتباعه تسعين رجلاً، أما من تراجع من الخوارج فتولى شبيب بن يزيد[2] قيادتهم.

تابعت جيوش الخلافة القائد الخارجي الجديد شبيباً، وتمت محاصرته داخل حصن (قلعة)[3] وأحرقت الأبواب عليهم، ولكن جيش شبيب تمكن من إطفائها، وإلحاق الهزيمة بالمهاجمين،وكان هذا أول جيش هزمه شبيب[4].

والظاهر إن مهمة شبيب أصبحتأكثر صعوبة،لاسيما بعد مقتل صالح إذ أصبح عليه واجب مضاعف أولهما قيادة جيش الخوارج،وثانيهما تحقيق أهدافهم للنيل من سلطان الأمويين.

أفتتح شبيب حركته في ارض الموصل بشن سلسلة من الهجمات على قوات الخلافة فاستولى على مناطق عديدة[5]، فضلاً عن، ذلك انه قام بمهاجمة قبيلة عنزة وبني شيبان قبيلة شبيب نفسها[6]، وحقق عدة نجاحات[7].

---

(1) البداية، م.ن، 9/ 94، ابن الأثير، م.ن، 4/ 396.

(2) ابن كثير، البداية، 9/ 24، دكسن، الخلافة الأموية، 291، أيضا: الوادي، عبد الرزاق، الفتن وأحزاب المعارضة في العصرالأموي، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة تكريت، العدد (1)، مجلد 9 لسنة 2003، 20.

(3)لم تشر المصادر إلى اسم هذه القلعة ولكن على مايبدو أنها تقع بالقرب من الموصل.

(4) اليعقوبي، تاريخ، 2/، 274ابن خلدون، تاريخ، 3/ 152.

(5) الطبري، تاريخ، 8/ 974، لبيد إبراهيم وآخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصرالأموي، بغداد، 1992، 33.

(6) أبن كثير، البداية والنهاية، 94/9، ابن الأثير، الكامل، 396/4.

(7) الطبري، تاريخ، 974/8.

وفي مرحلة ما،استعد شبيب وإتباعه للتوجه نحو الكوفة، وكان معه مئة فارس وعدد من النساء،ومن بينهم أمه جهيزة[1]، وزوجته غزالة[2].

تمكن شبيب من شد عزيمة مقاتليه من خلال الخطب الحماسية[3]، والتحدي لقوة الحجاج المعروفة ففرضَ شبيب الحصار على الحجاج في دار الإمارة بالكوفة، وصلى بأتباعه وقرأ عليهم من سورتي البقرة وآل عمران[4].

ونتيجة للنجاحات التي حققها شبيب صدرت الأوامرإلى (الحجاج)، بأن يوجه جيشاً لقتال شبيب،وتشير الروايات التاريخية إن الحجاج أرسل عدداً من القادة لقتال شبيب، ومنهم زحر بن قيس الجعفي لتعقب شبيب، فهزمه هزيمة قبيحة، وقتل من أصحابه جماعة، وقتل ابن هبيرة المحاربي في ألفي فارس فهزمه[5]،وأبو الضريس مولى بني تميم فقتله شبيب، والحاث بمن معاوية الثقفي الذي قتل، ثم وجه إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله مع ألفي رجل، وقد جعل الحجاج (زائدة بن قدامة)[6] قائداً عاماً لجميع هذه الجيوش[7]. وكان من القادة الذين وجههم هو زائدة بن

---

(1) جهيزة: هي والدة شبيب وكانت جارية تميزت بالجمال والشجاعة، وهي من سبايا الروم وعندما جاءت إلى الكوفة من قبل يزيد طلب منها أن تسلم فأعلنت إسلامها، وولدت شبيب وهي مسلمة، ابن خلكان، لأبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكربن خلكان (ت 681هــ/1282م)، وفيات الأعيان، تحقيق محمد محي الدين، مكتبةالنهضة، 1949، 2/، ابن كثير، البداية، 20/9.

(2) غزالة: تميزت بالشجاعة والبأس وقد شدت من أزر زوجها ونذرت أن تصلي ركعتين في مسجد الكوفة وتقرأ سورة البقرة وآل عمران إن دخل زوجها تلك المدينة وقيل بحقها:

غزالة من اذا تنذرحميدة * لها في سهام المسلمين نصيب

ينظر: ابن خياط، تاريخ، 1/ 272–273، المسعودي، مروج الذهب، 3/ 146، كحالة، أعلام النساء، 4/ 8.

(3) الطبري، تاريخ، 8/ 978، أيضا: صفوت، جمهرة خطب العرب، 444/2.

(4) اليعقوبــــــي، تاريخ، 2/ 274، سعيد، تاريخ موصل، 46/1، ابن اعثم، الفتوح، 7/ 87، 46.

(5) أبن اعثم، الفتوح، 85/7، ابن كثير، البداية، 19/9.

(6) أبن أعثم، م.ن، 85/7، الذهبي، العبر في خبرمن غبر، 64/1.

(7) أبن أعثم، م.ن، 85/7، أبن الأثير، الكامل، 404/2.

قدامة[1]. ولكنه قتل قبل أن يتم مهمته ثم وجه إليه قائداً أخر تميز بحزمه، وكفاءتهِ، وقوته هو عبد الرحمن بن الاشعث[2]. وحاول شبيب أن يستدرج ابن الاشعث في ممرات وطرق صعبة لإنهاكه، ولكنه كان على علم بخطة شبيب، ومع ذلك تم عزله من قبل الحجاج بعد أن فشل في مباغتة شبيب وأتباعه[3]. ثم أرسل جيشاً أخر بقيادة عثمان بن قطن الحارثي[4]، الذي عسكر بالقرب من مدينة الكوفة والذي قتل في هذه المعركة[5] وواصل الحجاج إرسال جيش بقيادة عتاب بن ورقاء الرياحي الذي كان يقاتل الازارقة مع المهلب بن أبي صفرة[6] فالتقى الطرفان بسواد الكوفة فقتل شبيب عتاباً وهزم جيشه[7].

استمرت سيطرة شبيب على الكوفة، فأصبح تأثيره كبيراً على معنويات المقاتلة الأمويين فزرع في قلوبهم الرعب الأمر الذي اضطر الحجاج إلىأن يطلب

---

(1) زائدة بن قدامه: هو زائدة بن قدامه الثقفي ابن عم المختار، وكان من قادة الجيش الأموي ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748 هـ، البلاذري، انساب الأشراف، 4/ 86–87، ابن اعثم، الفتوح، 7/ 815، الذهبي، العبر في خبر من غبر، من سنة (318/1هـ)، حققه وضبطه على مخطوطتين أبوالمهاجر محمد بن زغلول، بيروت، دارالكتب العلمية، 64/1.

(2) عبدالرحمن بن الأشعث: هوعبدالرحمن بن محمد بن قيس الكندي ويعود نسبه إلى ملوك كنده قبل الإسلام، وهو حفيد الأشعث بن قيس القائد الكبير في حروب الردة وحملات تحرير العراق، ابن قتيبة، المعارف، 180، الحنبلي، شذرات، 1/ 94، الطبري، تاريخ 8/ 974 ؛.

(3) دكسن، الخلافةالأموية، 294.

(4) المبرد، الكامل في اللغة، 3/ 380 ابن خلدون، تاريخ، 3/ 159.، العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر (ت 852 هـ/ 1448م)، الإصابة في تميزالصحابة، دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 1853، 5/ 227.

(5) ابن اعثم، الفتوح، 85/7، أبن كثير، البداية، 19/9.

(6) أبن قتيبة، المعارف، 180، أبن اعثم، م.ن، 85/7، الذهبي، العبر، 64/1.

(7) ابن قتيبة، م.ن، 180، ابن كثير، البداية، 19/9، العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر (ت852هـ/1448م)، الاصابة في تميزالصحابة، بيروت، دارالكتب العلمية، 227/5.

بطلب النجدة من العاصمة دمشق[1]، وبناءً على توجيهات الخليفة اتخذ الحجاج من منطقة (السبخة)[2] قاعدة لمواجهة شبيب.

بدأت بوادر المعركة الفاصلة بين الطرفين بعد أن اخذ كل منهما تعبئة جيشه وإعداده وتنظيمه ووضع الخطط العسكرية لخوض المعركة التالية:قسم شبيب جيشه البالغ (600 مقاتل) على ثلاثة أقسام فوضع سويد بن سليم[3]في مائتين إلى الميسرة، ثم المحلل بن وائل في مائتين في القلب، وشبيب في ميمنة الجند في مائين[4].

وزيادة في دعم موقف الحجاج أرسلت دمشق جيشاً يقدر بثمانية آلاف مقاتل ستة آلاف يقودهم سفيان بن الأبرد الكلبي[5]، وألفين بقيادة حبيب بن عبد الرحمن الحكمي[6]، فيما أرسلت البصرة أربعة آلاف مقاتل ردفاً للحجاج[7].

وبعد أن اكتمل تنظيم الجيش الأموي الذي وزعه الحجاج على ثلاثة صفوف[1]. صف فيهم الرجال ومعهم السيوف، وصف فيهم أصحاب الرماح، وصف فيهم الرماة[2].

---

(1) ابن اعثم، الفتوح، 86/7، النص، القبائل، 1/ 472، فلهاوزن، الدولة العربية، 18.

(2) السبخة: هي موضع قريب من الكوفة، تميز بالرحابة والسعة الكبيرة، ياقوت، معجم، 2/ 87 أيضا: الهمذاني، جزيرة العرب، 124، ياقوت، معجم، 87/2.

(3) سويد بن سليم: هو سويد بن سليم الشيباني وكان من رؤساء جيش شبيبٍ ومن أهل الرأي، فيه متميزبالشجاعة، عالماً ممارساً على الحروب والقتال، أبن قتيبة، عيون الأخبار، الطبري، تاريخ، 808/8 40.

(4) الطبري، ن.م، 8/ 951، ابن كثير، البداية، 9/ 18، ابن خلدون، تاريخ، 3/ 156.

(5) سفيان بن الأبرد الكلبي: هو احد قادة الجيش الأموي في بلاد الشام تميز بالشجاعة والقوة، وقد كلف بقتال شبيب والقضاء عليه وتميز بالفروسية، ابن قتيبة، عيون الأخبار 40/1، الذهبي، سير إعلام النبلاء، 4/ 149، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 505.

(6) حبيب بن عبدالرحمن: هو من قادة الجيش الحجاج وكلف أيضا بقتال شبيب. الذهبي، م.ن، 4/ 158، الطبري، تاريخ، 8/ 951.

(7) ابن كثير، البداية، 19./9، الفراجي، عدنان علي، حركات المعارضـــــة للخلافة الأموية (96هــ/105هــ/714م/723م)، المكتبة العالمية، بغداد، 1989، ص36.

وقبل بدأ المعركة لعب الحجاج دوراً ريادياً في تعبئة جيشه وتشجيعهم على القتال ولاسيما جند الشام لرفع معنوياتهم مؤكداً لهم بتنفيذ الأوامر ومقابلة عدوهم بالأسنة والرماح[3].

وعند بدء القتال أبلى الطرفان بلاء شديداً ولم يكن فيها النصر لأحد[4] بعد ذلك واجه شبيب وأتباعه مقاومة عنيفة من قبل أهل الشام، حيث تمكن الجيش الشامي من التوغل خلف خطوط الجيش الخارجي، وخسر شبيب خسارة كبيرة فقتلت زوجته وأخاه[5].

وعلى الرغم من ظراوة المعركة، إلاأن شبيباً تمكن من الانسحاب مع قسم من أتباعه، وبدأ ينتقل من مكان إلى آخر تتابعه قطعات الحجاج[6].

ويعد هذا التراجع بنظرنا، هو أول خسارة لشبيب منذ بدء نشاطه العسكري، ونتيجة لذلك سارع شبيب وأتباعه نحو كرمان[7] في الوقت الذي كانت قوات الحجاج تطارده.

---

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة، 1/ 274. ابن خلدون، تاريخ، 3/ 154 أيضا: زيدان جرجي، الحجاج بن يوسف، دارالأندلس، بيروت، ط1، (بلا. ت)، 38.

(2) ابن كثير، م.ن، 9، 17، الخضري، محمد خضر بيك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية، ط8، القاهرة، 1382، 1/ 160.

(3) اليعقوبي، تاريخ، 2/ 274 المسعودي، مروج الذهب، 3/ 147، الخضري، م.ن، 1/ 160.

(4) اليعقوبي، تاريخ، 2/ 274، المسعودي، مروج الذهب، 3/ 147، جرجي، الحجاج، 39.

(5) ابن كثير، البداية، 9/ 17، الفراجي، حركات المعارضة، 38، أيضا: دكسن، الخلافة الأموية، 296.

(6) ابن خياط، تاريخ، 1/ 273، ابن قتيبة، المعارف، 180/1، ابن الوردي، زين الدين عمر بن الوردي الشافعي (ت 749هـ/ 1348م)، تمتمة المختصر في أخبارالبشر، تحقيق أحمد رفعت البراوي، بيروت، ط1، 1389هـ/ 1970م، 268/1.

(7) كرمان: هي إقليم، يضم اليوم الأجزاء الشرقية من إيران في مايمتد إلى الأجزاء الغربية من أفغانستان وعاصمتها (بم).

ابن حوقل، صورة الأرض، 401/2، ياقوت، معجم، 198/2.

وفي كرمان حيث أقام فيها شهرين[1]، حاول شبيب إعادة تنظيم قواته وتقسيمهم إلى كراديس وهنالك تلقى الوالي الأموي محمد بن موسى[2]، أمرا بمتابعة فلول شبيب وقتالهم ولكن في النهاية تمكن شبيب من قتله[3].

أما عن جيش الحجاج، فقد أعيد تنظيمه وتعبئته وتقدم باتجاه (الاحواز) تحت قيادة سفيان بن الأبرد وتعزيزاً لجيش سفيان، أمر الحجاج نائبه في البصرة وهو زوج ابنته الحكم بن أيوب الثقفي أن يرسل جيشاً لمساعدة سفيان بن الأبرد الكلبي فبعث إليه بأربعة آلاف مقاتل[4]، وبعد قتال عنيف بين الجانبين أبدى شبيب شجاعة فائقة في المواجهة وحاول شبيب عبور نهر دجيل[5]. إلاأن فرسه سقطت لثقل ماعليها من السلاح والعدة مما أدىإلى غرقة سنة (77 هـ/ 697م) وتفرق أتباعهإلى كرمان[6].

ولشكوك الحجاج بمسالة غرق شبيب فانه أمر بانتشال جثته من النهر ويبدو أن ذلك قد حصل حقاً[7]. وبحق شبيب قال الشاعر عتبان بن وصيلة:

فإن يكُمن كُمُ مرو انُو ابنُه * وعمرو منك مهاشم وحبيب

---

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة، 1/ 274، ابن خلدون، تاريخ، 3/ 159، دكسن، الخلافة الأموية، 296.

(2) محمد بن موسى: هو محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، وكانو الياً لمدينة كرمان أثناء فترة خلافة عبدالملك بن مروان، وقتله الخوارج عام (77هـ/697م). ينظر: الزبيري، نسب قريش، 8/ 226، أيضا: ابن خياط، ن.م، 1/ 274.

(3) ابن كثير، البداية، 9/ 20، الخضري، محاضرات، 1/ 160، أيضا: سعيد، تاريخ الموصل، 1/ 47.

(4) الطبري، تاريخ، 8/973- 974.

(5) دجيل: نهربالاحوازمخرجه من أرض أصبهان، ومصبه في الخليج العربي، ياقوت، ن.م، 1/ 84، ايضاً: ابن حوقل، صورة الأرض، 2/ 45.

(6) أيضا: الطبري، تاريخ، 8/ 974، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 164.

(7) ابن قتيبة، عيون الأخبار، 2/ 18، ابن كثير، البداية، 9/ 20، الحنبلي، شذرات، 1/ 84، ابن خلدون، تاريخ، 3/ 159.

فمنا حُصَيْنٌ والبُطَيْنُ وقَعنَبٌ * ومنا أمير المؤمنينَ شبيبَ[1]

ويعزو الدكتور (دكسن)[2]. نجاحات شبيب العسكرية إلى عدة أمور منها: قواته الصغيرة التي ساعدته على التحرك السريع، والمناورة بها، ومعاملته الحسنة مع السكان المحليين لاسيما النصارى الذين وجد عندهم ملجأ آمنا عند الضرورة، ومعيناً له من المعلومات عن تحركات عدوه مقابل ذلك إن الحجاج لم يتبع إستراتيجية حرب العصابات كما هو الحال عند شبيب.

يتضح مما تقدم، إن حركة شبييب الخارجي تعد من اقوي حركات المعارضة للخلافة الأموية، وكانت لديه قدرات فردية في القوة والبأس، والإقدام، والتدبير في إدارة المعارك. ويبدو أن شخصيته هذه انصقلت من الشخصية الخارجية والتي وصفها أحد الكتاب بالقول[3]،(إن تاريخ الخوارج كله حركة وكل حياتهم نشاط سيفهم لايكاد يعرف الغمد،وجسدهم لايكاد يدرك البرء من الجراح،وأحدهم يعرف مصيره إما جريح، أو مجندل وقد وطد نفسه على ذلك).

فضلاً عما ذكر فان الرغبة الجامحة لدى شبيب في الخروج على الخلافة كان دافعاً كبيراً له، ثم إن الطابع السياسي والديني قد طغى على تلك الحركة من خلال خطبه واعتماده على الخوارج في أرض الموصل، والتي كانت أرضاً خصبة لتلك الحركات[4].

وبعد وفي ضوء نتائج الحركة تبين أن ثمة عواملاً ساهمت في فشلها، ومنها:

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، 3/ 203، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 164.

(2) الخلافة الأموية، 298.

(3) أبوجيب، مروان بن محمد، 42.

(4) أشارالجاحظ: أن محمد بن علي العباسي حينما أراد توجيه ونشر الدعوة العباسية ذكر أن الجزيرة حرورية مارقه. ينظر: رسائل الجاحظ، 1/ 16.

1) الفرق العددي بين طرفي النزاع ولاسيما، إن الخليفة أرسل حوالي ثمانية آلاف مقاتل من جند الشام، فضلاً عن، جيوش البصرة والتي كانت لها أثر في إخفاق تلك الحركة.

2) اقتحام شبيب وأتباعه نهر دجيل في الظلام، والذي اعتبر خطأ عسكرياً مما أدىإلى غرق بعض أتباعه بل غرقه هو.

3) ضآلة تدابيره العسكرية من تحصين،وخطط، وإمكانيات عسكرية.

المبحث الثاني

المعارضة الشيبانية من (99-127هـ/717-744م)

أولا: الموقف السياسي لبني شيبان من خلافة عمر بن عبدالعزيز:

ما أن تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة حتى بدأ النشاط الخارجي ينذر بالسوء مرة أخرى، ففي العراق ثار جماعة من بني ربيعة يقودهم بسطام بن مريمن بني يشكرمن بكر بن وائل الملقب بـــ(شوذب)[1]، وخرج معه ثمانون فارساً، وكانت بداية انطلاق الحركة من العراق بمنطقة (جوخى)[2].

وماعرف عن طبيعة عمر بن عبدالعزيز المجبولة على الأخلاق الكريمة وحب التسامح والسلام[3].فقد شجع ذلك المعارضين بالخروج عليه[4].

ومع ذلك، وانسجاماً مع منهجه السلمي، فقد دعا الخليفة الثائرين إلى المناظرة والحوار للوصول إلى الموقف الصائب[5]. وعند وصول الدعوة إلى زعيم المعارضة، قام بإرسال رجلين احدهما مولى لبني شيبان يدعى (عاصم)،والآخر

---

(1) البلاذري، انساب الأشراف، 1/ 165.

(2) جوخى: هو اسم نهر من سواد بغداد يقع بالجانب الشرقي وعليه كورة واسعة ولم يكن ببغداد كورة مثلها. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، 2/ 178.

(3) المسعودي، مروج الذهب، 3/ 200 –201.

(4) مجهول، العيون والحدائق، 3/ 41، الذهبي، تاريخ الإسلام، 1/ 385، الفراجي، حركات المعارضة، ص237.

(5) ينظر: الطبري، تاريخ، 9/ 1377.

(حبشياً) وتوجها إلى الشام حيث مقر الخليفة[1]، وكإجراء وقائي أمر الخليفة بتفتيش الرجلين خشية أن يكون معهما نوع من السلاح لمحاولة القضاء عليه[2].

وكانت مباحثات الخليفة مع الرجلين طويلة، لكنها دارت حول نقطة خلافية واحدة ألا وهي استخلاف يزيد بن عبدالملك من بعد عمر[3].

وبعد نهاية المناظرة، وكانت الغلبة فيها للخليفة لقوة بيانه وحجته، مما أستدعى احد عضوي الوفد[4]، أن يقول: (ماسمعت اليوم قط حجة أبين واقرب من حجتك..).

فيما قالا لعضو الآخر (الشيباني): ماأحسن ماقلت، وأبين ماوصفت ولكني لاأفتات على المسلمين (يعني جماعته) بأمر حتى أعرض عليهم قولك[5].

وخلاصة القول فان لبني شيبان إسهام في دعم الحركات المعارضة للأمويين من خلال إرسالهم أحد أتباعهم لمناظرة الخليفة.

ثانياً: حركة بهلول بن بشرالشيباني (119 هـ/ 737م):

بهلول بن بشر الشيباني الملقب بـ (كثارة)، نشأ بالموصل، وتميز بالشجاعة وسافر إلى الحج، واجتمع برؤساء الخوارج[6]، وكان معروفا عند الخليفة هشام بن عبد الملك بالبأس والشدة[7].

---

(1) القلقلشندي، مأثرالأنافة، 1/ 142.

(2) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2/ 273، مجهول، العيون والحدائق، 3/ 43.

(3) اليعقوبي، تاريخ، 307/2، الطبري، ن.م، 1389/9هـ، المسعودي، مروج الذهب، 200/3، أيضا: اليعقوبي، تاريخ، 307/2.

(4) الذي تكلم هوالعضو الغير عربي وتكاد تتفق المصادر على انه حبشي، الذهبي، تاريخ الإسلام، 1/ 385، المسعودي، مروج الذهب، 3/ 202.

(5) أبن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2/ 274، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، 3/ 46، أيضا: ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد، تحقيق السيد الجميلي، مكتبة الهلال، 1997م، 115 –116.

(6) أبن الأثير، الكامل، 5/ 209، الزركلي، الأعلام، 2/ 55، أيضا: سعيد، تاريخ موصل، 1/ 49.

(7) جاسم، مهند ماهر، الحركات المناهضة لخلافة مروان بن محمد في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد،، (1406هـ/1986)، 139.

ويشير الطبري[1]فخافهُ عامل الموصل، فكتب إلى هشام: (إن خارجة خرجت فعاثت وأفسدت، وانه لايأمن على ناحيته، ويسأله جنداً يقاتلهم بها، فكتب إليه هشام: وجه إليه كثارة بن بشر وكان هشام لايعرف بهلولاً إلا بلقبه فكتب إليه العامل: إن الخارجه وكثارة).

ويبدو إن بهلولاً كانت له طموحات فردية للوصول إلى السلطة واستطاع أن يجمع معه سبعين رجلاً معترضين على سياسة خالد بن عبدالله القسري[2]،وكان لهم رأي خاص فيه من خلال اتهامه بهدم المساجد وتوليه المجوس على المسلمين،وقد ابلغوا في اتهامه حتى نعتوه بابن النصرانية[3].

وبعد أن قويت شوكتهِ توجه من الجزيرة الفراتية نحو الكوفة، حيث تمكن من قتل عدد من أعدائه وبناء على توجيهات الوالي تم إرسال قائد ٍمن بني شيبان[4]، وكانت النتيجة لصالح بهلول و أتباعه.

وعندما كثر أتباع بهلول وازداد خطرهُ، أعلن تقدمه باتجاه الشامل قتال الخليفة في عقر دارهم ماحدا بالخليفة هشام إلى تشكيل جيش كبير من أهل الشام والعراق،

---

(1) تاريخ، 4/ 175.

(2) خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد القسري أبو هيثم أميرالعراقيين (الكوفة –البصرة) واحد الخطباء العرب من أهل دمشق تم تعيينه والي على مكة في عام (89 هــ/707م) في خلافة الوليد بن عبدالملك ثم ولاه هشام العراقين الكوفة والبصرة في عام (105هــ/723م) ثم عزله وقتل في أثناء خلافة الوليد بن يزيد في عام (127هــ/744م).

ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 19 / 53، الكتبي، الوفيات، 1/ 169، أيضا: العسقلاني، تهذيب التهذيب، دارإحياء التراث العربي، بيروت، ط2، (1413هــ / 1993م)، 10/2.

(3) الطبري، تاريخ، 4/ 177، ابن الجوزي، المنتظم حتى 257 هــ/ 7 / 194.

(4) القائد الذي أرسله وثمامة بنحو شب بن يزيد بن روييم الشيباني، احد القادة الأمويين في العراق.ينظر: الطبري، تاريخ، 4/ 176، الواسطي، تاريخ واسط، 1/ 206.

والجزيرة، واسند قيادته إلى خالد بن عبدالله القسري وبالمقابل قام بهلول بتقسيم جيشه إلى ميمنة وميسرة[1].

وجرت بينهم معركة بالقرب من (كحيل)[2]، وانتهت بمقتل بهلول بعد أن قاتل مع أصحابه قتالاً شديداً بالرغم من قلة عددهم[3].

ثالثاً: حركة سعيد بن بجدل الشيباني (126 هـ/743م):

قامت هذه الحركة بعد مقتل الخليفة الوليد مغتنمة اضطراب الأوضاع في الشام والعراق[4]، وتوجه أبن بهلول إلى الموصل في رمضان من السنة نفسها[5]، وذلك لضم وكسب الأتباع وتوضيح ماهية الحركة وأهدافها وكان عددهم مائتي رجلاً[6]، والمسرح السياسي لهما رضك فرتوثا[7]، وعند وصول سعيد نواحي الموصل لقي رجلاً من حمي ريق الله (أبا كرب)وكان قد خرج معه إتباع كثيرون ويسمى

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم حتى 257 هـ، 7 / 195، سعيد، تاريخ موصل، 1/ 49، الجنابي، خالد جاسم، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصرالأموي، ط2، دارالحرية للطباعة، بغداد، 1986، 169.

(2) كُحَيل: هو احد الأديرة بين الجزيرة والموصل ينظر: الشابشتي، أبوالحسن علي بن محمد (ت 388 هـ / 988 م)، الديارات، تحقيق كوركي سعواد، ط2، بغداد، 1966، 68.

(3) ابن كثير، البداية، 9 / 233، المسعودي، مروج الذهب، 3/ 207.

(4) ابن كثير، البداية، 10/ 25، فلها وزن، تاريخ الدولة، 373، النص، القبائل، 164/1.

(5) ابن خياط، تاريخ، 2/ 395.

(6) الطبري، تاريخ، 9/ 1811، أبن الاثير، الكامل، 5/ 208.

(7) كفرتوثا: هي قرية كبيرة من أعمال الجزيرة بينها وبين دارا خمسة فراس خشم الرأس العين، ياقوت، معجم، 4/ 468، والفرسخ يساوي ثلاثة أميال، والميل يساوي (4000) ذراع و (24) أصبعا أي يساوي ألف قامة، ينظر: مكسم ليان شترك، خطط بغداد وانهار العراق القديمة، ترجمة د. خالدإسماعيل العلي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1986، 14.

(أمير المؤمنين) فنظر في وقت خروج كل منهما فوجد أن سعيداً قد خرج قبله فسلم أباكر بالأمر إليه[1].

وبعد أنا زدادت قوته بدأت أنظاره تتجه نحو الكوفة، حيث كانت تتجاذبهُ آمال كبار لتوسيع سلطته وحركته، إلا انهُ اصطدم بخارجي أخر هو بسطام البيهسي[2]، وكان مخالف السعيد رأياً وعدداً فتصدى له الخيري احد قادة سعيد وتمكن من هزيمة بسطام وقتله مع جميع أصحابه[3]، أما عن سعيد فلم يحقق هدفه فقد مات بعد أن أصيب بمرض الطاعون وهو في طريقه إلى الكوفة[4].

وقبل وفاته أمر أصحابه بانتخاب رجلٍ من بعده يحاول إحياء سنة الراشدين في الشورى فاخرج عشرة رجال ثم قلصهم إلى أربعة فقال للأربعة اختاروا، فوقع اختيارهم على اثنين وهم، الضحاك بن قيس، وشيبان بن عبدالعزيز فوقع اختيارهم على الضحاك[5].

رابعاً: حركة الضحاك بن قيس الشيباني (127هـ/ 744م):

لم يكن موت سعيد بن بجدل نهاية المعارضة الشيبانية بقدر ماكانت بداية لعمل كبير في هذا الاتجاه، فتبوأ الضحاك بن قيس قيادة الحركة من جديد والضحاك هذا بن قيس بن الحصين بن ثعلبة بن زيد مناة بن عوف بن عمر بن عامر بن ذهل بن

---

(1) ابن خياط، تاريخ، 2/ 395.

(2) البيهسية: هي فرقة من فرق الخوارج التي انشقت من الازارقة، وتبعت أبا بيهس هيصم بن جابرالذي قتل عام 94هـ / 713م. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، 1/ 82.

(3) ابن خياط، تاريخ خليفة، 2/ 395، الطبري، تاريخ، 9/ 1812،

(4) ابن الأثير، الكامل، 5 / 208، الطبري، ن. م، 9/ 1812.

(5) الازدي، أبوزكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت 334هـ / 945م)، تاريخ الموصل، تحقيق علي جبيه، القاهرة، (1387 / 1967م)، 67، أيضا: المشهداني، محمد جاسم حمادي، الجزيرة الفراتية والموصل (127–218هـ / 744م–833)، بغداد، 1977، 472.

شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل[1]،ويكنى (بأبي سعيد) وهو من علماء الخوارج[2]. أعلن حركته اثر مقتل الخليفة الوليد (كساب قهِا بن بهدل) وأنشغال مروان بن محمد بالصراع على السلطة الأموية في الشام عام (127هـ/ 744م)[3].

وقد أراد الضحاك خلافا لما أراد سعيد من التوجه إلى الشام لقتال الأمويين في عقر دارهم، إلا أنه ذه الرغبة بدت لأصحابه سابقة لأوانها فِخالفوه الرأي[4].

إن الاستيلاء على الكوفة ليس بالأمر السهل بالنسبة لحركة فتية كهذه وإنما يتطلب هذا العمل الكثير من الرجال والمال والسلاح لهذا ومن خلال ادارك الضحاك وأصحابه لهذه الحقيقة فقد أرسل قواته إلى المدن التي يتناسب الاستيلاء عليها مع إمكانات الحركة[5].

ومن (شهر زور)[6]، اتجه الضحاك يريد المدائن للوصول إلى الكوفة، وترأس جيشه ثلاثة قواد هم: أبوالريش عثيل، صبناء بن عصمة[7]، وأدرك والي العراق عبدالله بن عمر[8] خطر الجيوش الزاحفة فتم تشكيل جيش لقتالهم ويبدو أن

---

(1) أبن قتيبة، المعارف، 181، ابن حزم، جمهرة الأنساب، 303.

(2) الجاحظ، البيان والتبين، 1/ 343، الازدي، تاريخ الموصل، 67.

(3) ابن خياط، تاريخ خليفة، 2/ 395، ابن كثير، البداية، 10 / 26، فلها وزن، الدولة العربية، 309.

(4) ابن خياط، م.ن، 2/ 395.

(5) مهند ماهر، الحركات المناهضة الخلافة مروان، 146.

(6) شهرزور: كورة بالجبال بين اربل وهمذان ياقوت، معجم، 3/ 375.

(7) ابن خياط، تاريخ الخليفة، 2/ 396.

(8) هو عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز تميز بالشجاعة وقد أعطاه الوليد بن يزيد ولاية العراق واحتفر له بالبصرة نهراً يسمى (ابن عمر). ينظر: ابن حزم، جمهرة الأنساب، 304، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، 3/ 157.

جيش الخلافة لم تكن لديه القدرة للمجابهة، بلساعد على فسح المجال لجيش الضحاك باجتياز نهر الفرات دون خسائر[1].

ويبدو أن الضحاك أستغل الانقسامات التي حدثت في العراق، إذ كان يضم فريقين متخاصمين وهم، اليمانية في الحيرة مع عبدالله بن عمر الذي لم يبايع الخليفة مروان بن محمد، والمضرية مع النضر بن سعيد الحرشي الذي عينه الخليفة مكان عبدالله، وكان الفريقان يقتتلان فيما بينهما[2]، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فان الكوفة لم تكن خالصة للحرشي إذ أن فيها أتباع الضحاك بن قيس وقد اخذوا يراسلونه ناعتيه بـــ (أميرالمؤمنين)[3].

ولما أحس الضحاك ببوادر الخلاف بين عبدالله بن عمر، والخلافة بدمشق فانه لم يأل جهداً في توظيف ذلك لصالحهِ ، فأسر عالى الكوفة[4]، لكن تطوراً من نوع اخر حصل بين المتخاصمين من اليمانية، والمضرية فوضعت ترتيبات سياسية هي اشبه بـــ(وفاق سياسي) في العراق بين النضر، وعبدالله بن عمر،ووحدا جهودهما لقتال الضحاك، ومنعه من التقدم صوب مرماه[5].

---

(1) ابن خياط، ن. م، 2/ 396.

(2) ينظر: الطبري، تاريخ، 9/ 1813، الذهبي، تاريخ الإسلام، 2/ 7.

(3) مهندماهر، الحركاتالمناهضة، 149.

(4) الطبري، ن.م، 9/ 1813، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، 158، أيضا: حمادي المشهداني، الجزيرة الفراتية، 477 –478.

(5) مؤلف مجهول، ن، م، 3/ 158، حمادي المشهداني، الجزيرة الفرتية، 477.

وجرت بين الطرفين معارك ضارية في النخيلة[1]. استمرت ثلاثة أيام متواصلة انتهت بمقتل عاصم بن عبدالعزيز، وإحلال الهزيمة بجيوش الخلافة انسحب خلالها عبدالله إلى واسط، وعاد بن سعيد إلى الشام[2].

وبعد أن خضعت الكوفة لسيطرة الضحاك عين من شيعته واليا عليها[3]، واستمر بالتقدم نحو واسط التي يتحصن بها عبدالله بن عمرو ضرب عليها حصاراً بعد معارك عنيفة جرت بينهما[4].

وقد وقع قتال بين عبدالله بن عمر و الضحاك، واستطاع الخوارج فرض الحصار على عبدالله وتضاربت الروايات حول مدته. فبعضها ذكر انه استمر ثلاثة أشهر، والبعض الآخر حدده (بستة أشهر)[5]،وفي روايات أخرى زادته إلى سنة[6].

وكان (باب الزاب)[7] مسرحاً لتلك المعارك[8]، حيث تمكن احد قادة عبدالله بن منصور بن جمهور من قتال الخوارج قتالا شديدا فيما أبدى فيها الضحاك وأتباعه

---

(1) النخيلة: هوموضع قرب الكوفةوكان الإمام علي(رضي الله عنه) يخرج إليها إذا أراد أن يخطب بالناس، ينظر: ياقوت، معجم، 5، 278، البكري، معجم ماستعجم، 4/ 1305.

(2) الطبري تاريخ، 9/ 1899، المسعودي، مروج، 3/ 255، حسن إبراهيم تاريخ الإسلام، 1/ 386.

(3) هو ملحان بن معروف الشيباني، وكان من الشراة الشجعان وقد التقى مع النضر بن سعيد الحرشي أثناء عودته فناشده النضر أن يكف عن قتاله ُويرجع فأبى ذلك فوقع قتالاً بينهم عند القادسية وانتهى بمقتل ملحان. ينظر: ابن كثير، البداية، 10 / 25، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، 3/ 157، أيضا: النجفي، تاريخ الكوفة، 400.

(4) ابن خياط، تاريخ، 2/ 395، حسن إبراهيم، ن. م، 1/ 387.

(5) ابن كثير، البداية 10/ 25، الازدي، تاريخ الموصل، 68، الوادي، عبدالرزاق، أحزاب المعارضة الأموية، مجلة العلوم الإنسانية، 44.

(6) ابن خياط، تاريخ خليفة، 2/ 398.

(7) من أبوا بمدينة واسط، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى نهر الزاب الذي يقع بالقرب من المدينة وقد حفره الحجاج لإرواء المناطق القريبة من المدينة. ينظر: المعاضيدي، واسط في العصرالأموي، 121.

(8) المعاضيدي، م.ن، 121.

شجاعة نادرة حتى تمكنوا من قتل عبدالحميد الكلبي ابن عم منصور. وبعد أن تبين لهم بان القتال مع الضحاك غير مجد لذلك أشار منصور على أبن عمر بمصالحة الضحاك فكان رد عبدالله عليه بالانتظار[1].

وعلى أية حال فبعد بضعة شهور من الحصار، أعلن عبدالله بن عمر استسلامه والدخول والانضمام إلى حركة الضحاك[2].

وقد اختلفت الروايات في كيفية إبرام الصلح بين الطرفين فالطبري[3]، يقول إن عبدالله بن عمر بعد أن دخل قائده في طاعة الخوارج رأى انه لاطاقة له بهم فأرسل إلى الضحاك فصالحه.

ويذكر (ابن خياط والذهبي)[4]، إن الضحاك أرسل إلى عبدالله بن عمر على أن يدخل في طاعته ويقويَّهِ على عمله فأعطاها بن عمر ذلك.

أما (البلاذري)[5]، في روي انه تم اتفاق بين منصور بن جمهور وابن عمر فكان الصلح ينص على أن يسير الضحاك إلى مروان فان قتل الضحاك فليس لأحد في عنق ابن عمر، وان قتل مروان صار مصير ابن عمر مع الضحاك.

ويبدو أن رواية البلاذري اقرب إلى الصواب، وذلك لان ماقاله منصور بن جمهور كان مقبولا في ظرف متأزم بالنسبة لابن عمر.

---

(1) الطبري، تاريخ، 9/ 1890، ابن الأثير، الكامل، 5/ 291.

(2) المسعودي، مروج الذهب، 256، ابن عساكر، تاريخ دمشق، 6/ 288–289، ابن كثير، البداية، 10، 25.

(3) تاريخ، 9/ 1890.

(4) تاريخ خليفة، 367/2، تاريخ الإسلام، 209/2.

(5) انساب الأشراف، 6/ 165

هذا وصالَحَ (ابن عمر منصور) على أن تكون الكوفة وسوادها في يد الضحاك وكسكر، وميسان، وكوردجلة، والفرات، والاحواز بيد ابن عمر[1].

والملاحظ هنا إن حصة ابن عمر اكبر من حصة الضحاك، ويبدو أن الأخير أراد السلام مع ابن عمر بأي صورة لكي يحافظ على جنده وقواده لمواجهة الخليفة مروان بن محمد[2].

والظاهر إن حركة الضحاك اكتسبت دعماً جديداً بعد انضمام(عبدالله) فان مسيرتها تعززت بانضمام أموي آخر هو سليمان بن هشام بن عبد الملك، وفي ذلك قال بعض شعراء الخوارج[3].

الــمتر أن الله اظهر دينه * وصلت قريش خلف بكر بن وائل

والواقع أن شعرا مثل هذا يمثل انعكاساً لما يجري، إذ كانت حركة بني شيبان من القوة، بحيث ان قادت لها إرادة بعض رؤوس الأمويين.

ويعلق فلها وزن[4]،على ذلك بالقول، لم يكن الانتقال في السياسة فقط بلكان في الدين أيضا، وبعد انضمام عبدالله بن عمرأصبح العراق كله في قبضته[5].

---

(1) الذهبي، دول الإسلام، 1 / 117، والعبر في خبر من غبر، 1/ 127.

(2) مهند ماهر، حركات المناهضة لمروان بن محمد، 157.

(3) الجاحظ، البيان والتبين، 1/ 343، ابن حزم، جمهرة انساب العرب، 303، ابن عساكر، تاريخ دمشق، 6/ 288 –289، أبن خياط، تاريخ خليفة، 307/2.

(4) الدولة العربية، 309.

(5) بعد أن تمكن الضحاك من السيطرة على أجزاء عديدة من العراق، وبموجب أوامره تم تعيين عبدالله بن عمر واليا على العراق، وأصبح عدد جيشه منه عشرين آلف مقاتل، وجيش سليمان الذي كان عددهم يقدر بأربعة آلاف مقاتل هذا العدد كان سببا في تقدمه ينظر: الازدي، تاريخ الموصل، 689، ابوجيب، مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دار لسان العرب، بيروت، 1972، 44.

فتنامت قدرة الضحاك القتالية فأراد أضعاف قوة خصمهِ الأمويين فسار باتجاه مسرح الخوارج المعهودة (الجزيرة الفراتية) وأصبح بمقدورهِ أن يتقدم مرة أخرى إلى ناحية الشمال دون أن يخشى قوة الخليفة مروان بن محمد[1]، ولكن والي الموصل القطران بن اكمه الشيباني أعلن مقاومته لجيش الضحاك، ونتيجة لعدم التكافؤ والتوازن بين القوتين تمكن الضحاك من قتلهِ والاستيلاء على الموصل عام 128 هـ[2].

وبعد أن عظمت حركة الضحاك أمر الخليفة بإرسال ابنه عبدالله وهو بالجزيرة بالمسير إليها، وكان عدد جندهِ ثمانية آلاف مقاتل وتم اختيار مدينة نصيبين[3]. المرابطة لمنع الضحاك من توسط الجزيرة[4]، أما عن الخطة التي اتبعها الضحاك فهي محاصرة مدينة نصيبين فوجه قائدين من قواده احدهما عبدالملك بن بشر التغلبي إلى نصيبين، والآخر بدر الذكواني في أربعة آلاف إلى مدينة الرقة[5]، وجرت بين الطرفين معركة اضطر خلالها عبدالله من الانسحاب خلف أبراج المدينة حيث حوصر هنالك[6]، فسارع الخليفة لنجدة ولده فوجه عمر بن هبيرة الفزاري الذي استطاع تخليص الكوفة من أتباع الضحاك[7].

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، 2/ 838، الطبري، تاريخ، 9 / 1938، الازدي، م.ن، 69.

(2) ابن خياط، تاريخ 2/ 307، مجهول، العيون والحدائق، 3/ 159، حمادي المشهداني، الجزيرة الفراتية، 493، سعيد، تاريخ الموصل، 1/ 49.

(3) نصيبين: هي مدينة كبيرة بالجزيرة بينها وبين رأس العين خمسة عشر فرسخا ياقوت، معجم، 3/ 14.

(4) ابن خياط، تاريخ، 2/ 398–399، الازدي، تاريخ موصل، 69.

(5) الرقة: هي مدينة مشهورة علي الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام في بلاد الجزيرة تقع على جانب الفرات الشرقي. المقدسي، أحسن التقاسيم، 162/1، ياقوت، معجم، 58/3.

(6) الطبري، تاريخ، 9 / 1939، الذهبي، العبر في خبر من غبر، 1/ 127، مجهول العيون والحدائق، 3/ 159.

(7) الطبري، ن. م، 9 / 1939، ابن كثير، البداية، 10 / 28، حمادي المشهداني، الجزيرة الفراتية، 495.

ونتيجة لضخامة الحركة وطولا مدها كانت بلا ريب مصدراً يهدد الخلافة، الأمر الذي دفع الأخيرة لمواجهة الموقف بأكثر حدة فالتقى الطرفان في(كفرتوثا). وتذكر الراويات على أن أصحاب الضحاك قالوا له: (قد اجتمع لكما لم يجتمع لرجل على رأيك منذ اختلف الناس فلا تباشر القتال بنفسك، ووجه الخيل، وكن وراء المسلمين، تمدهم إن أرادوا المدد[1]، فكان جوابه (إني والله مالي في دنياكم هذه حاجة وإنما أردت هذا الطاغية، وقد جعلت لله علي أن احمل عليكم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وعلي دين سبعة دراهم معي منها ثلاثة دراهم ..)[2]،وبالرغم من ذلك فانه كان مصمماً على قتل الخليفة[3].

وبذلك برهن الضحاك على تفانيهِ في سبيل المبدأ، والعقيدة الخارجية، لان قتل الخليفة يعني انهيار فلسفة الحكم القائم منجهة، وانتصار المبدأ الخارجي من جهة أخرى، فالنظام هو العدو وليس شخص الخليفة[4]، يتضح مماتقدم إن المعركة كانت شديدة بين الطرفين قاتل أصحاب الضحاك فيها قتالاً عنيفاً واستطاعت قوات الخلافة من دحر جيشه بعد تكبده خسائر في الأرواح بلغت نحو ستة آلاف مقاتل بما فيهم الضحاك نفسه[5]، ويشير (ابن خلدون)[6]، إن تحقيق الانتصار جاء نتيجة إتباع مروان نظاماً جديداً في الجيش، إذا أبطل نظام الصفوف واتخذ مكانها نظام الكراديس بحيث تمكنت ميمنة جيش الخليفة من هزيمة ميسرة جيش الضحاك وبهذا تخلصت

(1) اليعقوبي، تاريخ 2/ 388 / 389، ابن خياط، تاريخ خليفة، 2/ 399، الازدي، تاريخ الموصل، 7

(2) الذهبي، دول الإسلام، 1/ 117، الحنبلي، شذرات، 1/ 174، حمادي المشهداني، الجزيرة الفراتية، 504.

(3) حمادي المشهداني، م.ن، 504.

(4) مهند ماهر، الحركات، 169.

(5) ابن كثير، البداية، 10 / 28، الحنبلي، شذرات، 1/ 174، أبوجيب، مروان بن محمد، 44.

(6) المقدمة، 273.

الدولة من محارب لعب دوراً كبيراً في تنظيم حركات المعارضة وحقق نجاحات منقطعة النظير فيما اعتبر نصر كبير للأمويين.

المبحث الثالث

سمات حركات المعارضةالشيبانية

أن حركات المعارضة في الدولة العربية الإسلامية تمثل في الواقع اختلاف وجهات النظر بين كتل ومجموعات سياسية من جهة، وبين الحكم القائم من جهة أخرى منه اما اعتمدت الجانب الديني (العقائدي) كوسيلة لتنظيم حركة مناوئه لنظام الحكم مثلما يلاحظ في حركة شبيب بن يزيد الشيباني، ومنه اما جمع بين الفكرة المناوئة لنظام الحكم وبين السلاح كوسيلة للمواجهة مثل حركة سعيد وبهلول والضحاك ومنها، مااتخذت أسلوب المفاوضات السياسية حول طبيعة الحكم وقضايا عقائدية، وفكرية مثل حركة بسطام في خلافة عمر بن عبدالعزيز[1].

لقد أولت السلطة الأموية جل اهتمامها الأمني بالجزيرة الفراتية لأنها كانت مسرحاً لتلك الحركات[2]، وعدت ثغراً مهماً للدولة العربية فلابد أن تكون فئة المقاتلة اقوي من الفئة الأخرى[3].

فعملت بشكل حازم في قطع دابرها، ويتجلى ذلك من خلال تعيين قادة أكفاء أمثال سفيان بن الأبرد، وعمر بن يزيد بن هبيرة الفزاري. كما كانت معظم القبائل القاطنة في الجزيرة الفراتية محرومة من العطاء، ولاسيما إن أكثرها مقاتلة، وانعدم دفع العطاء في وقته المحدد يعد مشكلة كبيرة واجهت الخلفاء الأمويين وخصوصاً

---

(1) ينظر: الفراجي، حركات المعارضة الأموية، 83.

(2) الجاحظ، رسائل، 1/ 16، الهمذاني، صفة جزيرة العرب، 171–172، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 6/ 248.

(3) الجنابي، تنظيمات الجيش، 169.

المتأخرين منهم ويشير أبو يعلى[1]. أن يزيد بن عبدالملك قال لأسامة بن زيد كاتبه على ديوان الجند (إذا رأيت هل المحرم فصل العطاء من غير مؤامرة، وأعط الناس أرزاقهم من غير مراجعة).

وبعد فان مشكلةالجزيرة الفراتية، والموصل لم تُحَل بمجيء العهد الجديد (العباسيين)، فيرى احد المختصين في الثورة العباسية[2]، إن ذلك الأمر يرجع إلى سببين: أما الأول فهو أهمية الموقع الجغرافي للإقليم، وضمه لعناصر واقليمات مختلفة الاتجاهات والنزعات، وهذه من شانها أن تكون يسيرة الانقياد وراء كل نزعة معارضة للخلافة الأموية وعليه فإنهم أعلنوا من هنا كأنهم عونٌو أنصارٌ للضعفاء والمضطهدين، من جهة وأعداء للمستبدين من جهة أخرى.

وعن السبب الثاني فان اختيار المنطقة المذكورة أيضا، من قادة المعارضة يعد ترغيباً لأعراب الإقليم بالمغانم، والمكاسب المادية إذا ماتحقق لهم الفوز في غمار الحروب التي يخوضونها، أما عند خذلانها فان عمق البادية الفراتية يوفر لهم غطاءً آمناً عند الانسحاب باتجاه العراق وبلاد الشام.

فضلاً عن السياسة الاقتصادية للأمويين تجاه أبناء الجزيرة، وخصوصاً إرهاق أهالي المنطقة بالضرائب التي تزداد أحيانا عقب بعض محاولات التمرد التي قام بها

(1) الأحكام السلطانية، 79، ويذكرالطبري إن أسامة بن زيد كان عاملاً على مصر في خلافة يزيد بن عبدالملك سنة 102 هـ / 720 م، تاريخ، 4 / 172، وهو غير أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

(2) فاروق عمر، العباسيون الأوائل، 1/ 247.

الأهالي[1]، وهذا مايسبب ردة فعل أخرى عند الأهالي فيقيمون على السلطة، ويثيرون لها القلاقل بين الحين والآخر.

وقد وفرت هذه الحركات فرصة مؤاتية للعباسيين للوصول إلى الخلافة، بما أحدثته من تصدع، وضعف، وإجهاد في كيان الدولة الأموية فضلاً عن، أنها استقطبت اهتمام الدولة الأموية نحوها، ثم إن العباسيين أدركوا أهمية الجزيرة، فوجدوا إن معظم سكانها يؤيدونهم في ثورتهم الموعودة فهم الذين سيطروا على أقسام كبيرة من الجزيرة والعراق، في عهد مروان بن محمد[2].

ومن خلال دراستي لحركات المعارضة الشيبانية على عهد الأمويين، أود تسجيل الملاحظات الآتية:

1) **تباين الأهداف مع وجود التنسيق والتخطيط:** كانت هذه الحركات تعبر عن مدى التزام القائمين بها تجاه مصالحهم التي هددتها سياسة الأمويين في منطقة الجزيرة وعلى الرغم من ظهور بعض الحركات بالمظهر الديني (مثل حركة شبيب) إلا أنها مثلت اتجاهاً سياسياً كبيراً من خلال انضمام الأعداد الكثيرة لها، وكانت بالنسبة لهم تعبيراً عن معارضتهم للنظام وهنا كبعض الحركات اقتصرت على خلع الوالي أو قتل عامل المدينة مثل حركة بهلول الشيباني ومحاولة القضاء على خالد بن عبد الله[3].

---

(1) محمد رياض عبد الله، سياسة الدولة العباسية اتجاه بني أمية حتى نهاية العصر العباسي الأول (132 هـ– 247هـ/ 749 م– 861 م)، رسالة ماجستير غيرمنشورة، جامعة تكريت، كلية التربية، 2002 م، 117.

(2) فاروق عمر، العباسيون الأوائل، 1/ 247.

(3) الطبري، تاريخ، 4/ 177، ابن الجوزي، المنتظم، 7/ 194.

كما كان لوجود التنسيق وتوحيد جهود القائمين عليها، فعندما أثار سعيد أبن بجدل حصلت ثورات خارجية معه في آن واحد، منها ثورة أبي حمزة (128هـ/ 348 م) وثورة شبيب بن مسلم عام (130هـ/747م)[1].

2) اتخاذ حركات المعارضة من انضمام بعض أمراء بني أمية رمزاً للتعبير عن تحديها للسلطة، والتي تمثلت بحركة الضحاك، وانضمام عبدالله بن عمر وسليمان إلى تلك الحركة[2].

3) كانت تلك الحركات كبيرة الحجم، وشديدة الخطورة على الدولة إذ جمعت لها أتباعا ولا سيما حركة شبيب، والضحاك التي وصل عددهم إلى مائة وعشرين ألفا أو يزيدون[3].

4) ومع كلما قيل عن معارضة بني شيبان ورفعهم لواء المعارضة بوجه الخلافة الأموية، إلا أن ذلك لاينفي وجود قادة منهما خلصوا الولاء للأمويين مثل القطران، وثمامة بن يزيد، وفي كل الأحوال إن تلك الحركات انتهت بأضعاف الدولة الأموية وأوشكت هي الأخرى على نهايتها أيضا[4].

---

(1) حمادي المشهداني، الجزيرة الفراتية، 465.

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، 6/ 288 –289، فلها وزن، الدولة العربية، 309.

(3) ابن خياط، تاريخ، 2/ 397، حمادي المشهداني، الجزيرة الفراتية، 488.

(4) الازدي، تاريخ الموصل، 68، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، 3/ 159.

الباب الرابع

الاسهامات العلمية والأدبية

لقبيلة بني شيبان

الفصل الأول

إسهامات قبيلة بني شيبان

في علوم الحديث والفقه

- المبحث الأول: إسهاماتهم في علم الحديث
- المبحث الثاني: إسهاماتهم في علم الفقه

المبحث الأول

إسهاماتهم في علم الحديث

الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن الضحاك، ولد في مكة المكرمة عام (122هـ/ 738م) ويكني بـ (أبي عاصم النبيل)(1).

نشأ بالبصرة وكان لهذه البيئة أثراً في توجهه لدراسة العلوم الشرعية، ومنها حفظ القرآن الكريم، ودراسة الحديث الشريف، ثم اقترح علي أهله أن يحضر مجالس العلماء، ويكتب العلم ويدرسه، فأجيب علي طلبه(2).

أخذ بعد ذلك ينتقل بين مجالس العلماء لينهل منهم العلوم كالطير ينتقل بين الأشجار ويأخذ من كل شجرة ما يختار من ثمارها، وسمع الحديث بأقاليم عديدة منها العراق، ومصر، وبلاد الشام، والحجاز(3).

وفي الحجاز، أختص بالأمام مالك يأخذ عنه الحديث، وبعد أن بلغ مبلغ العلماء، أخذ يدرس الحديث فكون تلاميذ له، ومن أشهرهم الأمام البخاري(4).

وكان الضحاك يتمتع بالقوة العقلية الواعية، ذو جلد وصبر ومثابرة، فكان يغالب المعوقات التي تقف أمامه في سبيل طلب العلم، وكان يحث تلاميذه علي

---

(1) لقب بالنبيل لنبله وعقله، وقيل لأنه يلبس جيد الثياب، ينظر: العسقلاني، تهذيب التهذيب، 571/2، ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، 27/7-28، أيضاً الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم، دار الفرقان، عمان، (1404هـ)، 74/1.

(2) القزويني: الخليل بن عبد الله بن احمد الخليلي (ت 446هـ / 1045م)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشيد، الرياض، (1409هـ)، 519/2.

(3) القزويني: م.ن، 520.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، القسم الثاني، 44/5، الأسماعيلي، أبوبكر احمد بن إبراهيم (ت366هـ) اعتقادات أئمة الحدي، تحقيق: محمد عبد الرحمن، دار العاصمة للنشر، الرياض، (1412هـ)، 98/1.

الصبر في ذلك، وأن تجربته أعطته قوة وإرادة وعزيمة جعلته يواجه مشكلات الحياة، وجعلته يستولي علي أهوائه وشهواته ولم يضعف أمام ذي السلطان[1].

ويشير العسقلاني[2] أن رجلاً قدم علي احمد بن حنبل، وكان الرجل من البصرة فقال له الأمام: تسمعون مني وأبو عاصم في الحياة. فما كان علي الرجل إلا أن يعود يسمع الحديث من أبي عاصم. وفي عام 213هـ - 828م توفي أمام الحديث وقد نيف علي التسعين[3].

ومن المؤسف حقاً إننا لم نعثر علي آثاره العلمية ولعل المستقبل يخبرنا من ذلك بشيء.

---

(1) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، 371/3، وابن عساكر، تاريخ دمشق 28/7.

(2) تهذيب التهذيب، 571/2.

(3) ابن قتيبة، المعارف ص 227.

المبحث الثاني

إسهاماتهم في علم الفقه

ظهر من بني شيبان كما ظهر من غيرها أبناء ساهموا في بناء دولة الإسلام في شتي الميادين فضلاً عما ذكر في جوانب السياسة والإدارة، فإن ثمة آخرين تبوؤا مقاعد الصدارة في العلوم والمعارف المختلفة ولعل أبرزهم:

محمد بن حسن الشيباني، ولد بواسط عام (131هــ/ 749م) ويكنى أبو عبد الله، ونشأ بالكوفة وكان مولى لبني شيبان[1]، وأصله من دمشق من أهل قرية حرستا[2].

ولما انتقلت أسرته من الكوفة إلي بغداد أقبل محمد منذ نعومة أظفاره إلي دراسة الإسلام فحفظ القرآن الكريم، واخذ يدرس العربية والحديث[3].

ظهرت عليه إمارات النجابة منذ بواكير عمره، فالتقي الإمام أبي حنيفة وتتلمذ علي يده ونهل من علمه، إذ لازمه حتى وفاته وهو لم يتجاوز العقد الثاني من عمره، وهذا دليل تبكير نبوغه، واستعداده للتفقه[4].

---

(1) ابن النديم، ابو الفرج محمد بن إسحاق (ت 385هــ / 595م)، الفهرست، القاهرة، المكتبة التجارية، 101/1 وأنظر السمعاني، الأنساب، 483/3 .

(2) حرستا هي قرية كبيرة علي طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ. أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، 241/2.

(3) النسائي: احمد بن شعيب بن عبد الرحمن (ت 303ه/ 915 م، السنن الكبرى) تحقيق: البنداري، دار الكتب العلمية بيروت،1411 ه، 1991م،ط1، 110/1 أيضاً بن سعيد، مال الدين احمد بن محمد ((ت 593-1196م) كتاب أصول الدين، تحقيق: عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1991،1م، 85،1.

(4)الأنباري أبو بركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد،نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، (1418ه، 1998م) الشافعي، طبقات الفقهاء،135، الجندي، عبد الحليم، أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام، مصر، دار سعد، 1945م، ص206.

واصل محمد الشيباني تعليمه فاستكمل فقه العراق علي أبي يوسف صاحب الأمام أبي حنيفة وقاضي الدولة الأكبر، فشارك أستاذه في إرساء قواعد مدرسة (الأحناف) بعد وفاة مؤسسها ومدرسها الأول ليتولاها الفقيهان الجليلان، فأصبحوا سيدا هذا الباب، وأن تلقيه عن أبي يوسف الفقه جعله في مقدمة رجال مدرسة الرأي وكانت له مهارة بالحساب والتدوين(1). بعد ذلك طاف ببعض الأقاليم الإسلامية ولا سيما الحجاز ليلتقي الإمام مالك بن انس(2)وليس بعيداً أن درس فقه مدرسته في الحديث والرواية.

ثم تأثر بالإمام الشافعي(3) وربطت الاثنين علاقة حميمة، وكان الشافعي واحداً من الذين قرضوا سيرة (أبو عبد الله) فقال عن أستاذه ما رأيت أحداً سئل عن مسألة فيها نظر إلا رأيت الكراهية في وجهه إلا محمد بن الحسن الشيباني، وما رأيت أعلم بكتاب الله منه أحداً ولا أفصح منه، وما رأيت أعلم بالحلال والحرام والناسخ والمنسوخ منه(4).

ويشير (الخطيب البغدادي)(5)بان الرشيد قدم ذات يوم إلي مجلس العلماء، وان من بينهم (محمد) فقام إليه الناس ولم يقم محمد وعندما حاول بعض الواشين الإساءة إلي علاقتهما الطيبة استجوبه الخليفة فكان رد الشيباني أنه جعله بمنزلة العلماء وانه

---

(1)الذهبي، العبر في خبر من غبر،1،234، الشرباطي، احمد، كتاب الهلال، الأئمة الأربعة سلسلة شهرية، دار الهلال، العدد 1384،162ه، 1964م، 35.

(2)مالك بن أنس ولد في عام 93هـ وأبوه ينتمي إلي قبيلة أصبحاليمانية، وأمه تنتمي إلي قبيلة الأزداليمانية أيضاً وكانت ولادته في المدينة المنورة وفيها أخذ الفقه من ائمة مدرسة الحديث وصاغ مذهبه الفقهي السمعاني، الأنساب، 3،485، ابن الوردي، تمتة المختصر، 1،307، أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 383.

(3) السبكي، تاج الدين بن علي السبكي (ت 717هـ) طبقات الشافعية الكبرى، 10 أجزاء، هجر للطباعة والنشر، ط 2، 1413هـ، تحقيق د: محمود محمد الطماحي، ص 138.

(4)الأنباري، نزهة الالباء، 79، الشافعي،م،ن 135، أيضاًأبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 280.

(5)تاريخ بغداد،ج 2،ص 173.

أهله ليكون عالماً وليس خادماً، واقتنع الخليفة برأيه ودهائه ثم ولاه فيما بعد قضاء الرقة[1].

ويبدو أن العلاقة بينهما كانت جيدة، فيروي أن الرشيد في عام (189هـ/804م) خرج معه محمد بن الحسن إلي (الري) فصادف أن توفي محمد والكسائي هنالك وفي السنة ذاتها، فعبر عن حزنه عليهما فقال: دفنا الفقه والنحو بالري[2].

أن شهرته في الفقه جاءت من سعة علمه ومؤلفاته العديدة ومنها السير الكبير، والسير الصغير، الجامع الكبير، والجامع الصغير، والمبسوط والإجازات الكبير والإجازات الصغير[3].

ومن مؤلفاته في الأصول منها، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتب المنسك، كتاب نوادر الصلاة، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، وكتاب العتاق، كتاب العتاق وأمهات الأولاد، كتاب السلم واليسوع، كتاب المضاربة الكبير، والمضاربة الصغير[4].

أما كتاب السير الكبير فقد طبع في دائرة المعارف العثمانية في عامي (1916م-1917م) وطبع مرة أخري في القاهرة عام 1926م، وفي عام 1970م نشره صلاح الدين المنجد في بيروت 1989م. أما كتاب السير الصغير في فقه الحرب فقد طبع في عام 1975م ونشره مجيد خدوري في بيروت في الدار المتحدة

---

(1)الرقة: هي مدينة مشهورة علي الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة وتقع علي بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي ياقوت، معجم، ج3، ص57.

(2)ابن النديم، الفهرست، 287، ابن قتيتبة، المعارف، 219، ابن شهبة، طبقات الشافعية /18.

(3)ابن النديم ن،م، 287، الذهبي العبر في خبر من غبر،234/1، أيضاً الجندي أبو حنيفة،96.

(4)ابن النديم، الفهرست، 287.

للنشر وكتاب الجامع الكبير طبع في عام (1937م) في لجنة أحياء المعارف العثمانية، وطبع في القاهرة بدون سنة طبع[1].

أما كتاب الجامع الصغير فقد طبع بالهند في عامي (1892-1975م). وطبع في بيروت(1994م) وكتاب المبسوط طبع بالقاهرة عام(1912م) صححه محمد راضي الحنفي، طبع مرة أخري في كراتشي عام (1993م) تحقيق أبو الوفا الأفغاني[2].

وعلاوة عن تخصصه بالفقه، فقد كان مولعاً باللغة أيضا فثمة علاقة متينة تربطه مع أحد أئمة اللغة وهو الكسائي[3].

ومما تقدم تبين، أن محمد بن الحسن كان له حب وممارسة لعلم الفقه أولاً واللغة ثانياً، وكان محباً للعلم جاداً في طلبه يتحمل في سبيله كل مشقة، وذكر أنه كانت لديه ثلاثون ألف درهم، أنفق نصفها علي النحو والشعر، فيما أنفق النصف الآخر علي الحديث والفقه[4].

توفي محمد بن الحسن عام (189ه/804م) بعد أن قدم للإسلام خدمة عظيمة، ولا سيما في علم الفقه، وتأسياً عليه فقد رثاه أحد الشعراء بقوله:[5]

آسيت علي قاضي القضاة محمد * فأرق عيني والعيون هجود

وأقلقني موت الكسائي بعده * فكادت في الأرض تميد

أما في التاريخ فقد برز منهم الكندي وابن الأثير وأبن حنبل وغيرهم من العلماء.

---

(1)ذخائر التراث العربي الإسلامي، اللجنة الوطنية،ط1، جامعة البصرة،624/1.

(2)ذخائر التراث العربي،624/1.

(3)اليعقوبي، تاريخ، 432/2، ابن الوردي، تمته المختصر، 31/1.

(4)الأنباري، نزهة الألباء، ص 79، الحنبلي، شذرات 323/1.

(5)ابن النديم، الفهرست،287 مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ص 351.

الفصل الثاني

إسهامات قبيلة بني شيبان

في اللغة العربية وآدابها

- المبحث الأول: إسهاماتهم في علوم اللغة
- المبحث الثاني: إسهاماتهم في الحياة الأدبية

المبحث الأول

إسهاماتهم في علوم اللغة

ظهر من بني شيبان من عني واهتم باللغة والنحو، وهو أبو عمرو الشيباني، إسحاق بن مرارة، ويكني (أبو عمرو) نسبة إلي ولده عمرو[1]، وقيل عن نسبه أنه لم يكن شيبانياً ولكنه كان مؤدباً لأولاد ناس من بني شيبان، فنسب إليهم[2].

نشأ بالكوفة وقد ظهر أثرها واضحاً في كثير من مروياته عن قبائل العرب المختلفة سواء تلك التي عاشت في الكوفة، أو في باديتها القريبة، فضلا عن أنه كان كثير الخروج إلي البادية للحصول علي اللغة السليمة التي لم تتأثر باللغات الأخرى نتيجة الاختلاط[3].

وظهر ذلك جلياً فيما قام به عمرو، من خلاله شعراً لقبائل عربية شتي، حتى جمع لثمانين قبيلة هذا من ناحية، ومن ناحية أخري اهتم بكتابة المصاحف فكتب ثمانين مصحفاً بخطه وجعلها في مسجد الكوفة[4].

والعمل الأخير يعده مفخرة تستحق الثناء والذكر.

ولم يكن لعمرو الشيباني دوراً في السياسة، سوي أنه شهد بعض الأحداث السياسية في تلك الفترة، ومنها ثورة زيد بن علي بن الحسين (ع) في عام (121هـ/ 738م) في الكوفة[5].

---

(1)ينظر الشيباني، أبو عمرو، الجيم، تحقيق: إبراهيم الأنباري، راجعه محمد خلف الله احمد، القاهرة الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية،(1394ه،1974م) 8/1، ابن النديم،101/1، الاصفهاني، الاغابي،51/8.

(2)أبن خلكان، وفيات الاعيان، 180/1، البغدادي، تاريخ بغداد، 425/8.

(3)الأنباري، نزهة الالباء في طبقات الأدباء86،العسقلاني، الإصابة،15/1، ابن كثير البداية،201/10.

(4)الأنباري، نزهة الالباء،87، الزبيدي، الحياة الاجتماعية في الكوفة،389.

(5)الاصفهاني، الاغابي، 93/10، الحلي، عبود جودي عبودي، أبو عمرو الشيباني وجهوده في الرواية الأدبية، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة بغداد كلية التربية، (1409ه،1988م،9.

شهد أبو عمرو تطور الحياة الفكرية في أواخر العصر الأموي وعاش أوج ازدهارها في العصر العباسي الأول، ولا سيما عندما بدأت أنظاره تتجه نحو بغداد ليأخذ مكانه بين العلماء الذين قدموا إليها من كل حدب وصوب[1].

ونتيجة لارتقائه مصاف العلماء من خلال ثقافته وكثرة حفظه للحديث وشهرته أصبح لديه مجلس ضم طلاباً من مختلف أقاليم العالم الإسلامي، فضلا عن أنه حظي بمكانة مهمة في دار الخلافة، إذ عني بتعليم أولاد الخليفة الرشيد[2].

وكانت علاقته مع تلاميذه علاقة حب واحترام إلي حد كبير، ويكفي أن نشير إلي أن الإمام احمد بن حنبل كان من بين هؤلاء التلاميذ[3].

ويروي عن بعض تلاميذه أنه عمر مدة طويلة قاربت المائة والعشرين عاماً، وكان يكتب بيده إلي أن مات[4].

وعلي هامش ثقافته اللغوية والأدبية بشكل عام، كان أبو عمرو يشارك مجتمعه ومؤسساته بالحديث والرأي، فكان يتردد علي مجالس القضاء وربما أبدي رأياً فيها[5].

---

(1)البغدادي، عبد القادر عمر (1093ه) خزانة الأدب ولب لسان العرب علي شواهد الشرح الكافية، ط1، بيروت (بلا، ت)656، الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد بن محمد المرزوقي وآخرون، دار صادر، بيروت (1391ه،1971م، 425/8.

(2)الانباري، نزهة الالباء، 86، البغدادي، تاريخ بغداد 230/6، أيضاً الحلي، أبو عمرو 33.

(3)ينظر،ياقوت معجم الأدباء، مطبوعات دار المأمون، مصر، ط1 (بلا ت) 82/6، البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين، مطبعة البهية، استنابول،ط3، (1387ه/1947م)،197/1.

(4)ابن الوردي، زين الدين عمر، تمتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أمد رفعت البداوي، دار المعرفة، بيروت،ط9/(197/1138م)، 324/1، البغدادي، أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي، ذيل الامالي والنوادر، ط2، دار الجيل بيروت(1407ه/1987م)،275/2، الحنبلي شذرات،32/2.

(5)وكيع محمد خلف بن حيان، أخبار القضاة، تصحيح عبد العزيز مصطفي المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة،ط1، (1391ه/1947م)،،212/2.

وطفقت شهرة أبي عمرو من خلال تفقهه باللغة،فأصبح عالماً موسوعياً، وله من التأليف:

كتاب الختم، والنوادر، وغريب الحديث، وخلق الإنسان، واللغات، وأشعار القبائل، والحروف، والنوادر الكبير، والجيم باللغة[1].

لم تنشر هذه الكتب سوي كتاب (الجيم باللغة) في عامي (1974–1975م) بتحقيق إبراهيم الأنباري في القاهرة (مجمع اللغة العربية)[2]

ويشير (الأنباري)[3]، أن رجلاً دخل علي أبي عمرو، فرأي بين يديه مجموعة يسيرة من الكتب والمؤلفات فقال له الرجل: هل هذا جميع علمك، فأجابه: إن هذا صندوق كبير.

توفي أبو عمرو في بغداد عام (213هـ/ 828م)[4].

---

(1)ابن خلكان، وفيات الأعيان،180/1، النديم، الفهرست،101، الأنصاري، صفي الدين احمد بن عبد الله، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المطبوعات الإسلامية، حلب،ط1971،1م،197/1.

(2)ذخائر التراث العربي الإسلامي، 626/1.

(3)نزهة الالباء، 78.

(4)الذهبي، العبر،281/1، السيوطي، تاريخ الخلفاء، 308، أبو الفداء الملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيل (ت 1331/732م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، ط1، (بلا،ت)،28/2.

المبحث الثاني

إسهاماتهم في الحياة الأدبية

الشعر:

الشعراء من الرجال:

يعد الشعر مظهراً من مظاهر التعبير عن العقلية العربية، لأن الثقافة العربية لم تكن قائمة علي الصنعة والتكلف، أنما علي البديهية والارتجال[1].

وتضمن الشعر العربي وصفاً للبيئة الطبيعية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، وما رمي إليه من المدح والفخر والهجاء، فضلاً عما أشار إليه من وقائع وقيم اجتماعية ودينية وسياسية[2].

ومن الشعراء الشيبانيين، عتبان بن أصيلة، ويقال وصيلة، وأصيلة اسم أمه وهي من بني محلم، ووالده هو شراحيل بن شريك بن عبد الله بن حصين بن ابي عمرو بن عوف بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان[3]. تميزت أشعاره بالفخر ولا سيما بنسبه، وبخوارج بني شيبان، وكان له موقف مع الخليفة عبد الملك بعد أن فخر ببعض الشخصيات الشيبانية، التي أعلنت معارضتها للخلافة الأموية فيقول في ذلك:[4]

فإن يك منكم مروان وابنه * وعمرو منكم هاشم وحبيب

فمنا سويد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فوارسنا ومن يلقهم يلق حتفه * ومن ينج منهم ينج سليب

---

(1)الجاحط، البيان والتبيين، 28/3.

(2) الجاحظ، ن،م 28/27/3.

(3)ابن حزم، جمهرة انساب العرب،303، ابن قتيبة، المعارف،78.

(4)الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحي (ت 370ه، 980م) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم والقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق فرنسيس كرنكو، القاهرة، دار أحياء الكتب المصرية،ط1 (بلا، ت) ابن قتيبة، عيون الأخبار، 69، أيضاً ابن أعثم، الفتوح،188/7.

وحاول الخليفة محاسبته ولكنه خلى عنه[1].

(1)ابن قتيبة، م،س،ص 69.

النتائج والتوصيات

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من ختم به النبوات حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، في ختام هذه الرسالة أذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

أ. **النتائج:**

1) أهتم العرب في الجاهلية بالنسب، وأوصل عرب الشمال أنسابهم إلى إسماعيل عليه السلام، ثم جاء الإسلام وجعل النسب هو الأساس الذي يتم بموجبه توزيع الميراث.
2) إن منازل بني شيبان بعد الإسلام لا يعني أنها والقبائل العربية الأخرى تغيرت منازلها التي كانت عليها عند ظهور الإسلام فجأةً، بل إن تنقلات بني شيبان تمت بشكل تدريجي رافقت عمليات الفتوح التي قامت بها الجيوش العربية الإسلامية داخل وخارج الجزيرة العربية.
3) لما كانت العصبية هي قوة وشعور إنساني يمثل القوة الفاعلة والمؤثرة على السلوك الإنساني، فإن العصبية بهذا المعني اشتركت فيها قبائل العرب الشمالية بما فيها قبيلة بني شيبان التي لعبت العصبية فيها دروا فعالاً في حياتها الاجتماعية والسياسية خاصة قبل الإسلام.
4) امتازت قبيلة بني شيبان بتمسكها بالفضائل والصفات الكريمة مثل الشجاعة والكرم والوفاء وحماية الجار والعفة وهي من الصفات التي أبقى عليها الإسلام.

5) تمتعت المرأة الشيبانية بمكانة جيدة حتى أن الرجل الشيباني ما كان يتحرج من التكني بها.

6) لعبت قبيلة بني شيبان دوراً هاماً في توحيد القبائل العربية وانتصارها على الفرس في معركة ذي قار التي كان لها أثر حاسم وكبير غير مجرى التاريخ العربي والإسلامي فيما بعد.

7) كانت معركة ذي قار مقدمة لعمليات التحرير والفتوح العربية الإسلامية في العراق وفارس.

8) استجابة قبيلة بني شيبان للإسلام سريعاً بعد حوارهم مع رسول الله ﷺ وقدوم بكر بن وائل الشيباني إلي الرسول ﷺ في عام الوفود سنة 9 هـ –630م وإعلان إسلامهم.

9) وقفت قبيلة بني شيبان وعلى رأسها المثني بن حارثة موقفاً مضاداً لموقف بعض بني بكر بن وائل من الردة ومن عزمهم حرب أخوانهم عبد الغيث.

10) لم يثبت تاريخاً أن زعماء بني شيبان قد إرتدوا أو حملوا راية العصيان ضد الخلافة الإسلامية، بل ثبتوا على إسلامهم وحاربوا مع جيش المسلمين ضد المرتدين.

11) لعب بنو شيبان دوراً هاماً في الفتوحات الإسلامية الكبرى خاصة فتح فارس وأرض السواد.

12) لبني شيبان دور هام في العصر الأموي تمثل في معارضتهم للأمويين من سنة 41هـ – 99 هـ.

13) كان لبني شيبان دوراً هاماً في الحياة العلمية والأدبية في الجاهلية والإسلام.

ب. التوصيات:

1) أن يقوم بعض الباحثين المسلمين بتتبع دور قبيلة بني شيبان في العصر العباسي الأول والثاني.
2) الكشف عن أماكن إنتشار هذه القبيلة للأقاليم والولايات الإسلامية خاصة بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى في عهد الخلافة الراشدة.
3) تقصي دور قبيلة بني شيبان في حروب الردة تفصيلاً خاصة موقفها من ردة بكر بن وائل والقبائل الأخرى.
4) اجراء المزيد من الدراسات حول القبائل العربية بصفة عامة وقبائل الجزيرة العربية بصفة خاصة.
5) القيام بدراسات حول أثر القبائل العربية في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمعات العربية بشكل عام والخليجية بشكل خاص.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

أولاً: المصادر المخطوطة:

1. ابن الكلبي، جمهرة النسب الكبير، ورقة من مخطوطة المتحف البريطاني رقم ADD 23297.
2. ابو البقاء، المناقب، ج1، الورقة 50-51.
3. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى (ت 626هـ/ 1281) المقتضب في كتاب جمهرة النسب (مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراق تحت رقم 102- القسم الاول، ورقة رقم 153.

ثانياً: المصادر المطبوعة:

4. ابن حوقل، صورة الارض، (د.ن)، (د.ت).
5. ابن اعثم، ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت 314هـ / 926م)، الفتوح، دارالندوة، ط1، مطبعة المعارف العثمانية،(بيروت، 1968م).
6. ابن الأثير أبو السعادات محمد بن محمد الجزري (ت 606هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة : تحقيق محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور 1357هـ، ج2.
7. ابن الأثير، عزالدين أبوالحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، (1385هـ/1965م).
8. ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد، تحقيق السيد الجميلي، مكتبة الهلال، 1997م.
9. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، المنتظم، عشرة أجزاء، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1302هـ.

10. ابن القيسراني، ابو الفضل محمد بن طاهر (ت 507هـ) الانساب المتفقة، مطبعة برل، 1865م.
11. ابن النديم، ابو الفرج محمد بن إسحاق (ت385هـ/595م)، الفهرست، القاهرة، المكتبة التجارية.
12. ابن الوردي، ابو حفص زين الدين عمر بن مظفر (ت 749) تتمة المختصر في أخبار البشر، ج 1، القاهرة، 1285هـ.
13. ابن الوردي، زين الدين عمر بن الوردي الشافعي (ت749هـ/ 1348م)، تمتمة المختصر في أخبارالبشر، تحقيق أحمد رفعت البراوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1389هـ/1970م.
14. ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد (ت 354هـ)، الثقاة، 9 أجزاء، دار الفكر، ط 1، 1395هـ، تحقيق، السيد شرف الدين احمد.
15. أبن حبيب: المنمق في أخبار قريش، (د.ن)، (د.ت).
16. ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل (ت 852هـ) الاصابة في تمييز الصحابة، مصر، ط1، ج1، 1328هـ.
17. ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ)، جمهرة انساب العرب، دار المعارف، مصر، 1391هـ-1971م.
18. ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد الظاهري أبو محمد (ت 548هـ /1135م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، (د.ت).
19. ابن حزم، محمد بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ) جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1382هـ/1962م.
20. ابن حنبل، احمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت 241هـ)، العلل، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت).
21. ابن حوقل أبي القاسم ابن حوقل النصيبي (ت 367هـ/ 977م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، 1928م.

22. ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله (ت 300هـ)، المسالك والممالك، مطبعة بريل ليدن، 1309هـ.
23. ابن خلدون، المقدمة، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، 1971م.
24. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ)، تاريخ ابن خلدون، دار العلم بيروت، ط 5، 1983م.
25. ابن خلكان، لأبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة النهضة، 1949م.
26. ابن خياط، أبوعمر وخليفة بن خياط (ت 240هـ/854م)، تاريخ خليفة، حققه أكرم ضياء العمري، ط1، مطبعة الآداب، النجف، 1386هـ / 1967م.
27. أبن سعد،محمد بن سعد (ت 230هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت، 1377هـ-1958م.
28. ابن سعيد، جمال الدين احمد بن محمد (ت 593- 1196م) كتاب أصول الدين، تحقيق: عمر وفيق ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1991م.
29. ابن سلام،أبو عبيدة قاسم بن سلام (ت 224هـ)، الأموال، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1395هـ ، تحقيق محمد خليل هراز.
30. ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفنح محمد بن محمد بن عبد الله، (دون تاريخ وفاه)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مكتبة القدس القاهرة، 1359هـ، تحقيق شوقي ضيف.
31. ابن عاصم، المفضل بن سلمة (ت 291هـ) الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية 1380هـ/1960م.
32. ابن عبد ربه، أبو عمر عبد الله بن محمد (ت 328هـ) العقد الفريد شرحه وصححه وفهرسه : أحمد أمين، احمد الزين وإبراهيم الابياري، القاهرة، ط3 1384هـ/1965م، ج 3.

33. ابنعساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ)،تاريخمدينة دمشق، 70 جزء، دار الفكر، بيروت، 1995م، تحقيق محي الدين أبي سعيد عمر بن غرامة.
34. ابن قتيبة، أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ / 898م)، الإمامة والسياسية، تعليق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط8، (1141هـ/1997م).
35. ابن قتيبة، ابومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت276هـ/899م)، المعارف، تحقيق: محمد إسماعيل عبدالله، القاهرة، المطبعة الإسلامية (1353هـ/ 1943م).
36. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)، اخبار النساء، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1982م، تحقيق نزار رضا.
37. ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ / 1372م)، البداية والنهاية، بيروت، 1966، (بيروت، ط10، 17/3).
38. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد (ت 733هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت 1955م.
39. أبن نباته: جمال الدين بن نباتة المصري، سرج العيون، دار الفكر العربي، مطبعة المدني، 1383هـ-1964م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
40. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 213هـ)، السيرة النبوية، 4 أجزاء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 3، 1998م، تحقيق سيد محمد اللحامي.
41. أبوالفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/1153م)، الملل والنحل، أشراف صدقي جميل، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، (1419هـ/ 1999م).
42. أبو الفداء الملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيل (ت 1331/732م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، ط1، (د،ت).

43. أبوالفرج، عبدالرحمن بن محمد بن علي بن محمد أبوالفرج (ت 597هـ)، تلبيس إبليس، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405 هـ / 1985م.
44. أبو عبيدة، معمر بن المثني البصري (ت 209هـ) النقائض، دار الكتب العلمية بيروت، 1419هـ-1998م، تحقيق خليل عمران المنصور.
45. أبو نعيم، أبو نعيم احمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هـ)، دلائل النبوة، حيدر أباد، دائرة المعارف العثمانية، (د.ت).
46. أبو يعلي، محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي (ت 458 هـ/ 1065)، الأحكام السلطانية، تحقيق محمود حسن، دار الفكر، بيروت، 1994م.
47. الادريسي، نزهة المشتاق، قسم الجزيرة والعراق، تحقيق: ابراهيم شوكت، مجلة العرب، الجزء الاول والرابع 1970م، والجزء الخامس والسادس 1971م، دار اليمامة، الرياض.
48. الازدي، أبوزكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت 334هـ / 945م).
49. الإسماعيلي، أبوبكر احمد بن إبراهيم (ت366هـ) اعتقادات أئمة الحدي، تحقيق: محمد عبد الرحمن، دار العاصمة للنشر، الرياض، (1412هـ).
50. الأصبهاني، علي بن الحسين أبو الفرج (ت 356هـ)، الأغاني، مطبعة بولاق الأصلية، دار الفكر للجميع، 139هـ-1970م.
51. الاصطخرى، بابن اسحق إبراهيم محمد الفارسي (ت 390ه)، المسالك والممالك، دار القلم، بيروت، 1381هـ-1961م، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شرف قربال.
52. الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحي (ت 370ه، 980م) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم والقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق فرنسيس كرنكو، القاهرة، دار أحياء الكتب المصرية،ط1 (د، ت).
53. الأنباري أبو بركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد،نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، (1418ه، 1998م)

54. الانباري، التوزيع الجغرافي لعرب خرسان، مجلة دراسات الاجيال، السنة الاولي العدد 4، 1980م، عدد خاص بالمعركة.
55. الأنصاري، صفي الدين احمد بن عبد الله، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المطبوعات الإسلامية، حلب،ط1، 1971م.
56. بخيت: عصر الخلفاء الراشدين، (د.ن)، (د.ت).
57. البغدادي، أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي، ذيل الامالي والنوادر، ط2، دار الجيل بيروت(1407ه/1987م).
58. البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، 1422هـ-2001م.
59. البغدادي، عبد القادر عمر (1093ه) خزانة الأدب ولب لسان العرب علي شواهد الشرح الكافية، ط1، بيروت (د.ت).
60. البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر البلاذري (ت 279هـ) فتوح البلدان، بيروت، نشر أنيس الطباع 1978م.
61. الجاحظ (ت 255هـ) البيان والتبيين : تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، ط4.
62. الجندي، عبد الحليم، أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام، مصر، دار سعد، 1945م.
63. الحازمي، أبوبكر محمد بن ابي عثمان الهمداني (ت 584هـ) عجالة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كنون، القاهرة 1384هـ/1965م.
64. الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
65. الحنبلي، أبوالفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089)، شذرات الذهب في أخبار منذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350هـ.

66. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 747هـ) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: تحقيق على محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الاولي 1382هـ/1963م، ج2.
67. الذهبي، سير إعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 9، 1403هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي.
68. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م) العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبوهاجر محمد زغلول، دارالكتب العلمية، بيروت، ط1(د.ت).
69. الرازي، محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله (ت 606هـ/1209م)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تحقيق سامي النشار، دارالكتب العلمية، بيروت، ط2، 1402هـ.
70. الزمخشرى، ابو القاسم محمود بن أحمد (ت 538هـ) المستقصي في أمثال العرب، الدكني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1962م.
71. الزمخشري، كتاب الامكنة والمياة والجبال، مطبعة سعدون بغداد، (د.ت)، تحقيق إبراهيم السامرائي.
72. السبكي، تاج الدين بن علي السبكي (ت 717هـ) طبقات الشافعية الكبرى، 10 أجزاء، هجر للطباعة والنشر، ط 2، 1413هـ، تحقيق د: محمود محمد الطماحي.
73. السدوسي، تورج بن عمرو السدوسي (ت 195هـ - 810م) كتاب الامثال، تحقيق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1391هـ1971م.
74. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت 581هـ)، الروض الأنف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م،تحقيق عمر عبد السلام السلامي.

75. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1371هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
76. الشابشتي، أبوالحسن علي بن محمد (ت388هـ/988م)، الديارات، تحقيق كوركي سعواد، ط2، بغداد، 1966م.
77. الشيباني، أبو عمرو، الجيم، تحقيق: إبراهيم الأنباري، راجعه محمد خلف الله احمد، القاهرة الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية،(1394ه،1974م).
78. الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد بن محمد المرزوقي وآخرون، دار صادر، بيروت (1391ه،1971م).
79. ضيف شوقي، العصر الإسلامي، دار المعارف مصر، ط7، (د.ت).
80. الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ/922م) تاريخ الرسل والملوك، دارالكتب العلمية، 1407هـ، بيروت، ط1.
81. عبد القاهر عبد طاهر بن محمد البغدادي (ت 429هـ / 1037م)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977م.
82. العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، (1413هـ/1993م).
83. العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر (ت852هـ/1448م)، الاصابة في تميز الصحابة، بيروت، دار الكتب العلمية.
84. القزويني: الخليل بن عبد الله بن احمد الخليلي (ت446هـ/ 1045م)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشيد، الرياض، (1409هـ).
85. القلقشندى، أبو العباس أحمد بن على (ت 821هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة 1383هـ /1963م.
86. القلقشندي، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، (د.ن)، (د.ت).

87. الماوردي، أبو الحسن على بن محمد (ت 450هـ) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، المطبعة المحمودية التجارية، القاهرة.
88. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ) نسب عدنان وقحطان، صمحة عبد العزيز المني، القاهرة 1936م.
89. المسعودي،أبو الحسن علي بن الحسين (ت 345هـ)، التنبيه والإشراف، طبعة ليدن، 1893م.
90. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة شركة الإعلانات الشرقية، 1387هـ -1967م، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
91. المقدسي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت 378هـ) البدء والتاريخ، باريس 1899م.
92. المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دارصادر، بيروت، 1909م.
93. المقدسي، مطهر بن طاهر (ت 507ه) البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط1، (د. ت).
94. النسائي: احمد بن شعيب بن عبد الرحمن (ت 303ه/ 915 م، السنن الكبرى) تحقيق: البنداري، دار الكتب العلمية بيروت،1411 ه، 1991م،ط1.
95. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ) نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب المصرية، القاهرة 1347هـ/1929م.
96. وكيع محمد خلف بن حيان، أخبار القضاة، تصحيح عبد العزيز مصطفي المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة،ط1، (1391ه/1947م).
97. ياقوت معجم الأدباء، مطبوعات دار المأمون، مصر، ط1 (د. ت).
98. اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واهب بن واضح (292هـ/904م)، تاريخ اليعقوبي، دارصادر، بيروت، (د.ت).

99. اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن جعفر (ت 282هـ)، البلدان، طبع مدينة ليدن برل، 1891م، وأعادت طبعة بالأوفست مكتبة المستى، بغداد.

ثالثاً: المراجع باللغة العربية:

100. البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين، مطبعة البهية، استنابول،ط3، (1387ه/1947م).

101. الجنابي، خالد جاسم، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصرالأموي، ط2، دارالحرية للطباعة، بغداد، 1986م.

102. حتى واخرون، تاريخ العرب المطول، مطبعة الكشاف، بيروت، 1961م.

103. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973م.

104. حمادى، محمد حاسم، الجزيرة الفراتية والموصل، بغداد 1977م.

105. الحوفي، احمد محمد الحوفي،الحياة العربية من الشعر الجاهلي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1972م.

106. الدورى، تقي الدين عارف الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005م.

107. الزبيدي محمد حسين، الحياة الاجتماعية في الكوفة، المطبعة العالمية، القاهرة، 1970م.

108. الزركلي، خيرالدين الزركلي، الأعلام، مطبعة كوستا توماس وشركائه، بيروت، 1376هـ 1957م.

109. زيدان جرجي، الحجاج بن يوسف، دارالأندلس، بيروت، ط1، (د.ت).

110. سعيد، تاريخ الموصل، (1402 هـ / 1982م)، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ط1.

111. عبدالعزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، 2006م.

112. العدوي، إبراهيم أحمد، التاريخ الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1976م.

113. العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد 1953م.

114. كحالة، عمر رضا، أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).

115. لبيد إبراهيم وآخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصرالأموي، بغداد، 1992م.

116. مسكوني، يوسف يعقوب، نصاري كسكر وواسط قبل الاسلام، (د.ن)، (د.ت).

117. النجفي، السيد حسين بن السيد احمد البراقي (ت 1332 هـ) تاريخ الكوفة، استدراك السيد محمد صادق آل بحرالعلوم (ت1399 هـ) تحقيق: ماجد احمد العطية، المكتبة الحيدرية، النجف ط1، 1424م.

رابعاً: المراجع الأجنبية المترجمة باللغة العربية:

118. آربري، تراث فارس، ترجمة محمد كفافي وآخرون، مراجعة يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية, القاهرة، 1959م.

119. دكسن، الخلافةالأموية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1973م.

120. دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، دار المعارف، مصر، 1963م، تحقيق حسن حبشي.

121. فلهاوزن، الدولةالعربية، برلين، 1902م.

122. ماسينون، خطط الكوفة، (د.ن)، 1978م، ترجمة، تحقيق: تقي الدين محمد المصعبي، كامل سلمان الجبوري.

خامساً: المراجع باللغات الأجنبية:

123. Watt, Montgomery, Muhammad prophet and statesman Oxford university.

سادساً: الموسوعات:

124. دائرة المعارف الاسلامية.

سابعاً: الرسائل الجامعية:

125. جاسم، مهند ماهر، الحركات المناهضة لخلافة مروان بن محمد في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، (1406هـ/1986).

126. الحلي، عبود جودي عبودي، أبو عمرو الشيباني وجهوده في الرواية الأدبية، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة بغداد كلية التربية، 1409ه،1988م.

127. محمد رياض عبد الله، سياسة الدولة العباسية اتجاه بني أمية حتى نهاية العصر العباسي الأول (132 هـ- 247هـ/ 749 م- 861م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية، 2002م.

ثامناً: الدوريات:

128. زمامة: أبوبكر السكوني ورسالته، مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، العدد الثاني، م17، القاهرة، 1972م، ص237.

129. القيسي : المثني بن حارثة، مجلة الأجيال، العدد 4 سنة 1980م، عدد خاص بالمعركة ص 129 -130.

130. الوادي، عبدالرزاق، الفتن وأحزاب المعارضة في العصرالأموي، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة تكريت، العدد (1)، مجلد 9 لسنة 2003م.

تاسعاً: المواقع الالكرتونية:

131. www.3nzh.com

132. www.ar.m.wikipedia.org

133. www.banabar.com

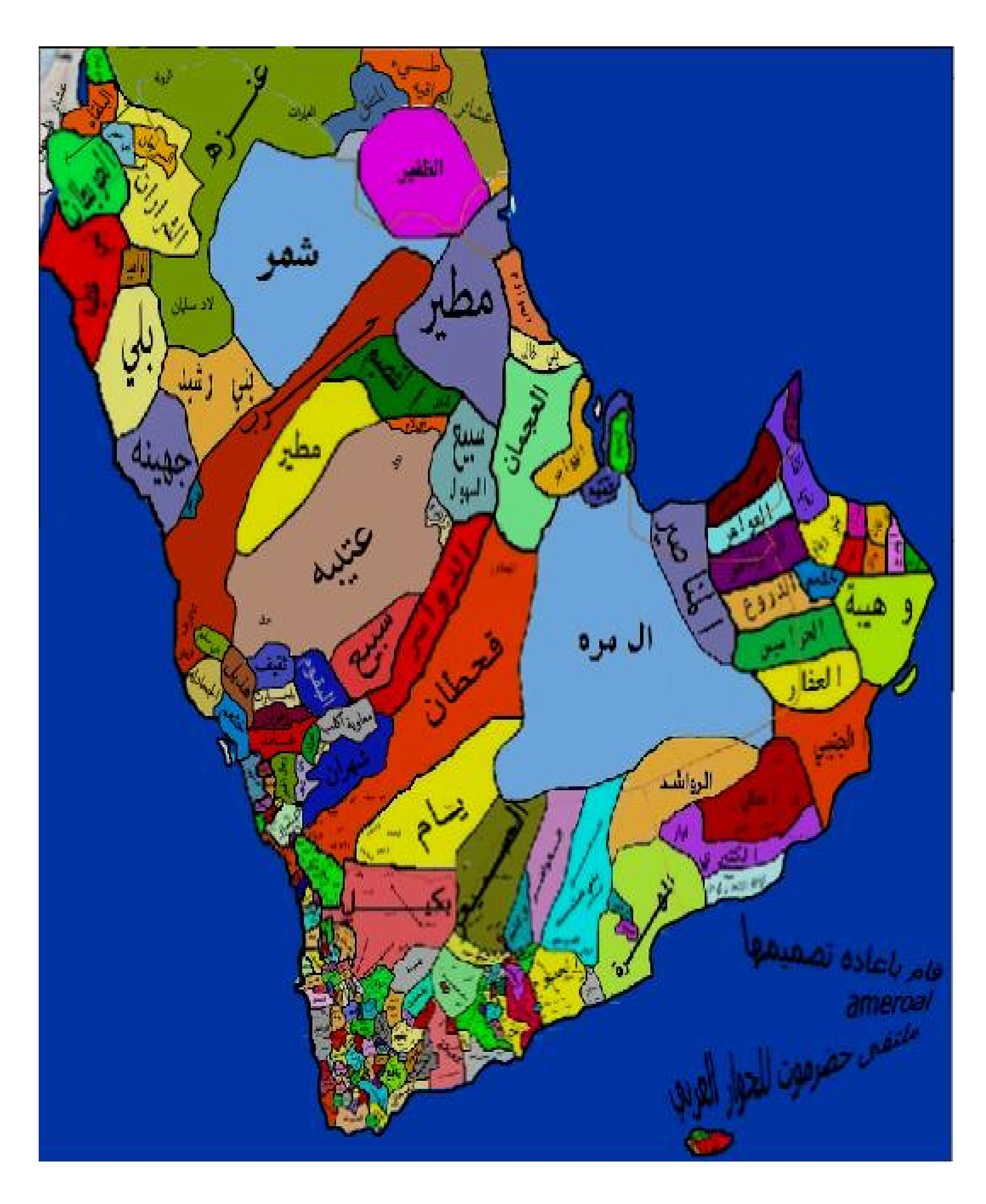
134. www.bany.shaiban.com
135. www.iraqcenter.net
136. www.slamstory.com

فهرس المحتويات

الملاحق



خريطة رقم (1)توضح توزيع القبائل بالجزيرة العربية



خريطة رقم(2) توضح توزيع القبائل بالمملكة العربية السعودية



خريطة رقم(3) توضح المناطق الادارية بالمملكة العربية السعودية